



دراسات في تاريخ فارس وحضارتها حتى الفتح العربي

السنة الثانية

قسم التاريخ

تاريخ فلدم



منشورات جامعة دمشق

كلية الآداب

## دراسات في تاريخ فارس وحضارتها حتى الفتح العربي

تأليف

د. أرواد العلان

مدرسۀ في قسم التاريخ

د. محمود فرعون

أستاذ مساعد في قسم التاريخ

م. 1432 هـ / 2011 م  
م. 2011 - 2012

جامعة دمشق



## الفهرس

الصفحة	الفهرس
9	- المقدمة.
11	- الفصل الأول.
13	- أصل التسمية ومعناها.
16	- حضارة إيران.
24	- مصادر دراسة التاريخ الإيراني.
49	- الفصل الثاني.
51	- الحضارة شروطها ومظاهرها.
51	- الحضارة والمدنية والثقافة.
53	- عصائص الثقافة.
55	- شروط قيام الحضارة.
57	- نظريات نشوء الحضارة.
59	- مظاهر الحضارة.
65	- اللغات والكتابة والتاريخ.
70	- عصور ما قبل التاريخ.
81	- الفصل الثالث.
83	- موجز تاريخ المطقة قبل الآرين.
87	- عيلام في الألف الثالث قبل الميلاد.
97	- الكاشيون في الألف الثاني قبل الميلاد.

103	- أصل الإبرانين وموطنهم.
106	-- الكسريون والسكنشون.
109	- النيديون.
110	- تأسيس الملكة.
112	- حضارة الميدان
114	- الإمبراطورية الفارسية.
115	- قورون وتأسيس الإمبراطورية.
124	- الحضارة الأخمينية.
124	- الحياة السياسية والاجتماعية.
132	- الحبكة الاقتصادية.
134	- الحبكة الدينية.
151	- الفن الأخميني.
157	- الفصل الرابع.
159	- مرحلة الحكم المقدوني "اليوناني".
163	- المغريبيون.
166	- الحضارة الفرعونية.
166	-- الحياة السياسية والاجتماعية.
184	-- الحياة الدينية
193	-- الحياة الاقتصادية.
219	- الفصل الخامس.

221	-- الماسانيون.
228	- الحضارة السياسية.
228	- الحياة الاجتماعية.
240	- الحياة الدينية.
258	- الحياة الفنية.
262	- الحياة الاقتصادية.
273	- الفصل السادس.
275	- الفتح العربي لإيران.
275	- تحرير العراق وفتح إيران.
293	-- فتح ولاية فارس
299	- فتح بلاد فارس
304	- الفتوحات في الجهة الشرقية.
304	- الفتوح في منطقة ما وراء النهر.
307	-- الفتوح في منطقة السندي.
308	- الفتوحات في جرجان وطبرستان.
311	- الخاتمة
315	- الملحق.
359	- المصادر والمراجع.



## - المقدمة:

تعد بلاد فارس (إيران) جزءاً من الشرق القديم، لا يختلف عن غيره من مناطق الشرق، وقد توافرت فيه عوامل الاستقرار والرخاء، فنشأت الحضارة وقامت المدن والممالك، وشغل سكانه دوراً مهماً في التجارة العالمية، فلم يكونوا وسطاء تجارة فحسب، بل كانوا شركاء في بناء الحضارة، وأسهموا بنصيبيهم فيما قدمه هذا الشرق الحال للإنسانية من حضارة.

يحاول هذا الكتاب استعراض تاريخ فارس القديم (إيران) من عصور ما قبل التاريخ حتى الفتح العربي عام 651م. وقد سعينا لأن يقتصر الكتاب علىتناول التاريخ السياسي لهذه المنطقة فقط، بل أردنا له أن يتجاوز ذلك إلى الجوانب الحضارية المختلفة من اجتماع واقتصاد وأدب ودين.

### بناء الكتاب في مقدمة وستة فصول وختمة:

الفصل الأول تناول أصل تسمية بلاد فارس، وأقسامها الجغرافية، ومصادرها التاريخية، وتناول الفصل الثاني نعرف الحضارة ونشوءها وشروطها وعواملها، إذ لا بد من الكشف عن ذلك لنوضح العوامل التي ساعدت على قيام الحضارة في الفضة الإيرانية في العصور القديمة، موضحاً المراحل التي مررت بها من خلال الواقع الأثري.

أما الفصل الثالث فنعرض لتاريخ المنطقة قبل ظهور الآرين والشعوب التي أقامت بها، ثم هجرة الآرين إليها، ومخاوفهم تأسيس ممالك، للملكة اليدية، والملكة الفارسية أو العصر (الإمبراطوري الأخيرين). وقد تضمن هذا الفصل دراسة شاملة لتلك الممالك من مختلف النواحي السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والفكرية.

وفي الفصل الرابع، عرضنا التطور التاريخي للهبة، إذ وقعت تحت سيطرة الحكم اليوناني، ومن بعده السلوقي، الذي لم يستمر طويلاً إذ ظهرت أسرة حاكمة جديدة هي الأسرة الفرثية، فأشرنا إلى نضالها لتحرير البلاد من الإغريق (اليونان)، واستعرضنا نظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

وعرض الفصل الخامس وصول الأسرة الساسانية إلى الحكم في إيران، فنطisco إلى عوامل قيامها، وتوجهها بالإضافة إلى النظام الإداري والاقتصادي للمملكة، وحروها وعلاقتها مع بيزنطة والشعوب المجاورة.

ثم انتهت فصول الكتاب بالفصل السادس الذي يتحدث عن الفتح العربي الإسلامي، وفيه ذكر للمعارك التي خاضها الطرفان، ونتائج هذا الفتح التي تلخصت بسيطرة العرب على إيران بالكامل إذ ارتبط تاريخها بعد عام 651م بتاريخ الدولة العربية الإسلامية. كما تتضمن الكتاب حائمة، وخسائط توضيحية لكل مرحلة تاريخية، ومجموعة ملاحق.

لقد تقاسم المؤلفان كتابة هذه الفصول، فكتب د. محمود فرعون الفصل الأول والثاني والثالث، وكتبت الدكتورة أرواد العلان الفصول المتبقية أي الرابع والخامس والسادس.

وقد حاربنا خلال فصول هذا الكتاب، أن نفيء ما أمكن من كل المصادر التي وصلت إلينا بما فيها الأثرية ، لرسم صورة عن تاريخ فارس وحضارتها وأمننا أن يبلغ هذا الكتاب غايته، وأن يكون لذمة في بناء المعرفة الإنسانية، ورافداً معرفياً لأبنائنا الطلاب ولمن نؤمن أن أي عمل علمي مهما اجتهد فيه صاحبه، لا يبلغ درجة الكمال، لذا فإنه يسرنا أن نلقي آراء الزملاء والطلاب في هذا الكتاب، لستفيد من نقدهم.

والله الموفق

د. أرواد العلان

د. محمود فرعون

- الفصل الأول

- أصل التسمية ومعناها.

- جغرافية إيران.

- مصادر دراسة التاريخ الإيراني.

- المصادر المادية.

- الشوش.

- المصادر اليونانية والرومانية.

- هيكليوس الملطي.

- أيسخيلوس.

- ديونوسيوس الملطي.

- هيرودوت.

- ثوكوقيديس.

- كتسياس.

- أكسينوفون.

- المصادر الرافدية والنصرية المعاصرة.

- المصادر الدينية.

- التوراة.

- الكتب الدينية الفارسية.

- المصادر الفارسية:
- كتاب غرر ملوك الفرس و سيرهم.
- مؤلف مجهول، نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب.
- رسالة تنسن.
- القصص الفارسية.

## - أصل التسمية ومعناها

استخدمت تسمية بلاد فارس أو إيران للدلالة على منطقة جغرافية واحدة، ولكنهما غير متطابقين تماماً، وتسمية إيران هي الأقدم وليس حديقة كما تذهب إليه بعض الآراء، بل هي اصطلاح أطلقه الإيرانيون على بلادهم، وتعني أرض الآريين أي السادة "الآسياد" وترجع الكلمة إلى أصول قديمة، فقد ذكرت الأفستا "الكتاب المسووب لزرادشت" الموطن الأصلي للآريين باسم Airyana- Vaejah "إيريانا وآيجه"<sup>(1)</sup>. هنا هو إقليم خوارزم وما حوله وبطنه إنه أقسام مهد للآريين، ثم أخذوا بالتوسيع شيئاً فشيئاً نحو الغرب والجنوب في أرض كان تسكّنها أمم وأجناس مختلفة فبسطّلوا سلطّتهم عليها وسموها باسم Airyana "إيريانا" وتحول هذا الاسم في البهلوية إلى آران وفي القاردية إلى إیران.

وتجد في نقوش المقابر الملكية " نقش رسم فرب اصطبغ، الملك داريوش عرف نفسه بأنه " ابن وشناسب ، الملك الأخيبي، الفارسي، الآري". ويدرك سترابون في القرن الأول قبل الميلاد، عن التشتار الشعوب الإيرانية المتعددة " مما وراء السند، فإن آریانا تُعد تشمل بعض أجزاء فارس وميديا، وشمال باكستريا، وسوجديانا، لأن هذه الأمم والشعوب تتكلّم تقريباً نفس اللغة"<sup>(2)</sup>.

وظهر مصطلح إيران في كثير من التسميات الساسانية، وفي ألقاب المسؤولين الحكوميين على سبيل المثال إيران خفاره سابور، أي مخد إيران سابور، وإيران أماجار، أي المحاسب العام لإيران، أو إيران دبوريدي، أي رئيس الكتاب، وإيران شهر أي ملكة إيران أو دولة إيران.

وكانت إيران فيما مضى أكثر اتساعاً منها اليوم، أما اسم فارس فهو بعد لاسم الإقليم الذي يشغل الجزء الجنوبي الغربي من المضبة الإيرانية، والذي سكتته فرمان باشا باسم الفرس "Perses" ، وقد أطلق الإغريق اسم فارس على المضبة الإيرانية فيما بعد، انطلاقاً من اسم إقليم فارس.

<sup>1</sup> ... سليم (أحمد أمين) في تاريخ الشرقي للأدن القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1990م، ص 345.

<sup>2</sup> ... سترابون، الجغرافيا، 1,2,8,15.

ثم اتسع مفهوم الاسم ليشمل كل البلاد التي احتلها قوروش في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، وشكل منها الإمبراطورية الفارسية ((الأختينيّة)), التي ضمت معظم بلاد الشرق القديم من أطراف الهند إلى مصر، وهكذا أصبح فارس (Persia) في الأزمنة القديمة اسم الإمبراطورية بأكملها.

وبخدر الإشارة هنا إلى أن أول ذكر للقبائل الفارسية (بارس) يarsi ورد في المصادر الآشورية التي تعود لمنتصف القرن التاسع قبل الميلاد، حيث كانت تنتشر هذه القبائل شمال غرب إيران، ثم انساحت جنوباً إلى شمال الخليج ومناطق عيلام القديمة.

ثم سقطت الإمبراطورية الفارسية تحت ضربات الإغريق والمقدونيين بزعامة الإسكندر المقدوني 331ق.م، وبعد الإغريق حكم إيران الأسرة الفرثية (الإرشاغية) من عام 249ق.م-224ق.م، وبعدها الأسرة الساسانية التي حكمت ما بين 224-651ق.م، وبعدها أصبحت إيران جزءاً من الخلافة الإسلامية؛ وفي العصور الحديثة حكم إيران عدد من الأسر:

الأسرة الصفوية: 1501-1736

الأسرة الأفشارية: 1736-1749

الأسرة القاجارية: 1749-1925

الأسرة البهلوية: 1925-1979

وفي عام 1935 زعم الأسرة البهلوية، طلبت إيران من حكومات الدول الأخرى، أن تتعهد اسم إيران الذي أصبح الاسم الرسمي للبلاد الإيرانية، ولكن نظراً لأن اسم فارس كان مستخدماً في المصادر والمراجع التاريخية والأدبية، فقد صدر في تشرين الأول من عام 1949م قرار حكومي ينص على جواز استخدام اسم فارس إلى جانب إيران، وبعد ثلاثة عقود من هذا القرار، وفي عام 1979م بمحنة الثورة الإسلامية في إيران بإسقاط الحكم الإمبراطوري وأعلنت قيام جمهورية إيران الإسلامية<sup>(١)</sup>.

<sup>1</sup> - فرزات (محمد سرب) مدخل إلى تاريخ فارس القديم وحضارتها، دمشق، 1989، ص. 7.

ولم يلق مصطلح إيراني في الإشارة إلى لغة إيران أي قبول، لذلك تسمى لغة إيران باللغة الفارسية، وفي علم اللغات، يستعمل مصطلح اللغات الإيرانية للإشارة بشكلٍ أوسع إلى اللغات الإيرانية وهي عائلة كبيرة من اللغات، والفارسية إحدى أعضائها، ويستعمل مصطلح فارسي وبارسي بشكل شائع للإشارة إلى اللغة الفارسية.

وأخيراً إنأغلب المختصين بالدراسات الإيرانية اتفقوا ومنهم هرترفلد E.E. Herzfeld، وغريشمان R. Ghirshman، وكريستنسن A. Christensen، وغيرهم اعتمدوا تسمية إيران ثم إن الإيرانيين أنفسهم استخدمو المصطلح إيران القدم، حيث إن معظم الكتب التي تناولت تاريخ إيران عونت بـ (تاريخ إيران باستان) أي تاريخ إيران القديم كما هي حال كتاب حسن بيرني الواقع في ثلاثة أجزاء، لكنها وضعتنا تسمية الكتاب دراسات في تاريخ فارس وحضارتها حتى الفتح العربي اتفاق مع اسم المقرر الذي ورد في خطة قسم التاريخ، وهذه التسمية غير صحيحة.

## - جغرافية إيران

### - الموقع

تقع إيران في جنوب غرب آسيا، ويتألف القسم الأكبر من أراضيها من هضبة على شكل مثلث محصور بين منخفضين هما الخليج العربي في الجنوب ، وبحر قزوين في الشمال، وتحصل ما بين وسط آسية شرقاً وآسية الغربية، كلها جسر للعبور من الشرق باتجاه الغرب وسواحل البحر المتوسط. ويحيط بذلك الهضبة سلاسل من الجبال الشاهقة من كل جانب، ويبلغ متوسط ارتفاع الأرض الإيرانية أكثر من 1000م فوق سطح البحر. وتبلغ الهضبة الإيرانية أقصى ارتفاعها في الجنوب، وتقل كلما اتجهنا شمالاً، فيبلغ ارتفاعها في كرمان 1600متر تقريباً، بينما لا يتجاوز في مشهد 1050مترأ، وفي تبريز 1200متر. وبغية تسهيل الدراسة فإن إيران تقسم من الناحية الجغرافية إلى أربعة أقسام رئيسية هي:

#### ١- المنطقة الغربية "جبال زاغروس":

وهي عبارة عن مجموعة من السلاسل المتوازية، التي يتراوح ارتفاعها بين 1000م و1700م، وتمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وتسمى أقسامها الشمالية بجبال كردستان، وأقسامها الوسطى بجبال لورستان، وأقسامها الجنوبية بجبال بختياري. وقدر طولها بحوالي 1000كم تقريباً، وعرضها بمحدود 200كم، وتحضر هذه السلاسل فيما بينها عدداً من الأودية التي يتراوح عرضها ما بين 10كم إلى 20كم.

وتتميز المناطق الشمالية الغربية من زاغروس بأها أكبر ارتفاعاً، وتستقطع عليها كميات غزيرة من الأمطار، أدت إلى تكوين عدد من بحار الأنهار التي تحد بر سرعة نحو الأراضي العراقية، ورغم وعورة المنطقة وتارجح مناخها بين الحرارة والبرودة، وغزارة الأمطار على المرتفعات، فإن الاستقرار السكاني فيها يعد من أكثف ما يكتفى الاستيطان

في إيران، وتأتم السكان مع الحياة الزراعية على السفوح والمناطق المنخفضة، حيث تنمو العديد من المحاصيل الرئيسية مثل: القمح والشعير والذرة والخضروات، والفاكهة، وكذلك القطن والذخن، كما تهد المنطقة الشمالية الغربية من زاغروس مركزاً رئيسياً لطرق المواصلات ما بين الشرق والغرب.

أما القطاع الأوسط من زاغروس الذي يمتد جنوباً حتى مضيق هرمز، فالسلالل الجنبلية توادي بعضها بعضاً ويزداد اتساعها تجاه الجنوب والجنوب الشرقي، وقد شقت بعض مجاري المياه طريقها في هذه السلاسل عمرات ضيقة تتجه نحو الغرب لتصب في فوهة دجلة والخليج العربي.

القطاع الجنوبي يمتد في جنوب شرق إيران، وأهم ما يميز هذا القطاع هو اختفاض معدل سقوط الأمطار تدريجياً كلما اتجهنا جنوباً حتى مضيق هرمز، ويضاف إلى فقر هذه المنطقة في الإنتاج الزراعي، أن المناطق المرتفعة تتصل مباشرة على شاطئي الخليج العربي مما أدى إلى ندرة وجود الأماكن التي تصلح موانيط طبيعية.

## ٢- المناطق الشمالية المرتفعة "جبال البرز":

تشكل سلسلة جبال البرز، الحدود الشمالية لجمهورية إيران وهي تمتد كقوس لا يتجاوز متوسط عرضه 100 كم، بخط سواحل بحر قزوين من الجنوب، ويوجد في هذه السلسلة أعلى قمة تقع شمال شرق طهران بحوالي 64 كم، وهي قمة دماوند Damavand التي يبلغ ارتفاعها 5604<sup>(١)</sup>، وتسمى القمة في المصادر المسماة بجبل بکنی أي جبل الازوره<sup>(٢)</sup>.

١ - إيران اليوم، نشر منظمة الإعلام الإسلامي، ط١، طهران، 1991م، ص 15.

٢ - باقر(ط): مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (حضارة وادي النيل، حضارة العرب، بلاد الشام وبلاد إيران، الاسكندر، السلوقيون، اليونان، الرومان) دار التعليم العالى للطباعة، ١٩٥٥م، ج ٢، ص 374.

تتصل سلسلة جبال البرز في الغرب والشمال الغربي بمضاب تاليش، التي يحيط بها عدد من الأودية الضيقية التي تكونت نتيجة هطول الأمطار الغزيرة على المناطق المطلة على بحر قزوين، فشكلت مجرى مائية المحدرات بالاتجاه بحر قزوين، وأيّده بعضها الآخر نحو الجنوب والغرب. وتنهي مضاب تاليش في الغرب إلى منطقة أذربيجان التي تتوسطها بحيرة "أورمية" الملحية ويتناول إقليم أذربيجان بكثافة السكان وتنمو في وديانه الخصبة زرارات القمح والدحنون والقطن والتبغ والبرز، كما أنه يعد طريقاً مهماً للعبور، إذ يمكن الدخول إليه من الشمال والشمال الغربي والشمال الشرقي، ولذلك أطلق عليه اسم "برزخ ميديا" كما أنه ذو شهرة تاريخية خاصة، إذ ظهرت فيه سلالات الميدفين والقرمن.

وعند بوابات أذربيجان كان على جيوش الإمبراطورية الأugsburgية أن تقف حارساً يقطعاً في وجه الشعوب الطامحة القادمة من القفقاس ومن السهوب الروسية الجنوبية، وأن تقيم في سبيل ذلك سلسلة من التحصينات التي ما زالت بعض آثارها باقية حتى الآن<sup>(1)</sup>، وتمتد سلسلة جبال البرز نحو الشرق لتصل بجبال خراسان.

وتنمو الأشجار على المتحدرات الشمالية لجبال البرز، بينما تقل على المتحدرات الجنوبية، ويوجد شمال سلاسل جبال البرز سهل تكون تدريجياً نتيجة تراجع مياه بحر قزوين، ويتراوح عرضه ما بين 24 كم إلى 32 كم، وأحياناً يضيق إلى كيلو متر ونصف، وأهم أقسامه سهول حرجان في الشرق ومازندaran في الوسط وجيلان في الغرب، وتعد هذه السهول من أحصى الأراضي الإيرانية.

### ٣- المنطقة الشرقية:

تقع هذه المنطقة من إيران بين سلاسل جبال البرز شمالاً، وأخذ الجنوبي الشرقي لسلسل جبال زاغروس، وتتميز هذه المنطقة بعدم وجود وحدة جغرافية تربط فيما بينها، فالمجالات المرتفعة تتباين من حيث الاتجاه محاورها ومحاورها، كما أنها في كثير من

1 - فرزات (محمد حرب) مدخل إلى تاريخ فارس القدم وحضارتها، ص 11-12.

المواضع تبعاً عن بعضها تاركة العدد من المناطق المنخفضة، وتصف المنطقة الشرقية بشكل عام بالجفاف وعدم وجود إنتاج زراعي لها.

ومناطق الاستقرار في هذه المنطقة قليلة، ولا توجد إلا في الأماكن الحمبة من الرياح الشديدة، وهي الأراضي المنخفضة بالقرب من منحدرات التلال حيث توجد بعض الأراضي الزراعية بحوار الأنهر القليلة الموجودة في هذه المنطقة ومن أهم هذه المناطق، المنطقة المنخفضة لحوض نهر هيلماند والذي يطلق عليه ميسستان، وتصل المياه إلى هذه المنطقة من أنهار أفغانستان<sup>(1)</sup>.

أما جبال خراسان فهي قليلة الارتفاع، وسهلة الاجتياز، وفيها عدد من الوديان والشعاب شديدة الخطورة، ولذلك شكت من حيث تكوينها الطبيعي المدخل الثاني للعبور إلى وسط إيران، ومن هذا المدخل عبر الغرفة القديمة من سهول وسط آسيا، وقد أقام الملوك الساسانيون في هذه المنطقة سوراً سميكأً من الآجر بلغ طوله عدة كيلو مترات لصد الخطر عن أنفسهم من هذه الناحية، وما زالت بعض بقايا هذه السور قائمة حتى الآن.

وفي هذه المنطقة الواقعة في الراوية الشمالية الشرقية من إيران كانت المهد لظهور عدد من الأسر المشهورة التي حكمت إيران كالقرطبيين، والصفويين، والقاجاريين، وأخيراً فإن الجبال التي تحدد المثلث الإيراني، تكمل بالسلسلة الجنوبية المعروفة باسم جبال مكران. ويختلف هذه السلسلة مثراً أحدهما يتجه إلى ميناء بندر عباس، على خليج عمان، والثاني يتجه نحو الشرق إلى بلوجستان<sup>(2)</sup>.

1 - سليم (أحمد أمين): في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1990م، ص 160.

2 - باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 2، ص 375.

#### <sup>٤</sup>- وسط المضبة الإيرانية (الصحراء):

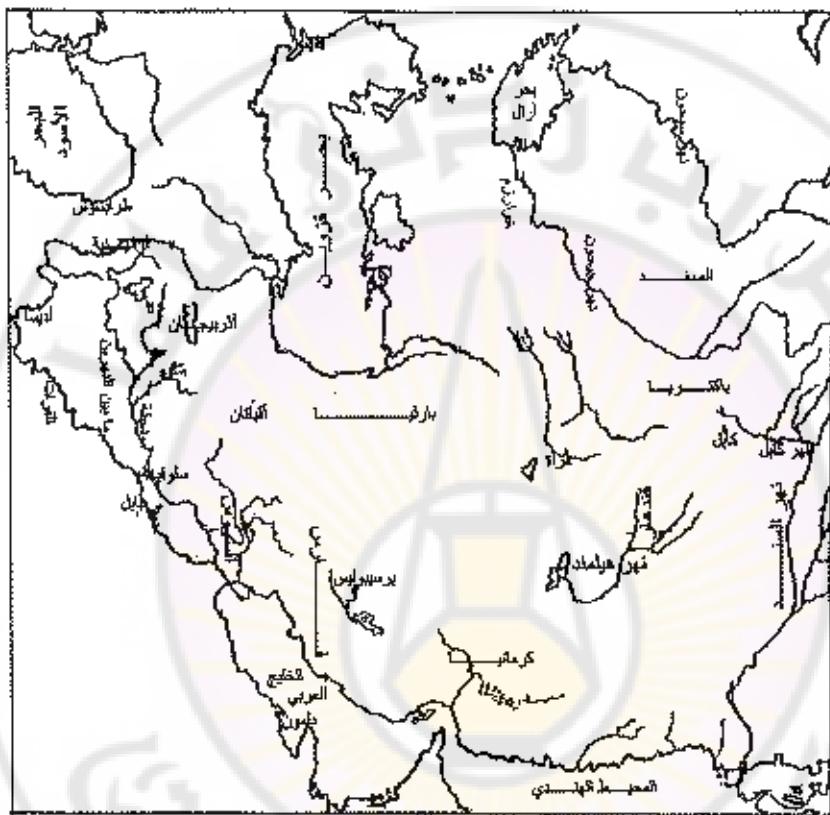
تشكل المنطقة الداخلية في إيران من بقايا بحيرات كانت قائمة في الماضي البعيد، ولم يبق من هذه البحيرات سوى حوض طيني ملحي لا نبات فيه ولا حياة، وتعد هذه المنطقة من أشد بقاع العالم جفافاً، وتنقسم إلى صحراءين شاسعين تسمى إحداهما صحراء "دشتي كافر" في الشمال، والأخرى صحراء لوط "دشتي لوط" في الجنوب.

فالأولى عبارة عن طين وملح لا ينمو أو يعيش فيها شيء، أما الثانية صحراء لوط فهي صحراء قاحلة على وجه الإطلاق، وتعد من أكثر مناطق العالم جفافاً، وتشكل المناطق الصحراوية حوالي سدس مساحة إيران.

وهكذا فقد انحصرت حياة الإنسان واستيطانه في إيران في الوديان بين سلاسل الجبال وفي الواحات، والسهول الواسعة مثل "سهيل خوزستان" الذي يقع في الجهة الجنوبية الغربية، وهي بلاد السوسن القديمة، والتي تعد من الناحية الجغرافية امتداداً لسهيل ما بين النهرين الأسفل، لأنها تتألف من الأرض الرسوية التي كونها نهر كارون وروافده الكثيرة، وتعد هذه المنطقة من أقدم المناطق التي سكنتها الإنسان في إيران، وفيها ظهرت البواكيك الأولى لتعمر حضارتها.

أما السهول الأخرى الواقعة خارج المضبة، وخاصة الواقعة على بحر قزوين، فإنها لم تقم بدور رئيسي في التطور الحضاري لإيران الذي ترکز منذ أقدم العصور في الواحات المنتشرة بين سلاسل الجبال المحيطة بالمضبة، ويمكن الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ من التغلب على المشاكل التي تواجهه في إمكانية زراعة هذه الواحات، ومن

أهم هذه المشاكل كيفية تزويدها بال المياه، وقد استطاع التغلب على هذه المشكلة بتحجيم المياه الأمطار، ثم شق القنوات المودية إلى هذه الواحات<sup>(١)</sup>.



<sup>3</sup> الاستاذ المغربي للهبة الایوانية، بالر، المراجعة النهاية، ج 2، ص 374.

<sup>1</sup> سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 162.

## - المناخ:

يمكن تقسيم إيران من حيث المناخ إلى ثلاثة مناطق هي:

- منطقة بحر قزوين.
- منطقة المضبة الإيرانية.
- منطقة الخليج العربي.

يمتازإقليم منطقة بحر قزوين بالانخفاض الحرارة، وغزارة الأمطار الساقطة على مدار السنة ولا سيما في منطقة جيلان ومارزندران، وترتبط الرطوبة في هذه المناطق وهنالك تنتشر زراعة الأرز والشاي، كما تنمو أشجار الزيتون في المرات الجبلية. وفي بعض أقسام هذا الإقليم تساقط الثلوج وتختفي القسم الجبلي على مدار السنة.

أما مناخ منطقة المضبة الإيرانية فيتسم بالجفاف ولا سيما النوع الأوسط منه والمعتمي بالصحراء، إذ تعد من أكثر المناطق حفاوة، أما باقي أقسام المضبة فتسودها بحثاء معتدل وصيف حار، وفي الإقليم الداخلي تنمو أشجار الفواكه وتحتفظ فيه الغابات الواسعة. ويتمتاز منطقة الخليج العربي بمناخها الحار الرطب وأمطارها الغزيرة.

أثرت العوامل الجغرافية مع توزيع مناطق الاستقرار البشري على المضبة، مما أدى إلى ظهور المدن الكبرى، ولا سيما على امتداد سلسلتي جبال زاغروس والبرز، وبشكل خاص في حوالئهما الداخلية المواجهة للصحراء، فمن المدن التي ظهرت على الطريق التجاري الواقع على امتداد سلاسل جبال البرز، مدينة أكبانان "هذاذ" وطهران، ودمغان، وهرات، أما على الطريق الجنوبي فتشمل مدن أصفهان، وبازار كادس، وبرسيبوليس، وشيراز، وبين التقييمات الأثرية الحديثة أن الإنسان في العصور القديمة استقر على امتداد نفس هذه الخط الذي يشبه القوس حول المنطقة الداخلية (الصحراء الماحلة) في إيران.

ومن الأمور المهمة التي يحدُر ذكرها، والتي أثرت في تاريخ إيران وحضارتها، الثروات الطبيعية، فهي غنية بأنواع الأحجار الشمينة، كالللازورد، والغافوز، والعقيق، بالإضافة إلى أحجار الرخام والمرمر، وتشير الأدلة الأثرية إلى استخراج هذه الأحجار منذ أقدم العصور، وكان لها دور كبير في طبيعة العلاقات ما بين العراق وإيران منذ أقدم العصور، وذلك نظراً ل حاجة الإنسان العراقي إليها في صنع حضارته.

كما يتوافر في أخصب الإيرانية العديد من المعادن كالنحاس والمجديد والقصدير، والرصاص، الأمر الذي أثار مطامع ملوك آشور الأفريقياء ودفعهم إلى تسيير حملات متتابعة لفرض الغرامات والإتاوات. وكان معروفاً منذ زمن هيرودوت على الأقل أن سفوح سلاسل جبال زاغروس تتكون من طيات كلسية تجري فيما بينها على النفق الذي لم يجر استئماره إلا في القرن الماضي<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من إحاطة الجبال بإيران من معظم أطرافها، فإنها في حقيقة الأمر مفتوحة من جهات متعددة نحو الحضارات المجاورة والعالم الخارجي، كبلاد الرافدين من الغرب، وأهند من الشرق، والسهول الروسية من الشمال، وال الخليج العربي والخليط الهندي من الجنوب. مما أدى إلى جعل إيران طريقاً عالمياً للعبور. فعبر أراضيها كانت ثغر ولقرون عديدة طرق الحرير والترايل والأحجار الكريمة. وعلى الطرف نفسه راحت الجيوش الغازية والمدمرة التي غيرت وجه الشرق، جيوش الإسكندر المقدوني القادمة من الغرب، وجيوش قادة المغول والتتار القادمة من الشرق.

وهكذا صارت هذه البلاد وبسبب انساعها ووفرة غيراها وتتنوع أشكال السطح فيها، وتعدد الدفع عنها بصورة فعالة بونفة انصهرت فيها عبر تاريخ طويل أمم Iraq وشعوب اللامنة على أطراف

1 - فرزات (محمد حرب) مدخل إلى تاريخ قارس القديم وحضارتها، ص 15.

الباحثات والسهول الزراعية، ونحو الإنسان الذي أقام على هذه الأرض في إبداع ثقافة مميزة.

#### - مصادر دراسة التاريخ الإبرواني.

لدراسة تاريخ إيران وحضارتها في العصور القديمة، لابد من العودة إلى مجموعة من المصادر الرئيسية يأتي في مقدمتها:

**أولاً - المصادر المادية:**

تشمل كل أنواع المكتشفات الأثرية، كالقصور والمعابد، والأبوبة الدينية الأخرى، والتماثيل والزخارف والرسوم والمحوتات. إن دراسة هذه المكتشفات تمكننا من معرفة جوانب كثيرة عن تاريخ إيران وحضارتها.

أما الأولى الفخارية بمنادجها المتعددة وزيناتها والرسوم التي رسمت عليها فتساعد على تبع نفراحل التاريخية لعصور ما قبل التاريخ . Prehistory

**ثانياً - النقوش:**

تشمل كل الكتابات والنصوص المكتشفة في إيران وقد دونت أغلب هذه النقوش بالخط المسماوي وباللغات الفارسية القديمة، والعيلامية، والبابلية. وما يحدر الإشارة إليه أن الكتابة المسماوية انتشرت في جميع أرجاء الشرق الأدنى القديم وكانت بها لغات عديدة مثل السومرية، والأكادية، والعيلامية، والختية، والفارسية القديمة، والخوارزمية، والإيلامية.

وقد طرأت عليها تحولات عديدة خلال تاريخها الطويل، ويمكن تشبيهها بالحرف اللاتيني المستخدم حالياً لكتابة العديد من اللغات الأوروبية الحديثة<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> ... مرعي (عبد): تاريخ بلاد الرافدين، دار الأجدية، دمشق، 1991، ص 18.

وهذه النقوش ليست كثيرة وأغلبها ينسب للملوك الأقوية مثل فوروش، ودارا، وكسرس.

وكذلك لدينا عدد من الكتابات والنقوش التي تعود للفترة الساسانية الأولى والمنقوشة على السفرع الصخري بالقرب من اصطخر "برسيبوس" ك نقش رسم، ونقش رجب، وأغلب هذه النقوش كتب بثلاث لغات، البهلوية الساسانية، والبهلوية الأشكانية، واليونانية، أما نقش بايكولي الذي وجد بكيرستان ويعود لزمن الشاه نرسى فكتب باللغتين الساسانية ولذلك العهد، اللغة البهلوية الأشكانية، واللغة البهلوية الساسانية.

وبدأ التعرف على النقوش الإيرانية منذ القرن الخامس عشر الميلادي، حينما زار بعض المبشرين والرحلة إيران، فقد ذكر بعضهم أن النقوش التي شاهدوها لا تمت بصلة للفارسية الحديثة، ولا تشبة العربية أو الآرامية، ولم يستطيعوا تحديد اللغة المكتوبة مما إلى أن جاء "إنجلبرت كيمبر"

Engelbert Kaempfer الذي رافقبعثة سويدية إلى إيران سنة 1683م، وهو أول من حاول وصف النقوش وصفاً علمياً، بل هو أول من أطلق على تلك النقوش اسم "الكتابة المسماوية".

وفي سنة 1765م نسخ كارستن نيبور "Carsten Niebuhr"، الذي كان ضمنبعثة العلمية التي أرسلها ملك الدنمارك إلى الشرق، بعض النقوش في برسيبوس، وكانت مكتوبة بثلاث لغات مختلفة، الفارسية القديمة، والعيلامية المتأخرة، والبابلية، وقام بعض الحالات لمعرفة بعض علاماتها، وأسهمت عملاًاته في مساعدة من حاولوا بعده على معرفة هذه الكتابات، ومن أهم هؤلاء الألماني "جورج جروتفند" Grotfend Georg الذي خطأ خطوات كبيرة في هذا المجال، ونجح في ذلك عدداً من رموز الفارسية القديمة سنة 1802م، ولذلك يمكن أن يقال بأنه أول من اكتشف مفاتيح اللغة الفارسية القديمة.

ويذل علماء آخرون جهودهم في تفسير رموز الفارسية، ولكن نجاحهم كان محدوداً ومن أمثلة هؤلاء راسك Rask الدنماركي، وبرنوف Bemouf الروسي، ولاسن Lassen الألماني. ثم جاء اكتشاف الانكليزي هنري رولنсон Henry Rawlinson نقش هستون، فكان له أبلغ الأثر في حل رموز الكتابة المسماوية بصفة عامة. فقد بدأ نسخة سنة 1835م، ثم نشره مترجمًا ابتداءً من سنة 1846م، وأصبح بالإمكان تفسير النقش المدون بالفارسية القديمة، وقد ساعد ذلك على التوصل لحل رموز النص العيلامي والبابلي، وبالتالي أمكن التوصل لقراءة النصوص المسماوية وتفسيرها، وهكذا أصبح هنري رولنсон أبرز مفسري الكتابة المسماوية والذي يعد بحق رائد أو أب الآشوريات<sup>(١)</sup>.

#### ثالثاً- المصادر اليونانية والرومانيّة:

تعد كتابات المؤرخين اليونان والرومان من المصادر المهمة لدراسة تاريخ إيران القديم، وتكون أهمية هذه الكتابات في معاصرتها للأحداث التي ساحتها في معظم الأحيان، لأن العديد من المؤرخين والجغرافيين قام بزيارة بلاد فارس (إيران) أو بعض مناطق الشرق القديم، فكتبوا عنها شاهدوه في مؤلفاتهم، وبعضاً منهم الآخر عمل في أراضي الإمبراطورية الفارسية أو كان من رعاياها، وشارك في بعض حروبها، كل ذلك ساعدتهم في الحصول على معلومات عن إيران.

لكن رغم أهمية هذه المصادر، فإنه يُؤخذ عليها بعض المأخذ منها:

- 1- إن الكثير مما ورد في المصادر اليونانية اقتصر على وصف المعارك الحربية اليرية والبحرية، التي دارت بين اليونان والفرس، وذلك من وجهة نظر اليونان.

1 - عصقور (محمد أبو الحامد): معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، د. ت، ص 343.

.344

- 2 - إنهم اهتموا بذكر الواقع التي تربط بلادهم مع إيران أو التي حدثت على حدود إيران الغربية، ولم يشيروا إلى الأحداث التي جرت داخل إيران أو على حدودها الشمالية والشرقية<sup>(1)</sup>.
- 3 - اعتمادهم الروايات الشفوية والأساطير التي حبكت حول الأحداث البعيدة زمنياً، مما جعل كتاباتهم حول هذه الفترة بعيدة عن الدقة إلى حد كبير.
- 4 - لا يوجد دو ولأ دافع لدى مؤلفي هذه المصادر كي يجعلهم موضوعين في الكتابة عن هذه الإمبراطورية التي استوت على المستعمرات اليونانية في آسية الصغرى، ولم تكتف بذلك بل هاجمت الآخرين في عقر دارهم.
- 5 - روح التحصّب التي عرفت عن الغربيين لحضارتهم، وإظهارها وكأنها أرقى من غيرها، وذلك عن طريق عرض نوادي الغرابة في الحضارات الشرقية التي عاصمتها أو سبقتها<sup>(2)</sup>. ومن أشهر هؤلاء الرحالة والمورخين اليونان والرومانيين الذين تعتمد عليهم:

### أ - هيكاتيوس المليطي Hekataios of Miletos

بعد من أرائل مؤرخي اليونان في القرن السادس قبل الميلاد وينسب إلى مدينة ميتوس الإغريقية في آسية الصغرى، قام برحلات في أنحاء الإمبراطورية الفارسية، وفي بلاد اليونان وسواحل البحر الأسود ومصر، تغيرت كتاباته التي وصلتنا عن إيران بأنها أقرب إلى الجغرافية أو الوصف الجغرافي، لأنه كان قبل كل شيء جغرافياً، حتى إنه أطلق عليه اسم "أبو الجغرافيا" ويعد من مؤسسي علم الجغرافيا.

1 - بيونيلا حسن: تاريخ إيران القديم من أبادية حتى نهاية العهد السادس، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم المساعي محمد المساعي، مراجعة وتقديم بجي الخشاب، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط2، 1992م، ص55-56.

2 - مهران (محمد بيومي): دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر الكتاب الأول التاريخ، ط1، الإسكندرية، 1982م، ص61.

ألف كتاباً أسماء رحلة حول البحر أو "خريطة العالم" احتوى إلى جانب الوصف الجغرافي للبلدان والأقاليم دراسة لتأريخها، كما قدم قائمة بتابع الملوك والحكام وخاصة في آشور و McBride وفارس، وقيل إنه ضمنه خريطة لرحلته، وثبت عليها البلاد التي زارها.

وكان له مؤلف آخر ينصلح بالتاريخ المبكر لليونان وهو "الأنساب"، ولم يحصل إلينا كتابات هيكاتوبوس كاملة ولكن وصلتنا فقرات في كتابات المؤرخين اللاحقين له<sup>(3)</sup>.

— ایسخیلوس Aeschylus (ق.م. 525-456)

ولد أيسخيلوس في أبوليسيس عام 525 ق.م من عائلة نبيلة "أرستقراطية". وبكتف الغموض سيرة حياته الأولى، وتنزع عنها الأقاويل والاحتمالات، لكن من المؤكد أنه شارك في معركة الماراثون 490 ق.م، وسلاميس 480 ق.م. وتلقى محمد أثينا وانتصارها، غير أنه نفي عن أثينا فيما بعد إلى جزيرة صقلية، ومات في بلدة "حالا" عام 456 ق.م.<sup>(2)</sup>

يختلف الباحثون حول عدد المسرحيات التي وضعها أيسخيلوس، والمرجح أنه وضع نحو تسعين مسرحية، لم يسلم منها كاملاً إلا مبيع مسرحيات فقط، وما بهمها في دراستنا المسرحية التي كتبها عن الفرس عام 472ق.م، أي بعد انتهاء معركة سalamis بعشرين سنة، وتمثل مسرحية الفرس قيمة تاريجية لأنها تعالج موضوعاً معاصرًا للكاتب، ووصف انتصار الإغريق كشاهد عيان، إذ إنه اشتهر بنفسه في تلك الحرب.

تبدأ المسرحية بظهور الملكة الأم زوجة داريوش والدة أكسيرخس ملك الفرس في القصر الملكي والخانية من حولها، يعتريهم القلق والاضطراب لتأخر وصول الأخبار عن أكسيرخس وجيشه، ويبدو رجال الخانة الذين يكرنون جوقة الغناء بشباب فحمة،

<sup>14</sup> - سليم، دراسات في تاريخ الشرف والأدنى القدم، ص 182.

2 - جمعية مؤلفين، مؤلفات الأغريق القديمة، موسكو، 1986، ص 99.

لإعطاء فكرة عن ترف البلاط الفارسي، ثم يصور أيسخيلوس وصول أنبياء هرمة الفرس في معركة سلاميس، وبجأة الملك أكسرس، وبعد الأبطال الذين ماتوا، ويصف الجنود الفرس بالشجاعة والإقليم.

ثم يظهر حواراً بين طيف الملك داريوش المترى وزوجته مبيناً أن أكسرس خس، قام بالخملة، لأن رفقاء الأشرار كانوا يخضونه على القيام بحرب خارجية، من أجل أن يظهر بأنه الملك القوي الذي يستحق السلطة، وليس هو الوريث الضعيف لملك أبيه، وفي نهاية المسرحية، يظهر الملك أكسرس خس على المسرح وقد ربكت عليه المزينة.... إنها الحرب ونتائجها وويلاتها بمحصلة برجل.....<sup>(١)</sup>

### جـ - ديونوسيوس الميلتي Dionysios of Miletos

ينسب إلى مدينة ميليتوس في آسيا الصغرى، عاش في بداية القرن الخامس ق.م، كتب عن تاريخ إيران القديم حتى وفاة داريوش، ويعتقد أن يكون هيرودوت قد اطلع على ما جاء في كتاباته، بل يذهب بعض الباحثين إلى أبعد من ذلك فيدعون أن كل ما هو ذو قيمة في مؤلف هيرودوت إنما هو مأخوذ منه، ولكن هذه الآراء مبالغ فيها إلى حد ما ولا نعلم سبب اختفاء معظم كتابات ديونوسيوس، دون أن نجد لها أثراً في كتابات الأ历سين له، ورغم كل ذلك، فإننا نستفيد مما تبقى من كتابات ديونوسيوس في دراسة تاريخ إيران القديم، وذلك فيما يتصل بالحروب اليونانية الفارسية التي عاصرها<sup>(٢)</sup>.

1 - حاوي (إيليا): أيسخيلوس، دفتر الكتاب اللبناني، 1980م، ص 97 حق 114.

سکر (ابراهيم): أيسخيلوس، الهيئة المصرية للكتاب، 1972م، ص 84 وما بعد.

2 - سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 184-186.

## ء— هيرودوت 425-484) Herodotus

ولد هيرودوت عام 484 ق.م في مدينة هاليكارناسوس، وهي إحدى المدن الإغريقية في القليم كاريا، والتي تقع في الجنوب الغربي من آسية الصغرى، وكانت تبع آنذاك مملكة فارس. شغف منذ صغره بالعلم والدراسة، فانكب على ما وقعت عليه يداه، وقرأ الكثير حتى أصبح مولعاً بالعلم، وقد قاده ذلك إلى الارتحال وزيارة البلدان المختلفة داخل اليونان وخارجها، فزار مدن آسية الصغرى، كما زار جزر الأربعين اليوناني كرودوس، وقوص، وديلوس، وتابوس، وكريت، وساموس وغيرها، وقام ببرحالة زار فيها العديد من مناطق الشرق القديم، حيث زار مصر وسوريا وبلاد الرافدين وعبر إلى سوسة عاصمة الفرس، ثم هداها، وتنقل بين شواطئ البحر الأسود وجنوب روسيا.

وكان هدف هيرودوت من هذه الرحلات، جمع المعلومات لكتابه تاريخ المشهور "تاريخ الحروب بين اليونان وفارس"، لذلك كان يحاول جمع المعلومات دون كلل أو ملل، وكان يصف كل شيء، الأماكن، والأشخاص، والعادات، والعائد، والأساطير، لكنه وصف تقريري ليس فيه تحليل كثير<sup>(1)</sup>.

وكذلك اعتمد على الرواية المتوترة من حبل إلى حبل، وهذه الطريقة ساعدته في الحصول على المعلومات، لكن جزءاً كبيراً منها غير حقيقي، ويدرك هيرودوت في أكثر

أ - حاطوم (نور الدين)، طرين (أحمد)، عاقل (نبه)، مدن (صلاح)، المدخل إلى التاريخ، دار الإشارة، دمشق، 1964م، ص 102-104، مارة (تحليل)، دراسات في تاريخ الآخرين، جامعة دمشق، 2001-2002م، ص 43.

بيبي (لطفى عبد الرحيم): اليونان، درا النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص 61.

من موضع طريقة وضع كتابه فيقول: " أنه يسحل كل ما يقوله الناس له ولكنه غير ملزم بتصديق كل ما يقال "(١).

فقد سمي هيرودوت كتابه " تمحيص الأخبار" ، والكتاب في صورته التي وصلتنا من حيث وضعه في تسعه أجزاء ليس من عمل هيرودوت، ولكنه من عمل التحورين السكندرية، الذين نسبوا كل جزء منه لاحدي ربات العلوم والفنون من بنات " زيوس " التسع، أما هيرودوت فكان يشير إلى أجزاء كتابه بكلمة الروايات (٢).

ويوحذ على هيرودوت أنه اعتمد بشكل كبير على كتابات من سبقوه دون الإشارة إليهم، إذ لم يذكر منهم سوى هيكلانيوس فقط، وحق حينما أشار إلى أيسخيطوس، فإنه لم يشر إليه ككتاب، رغم اعتقاده عليه، ونظرًا لفقدان معظم كتابات هؤلاء المؤرخين، فقد شكلت بعض الباحثين في قيمة عمله، وأقصى المؤرخ بلوتارخ (46-120م) بالسرقة والكذب والجثث (٣)، كما أخذ عليه جهله بذنات الشعوب التي تحدث عن تاريخها، وبأنه أغرق نفسه في عالم المزارات والأساطير (٤).

ورغم كل ما قيل حوله، فقد كان منصفًا أحياناً وقدراً على قول الحقيقة، فقد وصف الفرس بالشجاعة والحبوبة والمرح، ورقة الأخلاق والذكاء، وبأنهم كانوا يعلمون أولادهم وبذريتهم على ركوب الخيل والرمادية بالقوس، وقول الصدق، منذ من الخامسة وحتى العشرين، ولذلك اشتهر الفرس بجمهم للصدق، وحرصهم على احترام المعاهدات والوفاء بالعهود (٥).

١ - هيرودوت، التاريخ، ترجمه عن الروسية ستراونفسكي خ. أ.، لينينغراد، 1972م، 7، 152.

2 - بدوي (الحمد): هيرودوت يتحدث عن مصر، القاهرة، 1966م، ص 16-17.

3 - بدوي، هيرودوت، ص 19.

4 - الناعري ( سيد أحمد علي ): الإغريق تارихهم وحضارتهم، القاهرة، ط 3، 1981م، ص 306.

5 - سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 193.

وتميزت كتابات هيرودوت ببساطة والسهولة، وقد أطلق عليه الرومان اسم "أبو التاريخ". فهو رغم الأخطاء التي وقع بها، والهفوات الموجودة في مؤلفه، يعد أول من جمع المادة ثم نفعها بكل ما يستطيع، ثم صاغ منها مادته التاريخية<sup>(1)</sup>.

ولنقرأ معاً كيف يبدأ هيرودوت تقديم كتابه الأول: "يعرض هيرودوت الماليكارناسي تناقض أحجائه، وله هدفان: أحدهما إنقاد تاريخ الجنس البشري من النسيان، ثم إثبات أن الأعمال الخبيثة التي قام بها الهيلينيون والبرابرة "الشرقيون" سوف تنتهي بما لها من شهور، وخاصة تلك الأمساب التي أدت إلى المصايم فيما بينهم"<sup>(2)</sup>.

ونجد الإشارة إلى أن هيرودوت قد نوصل خلال حواراته البحث في أسباب اخروب الفارسية إلى فكرة الصراع بين الشرق والغرب، على أساس أن فارس تمثل الشرق، والميونان تمثل الغرب. وبعتقد أن هيرودوت يقى في مدينة ثوري Thuri<sup>(3)</sup> التي استقر فيها بعد الانتهاء من رحلاته حتى وفاته حوالي 425ق.م.

### هـ— ثوكوديdes 460-399ق.م. تقوياً.

ولد ثوكوديدس عام 460ق.م في أسرة غنية كانت تمتلك العديد من مناجم الذهب في تراقيا، وترعرع في أثينا التي كانت تعيش فترة ذهبية من تاريخها، الذي تميز بالفقرة والتوسيع والغنى بالتجزيات، فدرس الفلسفة والبلاغة فيها، وبعد بدء حرب البلطوبونيز (431-404ق.م) عن ثوكوديدس فائدًا لإحدى الحملات العسكرية عام 424ق.م التي أرسلت ضد إيسيرطة للدفاع عن مدينة أمفيپolis، إلا أن ثوكوديدس فشل في تنفيذ المهمة، وسقطت المدينة في يد الإسبرطيين، فأدت

1 - الناصري، الأغريق، ص306.

2 - هيرودوت، التاريخ، الكتاب الأول، الفصل الأول، ص29. يجب الإشارة إلى صدور ترجمة كاملة باللغة العربية لكتاب هيرودوت، ترجمة عبد الله الملاج، نشر الجمعية الثقافية، أبو ظبي، 2001م.

3 - ثوري: هي إحدى المستوطنات التي أقامها أثينا بمحب إيطاليا.

هزيمته هذه إلٰى طرده من الخدمة العسكرية، ونفيه إلٰى خارج أثينا، حيث قضى في المدى عشرين عاماً، عمل خلالها على دراسة أسباب حرب البلطيق وتحليل تعالجهما، فرار الأمانة التي دارت عليها رحى الحرب، ومساعدته ثقافة العسكرية، واشتراكه في هذه الحرب، ورحلاته من جمع مادة علمية عن الحوادث التي عاصرها.

وبعد انتهاء مدة نفيه عاد ثوركوديدس إلٰى أثينا عام 404ق.م، وبقي فيها حتى وفاته، وتختلف الآراء حول عام وفاته، لكن أغلب الآراء الحديثة تتجه إلٰى أنه توفي عام 399ق.م، وربما في تراقيا وليس في أثينا، وقد توفي قبل أن يتم كتابة مؤلفه التاريخي الذي يبلغ ثمانية مجلدات، وقد تولى المؤرخ أكستوفون كتابة تتمة تاريخه من بعده على حد زعم بعض الروايات<sup>(1)</sup>.

وقدم ثوركوديدس في مؤلفه مستوى جيداً في دقة عرض الحقائق، ونموذجياً جديداً للدراسة التاريخية، وغير قادر على التقد العقلي والمنطقي، وفيما يحصل بالمحروم الفارسي فقد نوه إلٰيها بشكل عارض، لكنه أورد في كتابه الثامن نصوصاً كاملاً للمعاهدات المبرمة بين فارس وإسبرطة<sup>(2)</sup>.

## و- كتسياس Ktesias

كان طيباً يعمل في بلاط الملك أردشير الثاني (360-404ق.م) ورافقه في معركة كوتاكسا Kunaxa عام 401ق.م، وبعد ذلك بعده سنوات عاد إلٰى بلاد اليونان حيث كتب مؤلفه في ثلاث وعشرين كتاباً، ولكن صاع أغله، ولم يبق منه شيء، غير أن الموجز الذي كتبه عند Photios كان مطولاً بدرجة تكفي لتكوين فكرة طيبة عن طبيعة هذا المؤلف، ويتبين منها أنه اعتمد على الروايات الشفوية التي سمعها من الفرس، وذلك فيما يخص الأحداث السابقة لعهده، والتي

1 - سارة، دراسات في تاريخ الأغريق، ص 46.

2 - سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 197.

جاءت في كتابه الأول<sup>(١)</sup>. أما الفترة التي عاصرها فإن كتاباته جديرة بالاهتمام والتقدير<sup>(٢)</sup>.

### ز – أكسيونون Xenophon 354-429 ق.م

نشأ أكسيونون ضمن أسرة عريقة ميسورة الحال، تتمدّد على يد سقراط، وتتنوع قدراته بقتون كثيرة من المعرفة كالاجتماعية والسياسية والاقتصاد، والشؤون العسكرية، وخدم في سلاح الفرسان، واشترك في الحملة الشهيرة "حملة العشرة آلاف" من الجنود الإغريق المرتزقة التي خرجت في ربيع عام 401ق.م، لمساعدة قوروش الصغير الذي كان وإلياً على آسية الصغرى، وأراد الإطاحة بأخيه الأكبر أردشير الثاني، وقد انتهت الحملة بالفشل، إذ قتل قوروش ولقي معظم الضباط الإغريق مصرعهم في معركة كوتاكسا<sup>(٣)</sup> التي تبعد 45 ميلاً شمالي بابل في خريف 401ق.م، وقد تولى أكسيونون قيادة الحملة أثناء عودتها من بلاد فارس إلى بلاد اليونان<sup>(٤)</sup>.

كتب أكسيونون العديد من المؤلفات التاريخية، ولكنه كان يميل إلى الوصف والعرض العام للتاريخ، ولم يكن يباحث بهتم بالتحليل والتفسير المنطقي للأحداث التاريخية، وهو كثير الافتراض عن غيره، وأسلوبه سهل ومبسط، وأهم أعماله التي قمنا في مجال دراستنا لنarrative ليران القديم كتابه المعروف باسم "الأنابasis" Anabasis أي الصعود إلى الداخل أو التوغل.

بعد هذا المؤلف الذي سجل فيه أكسيونون يوميات هذه الحملة من أفحنج كتبه، ففيه تغيير عن العديد من المشاعر الإنسانية، وهو حافل بالشجاعة واللذامرة والنظام والتصرف العاقل في مواجهة الأخطمار، كما أنه سجل تاريخي معاصر للأحداث

1 - سليم؛ دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 198.

2 - بيرنياء، المرجع السابق، ص 57.

3 - سارة، دراسات في تاريخ الإغريق، ص 52.

التي مرت بالإمبراطورية الفارسية بعد وفاة داريوش الثاني، وصراع أولاده على العرش<sup>(1)</sup>، كما أنه وصف خط سير الحملة، وتحدث بشكل مختصر عن الزراعة واستئثار المياه وجرها في قنوات من نهر دجلة، ويصف كذلك أطلال المدن المنشورة في شمال بلاد الألفدين<sup>(2)</sup>.

#### جـ— مصادر أخرى:

تعد كتابات إفروروس Ephorus حوالي (405 – 320ق.م) من أهم ما كتب عن الحروب الفارسية في القرن الرابع قبل الميلاد، رغم أنها لم تصل إلينا، لكن المؤرخين يتفقون على أن ديلور الصقلي (80 – 30ق.م) قد اعتمد عليه اعتماداً كاملاً في كتابة فصول مؤلفه المتضليل بالحروب الفارسية، ضمن مؤلفه العام الذي تناول فيه تاريخ العالم أو ما يسمى المكتبة التاريخية<sup>(3)</sup>.

Bibliotheca

كما يستفاد من كتابات الجغرافي سترايون Strabon (63 – 21ق.م) والمؤرخ بلوطارخ Plutarch (46 – 120م)، الذي حفظ لنا كتابات المؤرخين السابقين الذين فقدت أعمالهم، أما في الفترة الأساسية 224-165م فمحظى كتابات ديون كاسيوس Dion Cassius المتوفى حوالي 235م وهيرودين Herodien المتوفى سنة 240م وزبليوس بوليو Trebellius Pollio المتوفى حوالي 300م صاحب كتاب تاريخ أباطرة الرومان، وأمين مرسيلين Ammien Marcellin مؤرخ القرن الرابع الميلادي حيث شارك في الحرب التي دارت بين الفرس والروماني، وكان شاهد عيان بسجل بعض أحداثها.

1 - سليم، دراسات في تاريخ الشري الأدن القديم، ص 198.

2 - مرعي، المرجع السابق، ص 19.

3 - علي (عبد النفييف أحمد): مصادر التاريخ الروماني، بيروت، 1970م، ص 61.

وأشهر مؤرخ في القرن السادس يرو كوبوس القبصري، مؤرخ الإمبراطور جوستيان، وصاحب قائده الشهير بيليزاريوس، والذي رافقه في حملاته الخروجية ضد الفرس، السادس، وبعد تاربه من المصادر الرئيسية لتاريخ إيران أيام قياد وكسري أنوشوان.

وفي القرن السابع الميلادي ترك ثيوفيلكت سيموكاتا Théophylacte Simokatta الكثير من المعلومات المهمة عن النظم السياسية، ويمكن أن نضيف إلى مصادر الفترة السياسية المصادر السريانية، والأramaية، والمعربة<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً - المصادر الرافدية والمصرية المعاصرة:

تعد المصادر الرافدية من آشورية وبابلية، مادة أساسية للدراسة تاريخ إيران القديم، لأنها ألتقت الضوء وأمدتنا بالكثير من المعلومات عن الأحوال السياسية والحضارية في الحضارة الإيرانية، فقد اتصلت سومر منذ أقدم العصور بالحضارة الإيرانية لحاجتها للمواد الخام والمعادن التي كانت تجلب من إيران وساعد على ذلك قرب سومر من عيلام، وسهولة الاتصال بينهما، وكذلك ورد في التقوش الآشورية وبالبابلية الكثير من المعلومات عن غارات ملوكيهم الأغوياء على غرب إيران وسكنها وإنضاعهم لندن والأمراء والقادم الذي جمعت منهم.

كما يستفاد من المصادر المصرية في معرفة العلاقات التي كانت قائمة بين ممالك الشرق القديم، بالإضافة إلى تقديرية فترة الاحتلال الفارسي لمصر.

١- ... حول مصادر الدولة الأساسية اذظر: كريستنسن (أرنو): إيران في عهد السادس، ترجمة نعيم الحشاد، عبد الرحيم عزام، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م، ص 64-71.

## خامسًاً المصادر الدينية:

### -1 التوراة:

التوراة كلمة عبرية تعني المدحية والإرشاد، وبقصد بها الأسفار الخمسة الأولى (التتكوين ، والخروج ، واللاوبيون ، العدد ، والتبه) والتي تسب إلى موسى عليه السلام ، وهي جزء من العهد القديم ، كتاب اليهود الذي يضم إلى جانب تاريخهم ، عقائدهم ، وشرائعهم ، ويقسمه أحجار اليهود إلى ثلاثة أقسام الناموس والأنباء والكتابات<sup>(1)</sup>.

وقد وضع هذا الكتاب لخدمة أهداف دينية وسياسية محددة ، تخص شعباً بعينه ، وقد ادى إلى إيجاد عقيدة " الشعب المختار والأرض الموعودة "، وتهيئها في أذهان أتباع التوراة وغيرهم ، وبعد تاريخ توريته إلى ما بين القرنين الخامس والثاني قبل الميلاد ، وقد ورد فيه الكثير من المعلومات عن الأحداث التي جرت في مناطق الشرق القديم ، وبالاحظ أن كثيراً من هذه المعلومات الواردة فيه منقولة عن مصادر رملدية وكعانية ومصرية أقدم منها بعده قرون<sup>(2)</sup>.

وقد تحدثت التوراة في كثير من أسفارها عن الفرس وملوكهم وعلاقتهم مع اليهود ، وترسم التوراة صورة عن الفرس فيها الكثير من المحسن ، ربما لوقوف ملوك الفرس إلى جانب اليهود ومساعدتهم في العودة من النبي البابلي بعد فتح قوروش لبابل عام 539ق.م.

وقد أشار عرزا إلى ذلك: " هكذا قال قوروش ملك فارس . جميع ممالك الرب دفعها لي الرب إله السماء ، وهو أوصلي أن أبني له بيته في أورشليم ، التي في يهودا ، من

1 - مهران (محمد يومي): تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة ، الإسكندرية ، 1996م ، ج 6 ، ص 67.

2 - حول القاتiroات الملدية انظر: علي (فاضل عبد الواحد): من سومر إلى التوراة ، القاهرة ، ط 2 ، 1996م ، ص 189-192.

منكم من كل شعبه ليكون إلهه معه ويصعد إلى أورشليم التي في يهودا فبئي بيت الرب إله إسرائيل هو  
الله، الذي في أورشليم<sup>(1)</sup>.

ولجده في أماكن أخرى المكانة والاحترام الكبير الذي تبديه لقوروش، فقد جاء في سفر أشعيا:  
” هكذا يقول رب مسيحيٍ لكورش الذي امسكتْ يمينه لأهوس أمامة أمّا وأحقاء منكِ أحُلُّ لاتفع  
أمامه المصراعين والأبوابَ لا تغلق. أنا أسيء قدامك والمحضاب أمهد ”<sup>(2)</sup>.

ويتضح مما ورد في التوراة عن تاريخ إيران قبل العهد الأخميني أن كاتبي التوراة لم تكون لديهم  
معرفة كافية فيه، ولذلك جاءت معلوماتهم مشوبة بالاضطراب. وبخدر الإشارة، إلى أنها حين تعامل  
مع التوراة كمصدر تاريخي أن تخلص تماماً من القدسيّة التي أمسغها عليه المؤمنون بها، وأن تنظر إليه  
كما تنظر إلى غيرها من المصادر التاريخية باختصاره لعملية النقد التاريخي والعلمي، ومقارنته الأخبار  
الواردة فيه مع غيره من المصادر الأخرى والتقوش، فنقبل ما يتفق مع المصادر، ويوافق المنطق والمعقول،  
وتروض ما يخالف ذلك<sup>(3)</sup>.

## 2- الكتب الدينية الفارسية:

1 - انظر سفر عزاء، الإصلاح الأول، 2-4.

2 - انظر سفر أشعيا، الإصلاح الخامس والأربعون، 1-3...

3 - انظر عن التوراة والحقائق التاريخية: مهران (محمد يومي): إسرائيل، الإسكندرية، 1979م، ج 3، ص 263-296.

تعد الأفستا Avesta أو الأبستاق بالعربية الكتاب المقدس المنسوب لزرادشت مؤسس الزرادشتية، الذي لم يتمكن الباحثون من تحديد الزمن الذي عاش فيه أو المنطقة التي كان يقيم فيها داخل إيران، والزمن الذي دونت فيه الأفستا، وما هي اللغة التي كتبت بها.

لذا نشأ خلاف بين الباحثين حول الوقت الذي ظهر فيه زرادشت ولغة الأفستا، وتاريخها. فقد حدد بعضهم عصر زرادشت ما بين 1500-1200ق.م<sup>(1)</sup>. وبعضهم الآخر حوالي 1000ق.م<sup>(2)</sup>. بينما يأخذ عدد كبير من الباحثين بوجهة نظر جاكسون Jackson الذي يرى أن زرادشت ولد في النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد، وتوفي في النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد<sup>(3)</sup>. وطبقاً للروايات الزرادشتية، فإن زرادشت ولد في القرن السابع قبل الميلاد في إقليم آذربیجان، فرب بحيرة أورمية، ومن هناك اتجه شرقاً إلى بلخ لنشر دعوته، وقتل هناك<sup>(4)</sup>.

ويذكر بعض المؤرخين المسلمين، كابن خردانة، والبلاذري، وأبي الفقيه، والمسعودي، ومحرة الأصفهاني، وأبي القداء، أن زرادشت من آذربیجان وأنه ولد في أورمية<sup>(5)</sup>. فإذا أخذنا بالروايات الزرادشتية والإسلامية، وأقوال غالبية المستشرقين، يكون موطن زرادشت في غرب إيران، ومن هناك هاجر شرقاً إلى بلخ حيث قام بنشر دعوته.

1 - يوسف (ماري): الزرادشتية، ترجمة سبلين كامنسكفا ، موسكو، 1987، ص 27 ، بالروسية.

Meyer, E, in Encyclopedia, Britannica, 11<sup>th</sup>, Ed, XXL, p205. - 2

3 - يورنيا، المرجع السابق، ص 311-312.

4 - بدوي (أمين عبد الحميد): القصة في الأدب الفارسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 31.

5 - بدوي، القصة في الأدب الفارسي، ص 29. سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 208.

ويرى بعض الباحثين أن الموجود بين أيدينا من الأفستا القديمة لا يتعدي رباعها فقط والباقي مفقود، وطبقاً لما جاء في كتاب "دينكرت" (أحد الكتب البهلوية المشهورة)، أن الأفستا التي كانت موجودة في العهد الأخميني قد احترقت عندما أشعل الإسكندر المقدوني البستان في قصر السلطة (الحكم)، في نحت حمشيد، وحصل اليونانيون على نسخة أخرى لها وترجموا أقسامها العلمية الخاصة بالطبع والتلجم إلى اللغة اليونانية،

وألفوها بعد ذلك في النار، وحاول بلاش الأول الفرثي جمع الأفستا، وفي العصر الساساني رتب الأفستا كبير رجال الدين تسر، ثم جمع سابور الأول كل ما حذف من الأفستا عن علم الطب والتلجم والفلسفة والجغرافيا من اليونان والهند، وأضيف إليها، وتم الاعتراف بهذه الأفستا رسميأً في عهد سابور الكبير 310-379م وعده قانوناً للدولة<sup>(١)</sup>.

وتتألف الأفستا من خمسة أجزاء هي:

- 1- بسنا Yasna : أهم أجزاء الأفستا وتعني العبادة والتسبيح والصلوة والعيد.
- 2- ويسيرد: معناها " كل السراة" ليس كلياً مستقلاً بذلك بل يمكن القول انه من ملحقات بسنا.
- 3- وفداد: معناها " الشريعة قانون ضد الشياطين" ، وهو القانون الدين الزرادشتية.
- 4- يشتها : وهي جمع لكلمة يشت، ومعناها "العبادة والتسبيح" ، فهي تسبح للخالق ولملائكته.
- 5- خرده أفستا: أي الأبستان الصغير، مختصر الأبستان، كتاب للصلوة والأدعية لكل وقت من اليوم.

ومع مرور الزمن أصبحت فنون أو تصوص الأفستا غامضة فاحتاجت إلى شرح وتوضيح، ولم يكن في مقدور كل زرادشي فهم كتاب دينه المقدس، فوضعت له شروح وتفاسير مختلفة، كتب بعضها قديماً بلغة الأفستا في البهلوية فاحتاطت باللغتين واشتهرت على قراء الأفستا فحبيل إليهم أن

١ - يربنيا، المرجع السابق، ص 313. عن الأفستا الساسانية انظر: كريستنسن، المرجع السابق، ص 130-131.

الشرح عن المتن، ثم ترجمت هذه الشروح التي تداخلت في المتن فأخذت بنظمه وأفسده، واحتاجت  
الشروح البهلوية كذلك إلى شروح

آخرى وتفسير فشككلت مع مرور الأيام مجموعة كبيرة من كتب التفسير عرفت بالـ "زند"،  
والـ "بازند" والـ "إباردة".

- 1 - الزند: هو الشرح الأول للأفستا وكتب بالبهلوية منذ أواخر العصر الغوثي.
- 2 - البارند: وهو تفسير الزند وشرحه.
- 3 - إباردة: أو باردة، وهو شرح البارند، أو شرح الشرح.<sup>(1)</sup>

ويقول المسعودي في ذلك: "ثم عمل زرادشت تفسيراً عند عجزهم عن فهمه، وسموا التفسير زند، ثم عمل للفسor تفسيراً، وسماه بازند، ثم عمل علماؤهم بعد وفاة زرادشت تفسيراً لتفسير التفسير، وشرحوا لسائر ما ذكرنا وسموا هذا التفسير باردة"<sup>(2)</sup>.

ويمكنا الأفستا وشروحها في التعرف على أفكار زرادشت، والتوصيات السلوكية والأخلاقية، وعلى النظم الاجتماعية التي كانت سائدة في إيران وقت ظهورها.

#### سادساً - المصادر الفارسية:

- كتاب غور ملوك الفرس ومیرهم.

1 - حول تفاسير الأفستا انظر: بدروی، المرجع السابق، ص 36-38.

2 - المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين): مروج الذهب ومعاذن الجواهر، ط 1، إيران، 1984م، ج 1، ص 253.

التعاليٰ أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الميسابوري، توفي سنة 429هـ - 1037م، ولا نعرف سنة مولده، من مشاهير الأدباء البلغاء في التاريخ الأدبي ومن المؤلفين المذكرين، ترك عدة كتب منها بيضة الدهر في حماسن أهل العصر، لعلّى

ال المعارف، الغلستان، تحفة الوزراء، و غرر ملوك الفرس و سيرهم<sup>(1)</sup> الكتاب الأهم بين كتبه والأكثر فائدة.

تأتي أهمية كتابه غرر ملوك الفرس و سيرهم في كونه تناول ملوك إيران من بداية دولهم وحتى الأحداث التي جرت في عهد يزدجرد الثالث (632 - 651م) بعد موقعة خالوند، ودخول الإسلام إلى إيران. فقد جمع الكتاب بين دقيقه أحداث تاريخ إيران القديم منذ البداية وحتى ظهور الإسلام. وجاء أسلوبه سهلاً واضحاً مراعياً لسلسل الأحداث التاريخية ولكنه غير مفسّر لما يحدث، فلم يتسع له مؤلفه عن أسباب الأحداث بل سرد الحدث التاريخي سرداً دون تعليل أو وقوف على الأسباب والنتائج. كما أنه لم يعط علاقات الدول المعاصرة بغيرها من الدول اهتماماً كافياً، أمام الاهتمام الذي قدمه للتطور الداخلي للدولة ولعلاقة الملوك بمحاشيتهم وشعبهم.

— مؤلف مجهول، نهاية الأرب في أخبار الفرس و العرب تحقيق محمد تقى دائش بروه.

يبدأ الكتاب أحداثه بسرد قصة إدريس ونوح وغيرهم من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين حتى يبعث النبي شعيب إذ ينتقل للحديث عن ملوك العجم بدءاً من رستم وأسفنديار إلى ملوك

<sup>1</sup> — مصطفى (شاكر): التاريخ العربي والمورخون، دار المعلم للشلايين، بيروت، ط. 3، 1983م، ج 2، ص 96-97.

اليمن فإلاسكندر وملوك الطوائف ومنها إلى الساسانيين الذين شكلوا من الكتاب ويسرد عهودهم حتى مقتل يزدجرد آخر ملوكهم وانتشار الإسلام في إيران.

دون الكتاب في سنة 75 هـ على يد عامر الشعبي وأبوبن القرية وحملت الترجمة الفارسية لهذا الكتاب عنوان «تجارب الأمم في أخبار ملوك العرب والجم».

وقد نسب الكتاب إلى عبد الملك بن قريب الأصمعي المتوفى سنة 214 هـ / 829 م<sup>(1)</sup>، وهناك رأي آخر يأخذ به بعض الباحثين، ويقول كريستنسن أن المحققين الأوربيين يعتقدون أن الكتاب دون في النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى، أوائل القرن الخامس الهجرى. ومن الملاحظ على الكتاب أنه مجموعة تاريخية لا يشبه المصادر التاريخية المدونة بالعربية، كما أن صياغة جمل النص لا تشبه صياغة وإنشاء العصر الذي ينسب له<sup>(2)</sup>، إلا أن أسلوبه سهل واضح يقدم المعلومات بلغة العصر وكأنه لم يكتب إلا قبل عشرين السنين وليس قبل مئات من السنين. أفاد البحث في إقامة مزيد من الضوء على الملوك الساسانيين وسياستهم، بالإضافة إلى أعمالهم المشكّلات التي واجهتهم داخل إيران وخارجها.

#### — سفر نامة.

بعد كتابه سفر نامة أ لهم مؤلفات ناصر خسرو (392 - 481 هـ / 1101 - 1193 م) ويشغل مكانة جغرافية هامة لأن ناصر خسرو كان حريصاً كل الحرص على وصف كل إقليم فرزوته

<sup>1</sup> - مصطفى، ترجمة المسابق، ج 1، ص 145.

<sup>2</sup> - دانش بزوه (محمد تقى): نامة الأرب في أخبار الفرس و العرب، آنجلن آثار و مقابر فرهنگی، جاپ اول، 1375 هـ ، صفحات المقدمة.

وصفاً دقيقاً سواء من الناحية الجغرافية أو السياسية، وتميز أسلوبه ببعده عن التكلف والغالطة، فجاء  
غنياً بالمعلومات واضحة اللغة سهل الفهم وتناول<sup>(1)</sup>.

### — فارس نامة.

لا نعرف كثيراً عن مؤلف فارس نامة، ابن البالخي سوى ما ورد في كتابه من إشارات لا تلتفت  
إلا القليل من الضوء على حياته، وخلاصة ما نعرفه هو أن المؤلف  
من أسرة بلجعية عاشت في إيران، فولد ونشأ في هذه البلاد وإليها تسب (البالخي)، عمل في استيفاء  
ضرائب إيران ثم في الجهاز الإداري لركن الدولة خاتونكين وإلى فارس وخرستان من قبل السلطان  
الستجوقي بركياروق<sup>(2)</sup>.

كلفه السلطان أبو شحاع محمد شقيق بركياروق وولي عهده جاليف كتاب عن تاريخ الملك  
الماضين وأدابهم ورعاياهم، ووصف بلاد إيران ، طبيعتها، وجنوبيتها، وهواءها وما يحيط به، ومقارنة نظام  
الضرائب الذي كان موجوداً في الأرمنية القديمة مع النظام السائد على عهده ، ولما أن ولی العهد قد  
توفي عام 510هـ/1116م، فهذا يعني أن ابن البالخي كان حياً وأن كتابه ألف قبل عام  
510هـ/1116م<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - جمعة، المراجع السابق، ص 41 - 43.

<sup>2</sup> - بركياروق: ابن السلطان ملكشاه بن ألب ارسلان التركى. حكم الدولة الستجوچية بين عامي (485 - 498هـ/1092 - 1104م). الذي ( محمد بن أحمد بن عثمان): سور أعلام النساء، مؤسسة الرimal، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ج 19، ص 195 - 196. (سامuel (أحمد علي): «تاريخ السلاجقة في بلاد الشام في القرنين

الثاني والثالث»، الشركة المحددة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983م، ص 24 - 25.

<sup>3</sup> - ابن البالخي: فارس نامة، تحقيق يوسف الطاهري، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1999م، ص 5 - 8.

أما مصادره فقد نقل عن الطبرى في كتابه المذيل، وعن الأصفهانى في كتابه تاريخ سين ملوك الأرض والآسماء، وكتاب الطبرى مفقود وقد طبع ضمن المجموعة التي حققها محمد أبو الفضل إبراهيم باسم كتاب المستحب من مذيل المذيل. وعلى اعتبار أن المادة المتعلقة بفتح المسلمين لإيران تشبه إلى حد ما المادة الواردة عند البلاذري في كتابه فتوح البلدان، فلا نعلم إن كان ابن البحتري قد نقل عنه، في الكتاب فوائد جمة في أجزاءه التاريخية والجغرافية، هناك الأجزاء التاريخية المتعلقة بإيران التي

تناولت رسالة تسر الأحداث الداخلية للدولة السياسية، النسخة المتوفرة باللغة الفارسية كتبت في طهران عام 1311هـ / 1893م. اعتمد تسر في كتابه على مصادر مهمة مثل كتاب دينكرد الذي يتناول الجوانب الدينية في الدولة السياسية. وغيره من المصادر ككتاب فارس نامة الذي كتبه الوزير أبرسمام وتناول فيه تاريخ إيران منذ الإسكندر المقدوني.

تطرق للأحوال الاجتماعية في الدولة السادسية، ومشاركة المرأة في الحياة العامة، مما يؤخذ على الكتاب أن الترجمة الفارسية جاءت مقصورةً تدلّي بعض الإشارات من غير توضيح للحدث التاريخي، كما أنه اعتمد على أسلوب الرواية مما يفقده بعضاً من قيمته العلمية. فقد روى الحكاية ثم على عليها، حتى تعلّم جاء بدون أمثلة تدعمها.

<sup>1)</sup> القصص الفارسية

تعد القصص الفارسية جزءاً من المصادر التي تعتمد في دراسة تاريخ إيران، لأن هناك الكثير من الشخصيات التاريخية الفارسية، والتي كانت شائعة بين الناس، وانتقلت إليهم سيراً بعد حمل، قد دونت

١ - للاطلاع أكثر حول الأدب الفارسي المطرد: بدوي (أمين عبد العليم): القصة في الأدب الفارسي، بيروت، ١٩٨١م. جمهه (بديع محمد): من روائع الأدب الفارسي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

باليهلوية، وجمعت في أواخر العصر الساساني، فكانت مادة غزيرة للشعر القصصي، والحكايات والحكم، وأصبحت هذه المادة مصدراً للمؤلفات العربية، والفارسية التي تناولت تاريخ إيران قبل الإسلام.

هذا وقد أشار المصنفوون "المؤرخون" العرب إلى أسماء كتب كثيرة نقلت عن اليهلوية<sup>(1)</sup>، منها كتب النصائح، وبعضها الآخر حكايات عن تراث الأجداد والملوك، ومن أعم الآثار البهلوية غير الدينية كتاب "حدای نامک" أو كتاب الملوك وهو المصدر الأول للشاهدنة التينظمها الفردوسي، وغيره من شعراء الملائكة في العصر الإسلامي.

عاش أبو القاسم الفردوسي مأين عامي 329-411هـ / 941-1020م، وبعد من أشهر شعراء الفرس في عصره، فهو ناظم كتاب الملوك "الشاهدنة"، وعند أبعاد الفرس، ويقال بأنه أتم نظم الشاهنة خلال خمسة وثلاثين عاماً، كان آخرها عام 400هـ / 1010م، وبلغ عدد أبياتها مأين مائتين ألف وستين ألف بيت شعري<sup>(2)</sup>.

وتضم الشاهنة معظم ما وعى الفرس من أساطيرهم وتاريخهم من أقدم عهودهم حتى اللعن الإسلامي، وهي مرتبة ترتيباً تاريخياً، فحينما تذكر الأسرة تبدأ بأول ملوكها فتووضح تاريخهم وما كان في عهده من الأحداث، ثم تذكر الملك الثاني، وهكذا، حتى نهاية الأسرة. وقد قسمت الشاهنة تاريخ

1 - لقد أشار ابن الددم صاحب الفهرست إلى أسماء كتب عربية كثيرة نقلت عن اليهلوية، انظر: ابن الددم، كتاب الفهرست، بيروت، ط3، 1988م، ص305.

2 .. الفردوسي (متصور بن فخر الدين): الشاهنة، ترجمة الفتح بن علي البداري، طهران، ط1، 1970م، ج 1، ص50-70.

الفترس منذ أقدم العصور وحتى الفتح الإسلامي إلى أربع دول<sup>(1)</sup>. 1 - الدولة البيشيدية، 2 - الدولة الكيانية، 3 - الدولة الأشكانية، 4 - الدولة الساسانية.

ومما يوحّد عليها أي على الشاهنامة، أن ما ورد فيها من معلومات قد انتقلت شفهياً جيلاً بعد جيل، مما أضفى عليها كثيراً من الزيادات، فقدات مصاديقها، (ضاعت الحقائق التاريخية فيها)، واحتللت بالأساطير، لذلك لابد من مقارنة روایاتها مع المصادر الأخرى لكي نصل إلى تصور كلي وواضح لها<sup>(2)</sup>. ومع ذلك تعطى

الشاهنامة بمكانة فريدة في تاريخ الأدب العالمي، وتعد مثيّعاً للقراء، إنما ملحمة لا نظير لها عند الأمم الأخرى.

1 - الفردوسي، الشاهنامة، ج 1، ص 73-74.

2 - سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 213.



- الفصل الثاني.
- الحضارة شروطها ومظاهرها.
- الحضارة والحداثة والثقافة.
- حضارات الثقافة.
- الثقافة إنسانية.
- الثقافة مكتسبة.
- الثقافة أفكار وأعمال.
- الثقافة متغيرة.
- الثقافة متعددة المخصوص.
- شروط قيام الحضارة .
- نظريات تنشئ الحضارة.
- نظرية جيوفاني.
- نظرية شباعل.
- نظرية تويني.
- مظاهر الحضارة.
- المظاهر السياسي.
- المظاهر الاقتصادي.
- المظاهر الاجتماعي.
- المظاهر الفكري.
- المظاهر الفني.

- اللغات والكتابة والتاريخ.

- عصور ما قبل التاريخ.

- العصر الحجري القديم.

- العصر الحجري الوسيط.

- العصر الحجري الحديث.

- عصر استخدام المعادن.

- عصر النحاس.

-- عصر البرونز.

- عصر الحديد.

- الحضارة وشروطها ومظاهرها.

- الحضارة والمدنية والثقافة.

الحضارة في اللغة، مشتقة من الحضر، وتعني الإقامة في المدن والقرى فهي علاوة على البدو والبداؤة، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأماكن وسكنوا الديار، والحاضر هو ساكن الحاضرة بخلاف البدوي أي المقيم في البداية.

وفي اللغات الأوروبية تجد أن كلمة Civilization مشتقة من اللغة اللاتينية Civitas التي تعني المدينة أو قد تكون مشتقة مباشرة من ساكن المدينة Civis<sup>(١)</sup>.

ويوضح لنا من ذلك أن كلمة "حضارة" تدل من الناحية اللغوية، سواء في العربية أو في الأوروبية، على نوع خاص من الاستقرار والإقامة في القرى والمدن. ومن المعروف أن الحضارة هي نتيجة تفاعل الإنسان مع البيئة الطبيعية به، فالإنسان يحاول باستمرار إخضاع قوى الطبيعة والاستفادة منها، وما فضة الحضارة إلا قصة صراع الإنسان بما أوتي من عقل وقوة مع قوى الطبيعة لتغييرها لصالحه. فأصبحت كلمة حضارة تطلق على كل إنتاج روحي أو مادي للإنسان سواءً كان إنتاجاً بدنياً أو رأفيًا، ولذلك يمكن القول بأنه لا يوجد مجتمع دون حضارة.

وتشمل الحضارة بمعناها الواسع، كل ما يتعلق بالنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكريّة المسائدة في المجتمع الحضري، أي كل ما يتعلق بتوسيع الحياة وتطورها وأدوارها.

ونحن نعلم أن الإنسان استقر أولاً في قرى صغيرة، ومع مرور الزمن تطورت هذه القرى وتحولت إلى مدن، ففي المدن تجمع ظواهر وخصائص وكفایات لا تجدها في القرى مثل الصناعات والابتكارات والنشاطات الفكرية، وبذلك نصل إلى مفهوم

1 - حدود (جورج): المدخل إلى تاريخ الحضارة، مطبعة الجامعة السورية، 1958م، ص 17.

المدنية أو المدن Urbanization، والذي يدل غالباً على نوع راقٍ من حياة الاستقرار والتحضر.

فالحضارة التي تبدأ في القرى، تنمو وتزدهر في المدن حيث المجال أوسع<sup>(1)</sup>. أما المدينة فتدل على سكن المدن وقد تطور معها حتى أصبح يدل على أقصى ما يصل إليه مجتمع ما، وميدان حضارته خلال عصر ما، وهكذا نجد أن حياة الإنسان انتقلت خلال مراحل التطور الاجتماعي إلى البداوة ثم إلى الحضارة وأخيراً المدينة. على اعتبار أن البداوة تقوم على حياة الحيوان من صيد ورعى، فمن دأبها التنقل وعدم الاستقرار، والحضارة تدل على سكني الحضر والانتظام في مجتمعات تتعاون في معيشتها، أما المدينة فتدل على سكني المدن والانتظام في مجتمعات أكثر تعقيداً ورقىً.

وهناك مفهوم ثالث مرتبط بمعنى الحضارة والمدينة، وهو مفهوم الثقافة، وكلمة ثقافة في اللغة العربية مشتقة من الفعل "تفق" ولهذا الفعل معنian الأول تتفق بمعنى أحد، ظفر، والثاني تتفق بمعنى حدق، فهم، وكلمة ثقافة Culture في اللغات الأوروبية مشتقة من الجذر اللاتيني Cultus وتعني زراعة، أو طريقة حياة، أو تربية، أو دين.

ويتفق العلماء على الأخذ بتعريف العلامة البريطاني تايلور للثقافة الذي يقول فيه: "الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القواعد والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع ما"<sup>(2)</sup>.

1 - عبد الله (فيصل)، مرعي (عيسى): المدخل إلى تاريخ الحضارة، جامعة دمشق، 2007، ص 27.

2 - وصفى (عاطف): الاترولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، ص 65-66.

### - خصائص الثقافة.

يتميز الإنسان عن جميع المخلوقات بقدرته على صنع الثقافة والحفاظ عليها، وكل مجتمع يبني له ثقافة خاصة به تميزه من باقي المجتمعات، وقد يحدث أن يوجد تشابه فوي بين مجتمعين لغة الاتصال بينهما وتشابه المراحل التاريخية والبيئة الجغرافية، وبالرغم من وجود مثل ذلك التشابه فإنه لا يصل أبداً إلى حد التطابق، لأن كل مجتمع تميز ثقافته بطابع خاص، ورغم التباين في الثقافات، فإنه يمكن التحدث عن خصائص عامة للثقافة تشتهر فيها جميع الثقافات وهي:

#### أولاً - الثقافة إنسانية:

يعني أن الإنسان هو الوحيد الذي منحه الخالق جهازاً عصبياً وقدرات عقلية فريدة تتيح له إمكانية ابتكار أفكار وأعمال جديدة، فمثلاً انقلب الإنسان من مرحلة جمع القوت إلى مرحلة الصيد وأخيراً إلى مرحلة الرعي والزراعة دون ظهور تغيرات عضوية تذكر، وإنما الذي تغير هو ثقافته أي بمجموع ابتكاره وأعماله.

#### ثانياً - الثقافة مكتسبة:

بكسب الإنسان الثقافة من مجتمعه الذي يعيش فيه منذ الصغر عن طريق الخبرة الشخصية، مثلاً يستطيع الطفل أن يلقي ثقافة أي مجتمع يبني شري إذا عاش فيه فترة زمنية كافية.

#### ثالثاً - الثقافة أفكار وأعمال:

إن كل عمل إنساني لا يمكن أن يتم ما لم تسيقه فكرة وإرادة التنفيذ، وهكذا لا تخرج العناصر المادية للثقافة عن كونها أفكاراً محسنة في أعمال.

#### **رابعاً - الثقافة متغيرة:**

تتغير ثقافة المجتمعات من وقت إلى آخر، ولكن تختلف درجة التغير وأسلوبه من ثقافة إلى أخرى، فقد يسرى التغيير ببطء شديد وذلك لعزلة المجتمع وصغره في المجتمعات البدائية، بينما يتغير بسرعة في المجتمعات الصناعية.

#### **خامساً - الثقافة متعددة المضمون:**

تشتت الثقافات في مضمونها بدرجة كبيرة في بعض الأحيان، مثلاً إن النظم التي يتبعها مجتمع ما ويعتقد أنها الفضيلة بعينها قد تعد حريمة في مجتمع آخر يعاقب عليها القانون، فالعربي المسلم المقيم في دولة عربية يستطيع أن يتزوج امرأتين في ظروف معينة، أما في الولايات المتحدة بعد ذلك حرمة يعاقب عليها الفرد حتى إذا كان مسلماً<sup>1</sup>.

نستنتج من العرض السابق كله: أن الثقافة هي المحتوى الفكري والفكري للحضارة، ويقصد بها مجموعة من المعارف والمعتقدات والأخلاق والقانون والدين والتقاليد والفنون تؤلف كلاً منصرياً يطبع حياة جماعة عرقية أو دينية، أو اجتماعية.

وثقافة الفرس هي ثاج تاريخهم الذي يمتد جذوره إلى الآلاف الأول قبل الميلاد، وتألف هذه الثقافة من معارف علمية، أكتسبها الفرس "Persian" من تجارهم الحياتية، ومن ممارساتهم لأوجه النشاط العملي الاجتماعي، أو اكتسبوها من حارات البلدان المجاورة التي سبقتهم في مسار التحضر أو من ساكنهم وعايشهم من الغرباء، ومن اللغة والشعر والأمثال والأساطير والقصص وغير ذلك.

ونستطيع القول: إنه لا توجد حدود فاصلة بين الحضارة والمدنية والثقافة، فمعانيها متقاربة، وكثيراً ما تستخدم كلمة حضارة بمعنى مدنية أو ثقافة أو بالعكس.

1 - وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية ، ص 80-83

## - شروط قيام الحضارة:

لقيام أي حضارة وازدهارها لابد من توافر شروط مناسبة كالشروط الجغرافية والاقتصادية فالبيئة الطبيعية المناسبة في منطقة ما كخصوصية التربة، وتوافر المياه، تساعد على قيام حضارة في تلك المنطقة، كما أن الموقع الجغرافي على طرق بحرية أو بحرية كثيرة مما يؤدي إلى قيام حضارة أو لهايتها، والشروط الاقتصادية أساسية وذات أهمية كبيرة في تكوين الحضارة وتقديرها، والإنسان لا يمكن أن ينتقل إلى مرحلة الحضارة إلا بالاستقرار أولاً ومن ثم ممارسة الزراعة، وفيما بعد الصناعة والتجارة وتشكل المدينة.

فالشروط الجغرافية والاقتصادية ضرورية ولكنها لا تكفي وحدها لتكون حضارة، بل لابد من توفر شروط سياسية كوجود نظام سياسي يحمي الجماعة، كما يجب أن يكون هناك مجموعة من النظم الأخلاقية والفكريّة توجه الناس في الحياة وذلك عن طريق التربية والتعليم، بالإضافة إلى اللغة التي تشكل الوسيطة المثلية للتبادل الفكري.

ولا توجد شروط عرقية للحضارة إذ يمكن أن تظهر في أي قارة ولدى أي عرق عندما توافر الشروط المناسبة، فقد ظهرت في عصور مختلفة في مصر وسوريا وبلاط الظاهر وفارس والهند والصين وغيرها.

إذن الحضارة ليست من صنع عرق معين وليس لها وطن محدد، وإنما هي نتاج متكامل للشعوب كلها، تجتمع مع الزمن وتتحدد أشكالاً أرقى من التي كانت سائدة

قبلًا، فحضارة كل شعب تعتمد على حضارات الشعوب السابقة وتضيف إليها ليعلو بذلك صرح الحضارة الإنسانية<sup>(٢)</sup>.

فالحضارة اليونانية والرومانية أخذت واستفادت من حضارات المشرق العربي القديم وأقامت الحضارة العربية الإسلامية أيضًا عن الحضارة اليونانية وحضاريات إيران وألفند والصين، وأضافت وطورت أشياء جديدة، والحضارة الأوروبية المعاصرة اعتمدت عند قيامها على الحضارة العربية الإسلامية التي أخذت عنها الشيء الكثير.

ولذلك فإن إنسان العصر الحالي، وعلى الرغم من تقدم حضارته، مدين لإنسان العصور القديمة ولآخراعاته الأولى التي كانت نقطة البداية في تشوّه الحضارة وتطورها.

كذلك لابد من الإشارة إلى أنه لا يوجد عرق صاف، كما حاول بعضهم الإدعاء، فال المجتمعات البشرية بربتها علاقات اتصال مختلفة سلمية أو عسكرية منذ عصور ما قبل التاريخ.

إن الحضارة تتطور مع الزمن ولكن عملية التطور هذه ليست متصلة ومستمرة، فالحضارة تنشأ في مكان وزمان ما ثم تنهار مؤقتًا أو تختفي نهائً، ففي تاريخ العالم حضارات متعددة معروفة نشأت ثم اغارت، ولكن لا يمكن القول إن أي حضارة من الحضارات هي مركز للحضارات الأخرى، ولكل حضارة سماتها الخاصة بها.

١ - يغصن (جعيل)، عودات (أحمد)، الناطور (شحادة)، مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، دار الامل، أربيل، ط. 1، 1989م، ص 11-12، جدد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص 19-20، عبد الله، مرعي، المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص 29.

## - نظريات نشوء الحضارة:

قام كثيرون من العلماء والfilosofis بالبحث في قضية نشوء الحضارة ونموها وتطورها، وطرحوا عدداً من النظريات التي تعالج هذا الموضوع ذكر منها: نظرية الدورات التاريخية للفيلسوف الإيطالي جيوفاني باتيستا فيكو، ونظرية الفيلسوف الألماني شينغلر، ونظرية الفيلسوف المورخ الإنكليزي أرزوولد توبيني.

### 1- نظرية جيوفاني باتيستا فيكو 1668-1744 Giovanni Battista Vico

قال هذا الفيلسوف بنظرية دورة الحضارات أو "الدورات التاريخية" في كتاب "العلم الجديد ومبادئ فلسفة التاريخ" وملخص ذلك أن حياة كل شعب غير بثلاث أدوار أو مراحل هي:  
أ- الدور الإلهي أو العصر الأسطوري، وهي مرحلة الطفولة في حياة الإنسانية، وتسيطر المعتقدات الدينية على كل شيء، ويسود الاعتقاد أن الآلة تسيطر على كل شيء.  
ب- - الدور البطولي أو عصر الغوة، وهي مرحلة الفتنة في حياة الشعوب، وتظهر فيه الشخصيات المهمة والمقدمة، "الأبطال" الذين يضع لهم عامة الناس.

جـ- الدور الإنساني وهي مرحلة الاكتمال في حياة الشعوب، وهو الحضارة الحقيقة، حيث تتحقق العدالة والمساواة بين الناس، وتسود القوانين.

ثم تتعرض الحضارة بعد هذا الدور إلى الانهيار وتسود الفوضى ثم تنشأ مرة أخرى حضارة جديدة، تمر بالأدوار السابقة ثم تنهار وتنسف و وهكذا تبدأ دورة جديدة<sup>(1)</sup>.

### 2- نظرية أرزوولد شينغلر 1880-1936 Oswald Spengler

1 - حاطم (نور الدين)، طربين (أحمد)، عاقل (نبيل)، مدين (صلاح)، موجز تاريخ الحضارة، دمشق، 1965، ج 1، ص 15 وما بعدها.

عرض شبنغار نظرته في كتابه "اضمحلال الغرب" فقال: "إن للحضارات روحًا مثلها مثل الكائنات الحية تولد وتنمو وتموت، والتاريخ مسرح لعدد كبير من الحضارات التي يسري عليها ما يسري على الكائنات العضوية، أي تنشأ، وتتضح وتذبل وتتفي. فالنarrative إذا لا يسرى في خط يقتلم إلى ما لا نهاية وإنما هو مجموعة دورات حياة للحضارات، ولكل حضارة دورة حياة مقلقة وطريقها الخاصية، وبطبيعة شبيهة بان المضاربة الغربية في طريق الاتصال وسوف يزدوج نجم حضارات جديدة<sup>(1)</sup>.

### ٣— نظرية أرنولد جوزيف توينبي 1889-1975 A. J. Toynbee

عرض توينبي نظرته في كتابه دراسة التاريخ "Study of History"، وحدد حضارات العالم بأكثر من عشرين حضارة، وقد بين فيه كيفية نشأة الحضارات فأكمل بأن سبب نشأة الحضارة ليست البيئة الجغرافية السهلة كما رأى بعض الباحثين، ولا الإنسان وحده كما تقول النظرية الغربية، وإنما تنشأ الحضارة من العلاقة بين الإنسان والبيئة معناها الواسع الجغرافي والمادي والبشري، كما أنها ليست البيئة السهلة؛ وإنما البيئة الصعبة التي تشكل تحدياً للإنسان وتستثير رداً منه يبذل فيه الجهد الفائق، فإذا نجح في ذلك نشأت الحضارة، أي أنها تنشأ من التحدى والردة عليه<sup>(2)</sup>، ثم يذكر أن تاريخ البشرية هو سلسلة من التحديات والاستجابات، ويرى توينبي أن التحديات الطبيعية والبشرية إذا تحاولت حدّاً معيناً فإن رد الفعل عليها لا يكون مجدياً. ويعتقد توينبي أن الحروب هي السبب الرئيسي لأخيار المجتمعات أو الحضارات.

1 - الشيخ (رأفت): تفسير مسار التاريخ، عين للدراسات، مصر، 2000م، ص 188-190. الصباغ (يلى): دراسة في منهجية البحث التاريخي، دمشق، 1988م، ص 340-341.

2 - بدر (أحمد): تفسير التاريخ من الفترة الكلاسيكية إلى الفترة المعاصرة، عالم الفكر، 2001م، العدد 4، ص 29-34. الشيخ، تفسير مسار التاريخ، ص 191-190.

بعد هذا العرض الموجز لأهم النظريات المتعلقة بنشوء الحضارة يمكن القول إن للحضارات فجر وهو عصر بداياتها الأولى، ثم يتبعه عصر من الإزدهار، حيث يسمى العقل البشري، ويأتي بعده العصر الأخير من عمر الحضارة وهو عصر الأضلال والآثيارات الذي يفتقر بعدم القدرة على الخلق والابتكار.

كما يمكن أن تتصل الحضارات مع بعضها، أو تتفق من مكان إلى آخر بطرق سلبية كالتجارة، أو بطرق حربية كالغزو والحملات العسكرية، وقد يكون لها تأثير مدمر للحضارة كما هي الحال في هجوم التتار على بغداد في القرن الثالث عشر، وقد يكون لها تأثير إيجابي كالفتوحات العربية الإسلامية التي نشرت الحضارة العربية الإسلامية في بقاع كثيرة من العالم.

#### - مظاهر الحضارة

تحلى الحضارة بمظاهر متعددة وهي:

- 1 المظاهر السياسي
- 2 المظاهر الاقتصادي
- 3 المظاهر الاجتماعي
- 4 المظاهر الفكري
- 5 المظاهر الفني

ولدراسة أي حضارة من حضارات العالم لا بد من دراسة هذه المظاهر.

#### - المظاهر السياسي:

ويتضمن دراسة هيكل الحكم ونوع الحكومة، هل هي ملكية أم جمهورية، ودستورية أم مطلقة، وديمقراطية أم أرستقراطية دكتاتورية، وبرلمانية أم غير برلمانية، ثم

يتناول بحث نوع الإدارة الحكومية هل هي مرکزية أم لا مرکزية، والإنسان بطبيعته حيوان اجتماعي يخشى العزلة، أو كما قال أرساطو الإنسان حيوان سياسي.

لكن ول دبورانت يعتقد أن الإنسان ليس حيواناً سياسياً عن رغبة منه، وإنما عن اضطراره، لأن العزلة تفرضه للخطر، ولكن على الرغم من أن الإنسان يرحب في الحياة ضمن الجماعة إلا أنه يكره القيد. غير أن المجتمعات، وحتى البدائية منها لا تقبل إلى إقامة تنظيم سياسي وتشكيل دولة، وإنما ترحب في الحياة بدون قيود حتى إن المجتمعات البدائية المعاصرة لا يتعاون أفرادها إلا في حالات خاصة مثل الصيد المشترك، أو محاكمة عدو<sup>(1)</sup>.

والنظريات كثيرة عن أصل الدولة نذكر منها نظرية الأصل العسكري، وقوامها أن الحرب تولد الدولة، وتنشأ الرعيم والملك، ثم هناك النظرية الاقتصادية في أصل الدولة وهي أن الدولة ضرورة لأن العمل في بعض الأماكن كبرديان الأئمار لإقامة المسند وحرف القنوات، يتطلب جهوداً جماعية، وهي تنظم العمل، ألا وهي الدولة، فالدولة تنشأ بسبب ضرورة النظام، وهناك نظرية الأصل التاريخي للدولة، والتي تقول بأن الدولة نشأت نتيجة اتحاد جماعات متفرقة بشكل تدريجي، بالإضافة إلى نظرية الأصل الديني، يعني أن الدولة نشأت بعمل سلطة دينيةنظمتها وأوجدهت القرآنين، وقالت إنها سماوية، ثم وطدت حكمها<sup>(2)</sup>.

## 2- المظاهر الاقتصادي:

ويشمل دائمة مصادر الثروة ووسائل الإنتاج الزراعي والصناعي وتبادل المنتجات، إن بحث هذه النواحي في تاريخ الحضارة هي درama علاقتها بالإنسان وتأثيرها في أساليب معيشته ومختلف جوانب حياته. فالثروة وأسلوب المعيشة ونوعية

1 - عبد الله مرعي، المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص 37.

2 - لمزيد من التفاصيل انظر: حداد، المراجع السابقة، ص 30.

الاقتصاد الذي يعيش فيه الإنسان تؤثر في الحياة الاجتماعية والفكرية والفنية، وقضية انتقال الإنسان من مرحلة جمع القرف و الصيد إلى مرحلة الاستقرار ومن ثم؛ مارس الزراعة ودجن الحيوانات، فأنما بذلك مصدراً لازياج أكثر صلابة وضماناً لحياته، ثم اخترع المتراث واكتشف النار وتعلم صناعة الكثير من أدواته أولاً من الأحجار والتربة "الفارخار" ثم عرف المعادن "النحاس، والبرونز، وال الحديد"، ثم أوجد وسائل النقل وأساليب التبادل فاخترع المدرباب والسفينة.

ومع هذا التطور الذي حصل ظهرت الفوارق بين الناس، فأصبح هناك الفقراء والأغنياء، والقسم المجتمع إلى طبقات فحدث التراغ بينهم، وبدأت حرب الطبقات تظهر خلال تطور التاريخ، واقتضى هذا الصراع الطيفي إلى قيام الدولة لتنظيم طبقات المجتمع وحماية الملكية.

### 3- المظاهر الاجتماعي:

يتناول المظاهر الاجتماعي دراسة تكوين المجتمع ونظمها ومؤسساته وطبقاتها، ونظام الأسرة ومقام المرأة والأداب والأخلاق الاجتماعية، ومختلف العوامل التي تؤثر فيه.

وبما أن الحاجات الأساسية للإنسان هي الحاجة المادية وال الحاجة الروحية وال الحاجة الجنسية، فالتنظيم الاقتصادي يهتم بال الحاجة المادية بينما يهتم التنظيم الاجتماعي بالاحتياجات الروحية والجنسية. ويعتقد بعض الباحثين أن الإنسان في المجتمع البدائي، في مرحلة الصيد كان يعيش بشكل جماعات وليس بشكل عائلات، ثم ظهرت القبيلة التي تطورت إلى تجمعات أكبر وأوسع، وتحولت بدورها إلى الدولة فحدثت العائلة محل القبيلة كأساس الدولة، وبينما اهتمت الدولة بالأمن والنظام، وصرفت العائلة اهتماماً إلى قضية دوام التسلل.

## - دور المرأة:

في مرحلة الصيد كانت المرأة تقوم بسائر الأعمال من جمع الطعام إلى طهيه، وصنع الثياب وغير ذلك من أعمال، بينما كان الرجل يستريح معظم أيام السنة مقابل مصاعب الصيد وأخطاره، ومعظم نواحي التقدم في المجتمع الأول ارتبط بالمرأة من زراعة وتجذين الحيوانات، والحرف والفنون كالخزف والنسيج، ولذلك سادت سلطة الأم في هذه المرحلة.

وعندما تقدمت الزراعة واستخدمت الحيوانات، أصبح الرجل العامل الرئيسي في العائلة، وهكذا ظهرت سلطة الأب وحلت محل سلطة الأم التي كانت سائدة سابقاً، حتى إن الآلة المؤنة لم تصبح مذكورة، وصارت المرأة تابعة للرجل وبذا الزواج كشكل من أشكال الملكية، وأصبحت الأسرة الأبوية هي الوحدة الاقتصادية والسياسية في المجتمع، ويدو أن دور الأم كان محور العائلة الرئيسي، عند ظهور الدولة حيث قامت برعاية الأطفال، والعناية بشؤون الزوج والمتزوج، وبذلك ظهر أيضاً التخصص في الأعمال.

أما من جهة النظم والقوانين الاجتماعية، فكان النظام الرئيسي للمجتمع العادات والتقاليد التي توارثها الأجيال عن بعضها، وهناك المبادئ الأخلاقية التي تحكم بتصوفات الفرد وسلوكه.

## 4- المظاهر الفكرية:

يدرس المظاهر الفكرية كل ما يتعلق بالتفكير والإنتاج الغليق من علوم وأداب، كما يتطرق إلى المعتقدات الدينية.

### - المعتقدات الدينية:

إن أهم أسباب تدين الإنسان هو الخوف من الموت، والحياة والدهشة في أسباب الحوادث التي لا يمكن تعليلها، أو معرفة أسبابها، كالكسوف والخسوف والزلزال والفيضانات، والأمل بمساعدة الآلهة في الوصول إلى ذلك.

كان الاعتقاد سائداً عند الإنسان الأول أن هناك روحانياً في كل كائن حتى تتفصل عن الجسد إيان المرض والنوم والموت، وكذلك الأشياء لها أرواح أيضاً، وإلا فما هو سر حركة الشمس وبعض الظواهر الطبيعية، كالبرق والرعد وغيره، وكان الإنسان البداني يرى أن الجبال والأغار والصخور والأشجار والسماء والشمس والقمر كلها أشياء مقدسة، لأنها علاقات خارجية لأرواح غير مرئية، والمعتقدات الدينية كثيرة وهي علاوية وأرضية وبشرية وحيوانية، فالمعتقدات الدينية قديمة ودائمة.

### - الأدب:

إن الأدب هو التعبير الفني عن فكر الإنسان وعواطفه ووصف نواحي حياته، ومن فروعه الشعر والنشر وعلوم اللغة والتاريخ بما فيه من حوليات وترجم وملونات، والجغرافيا بما فيها من أدب الرحلات، ووصف الأقاليم، وتقاوم البلدان، والفلسفة بمدارسها، وعلم النفس والاجتماع والأخلاق والمنطق، ونطلق كلمة أدب أحياناً على المادة العلمية عندما يتم التعبير عنها بشكل في (١).

### - العلوم:

ت分成 العلوم إلى عدة أنواع أهمها العلوم الطبيعية، والعلوم الرياضية، والعلوم الفيزيائية، والعلوم الطبية وغيرها، كما ت分成 أيضاً إلى علوم نظرية كالرياضيات، وعلوم المدخل إلى تاريخ الحضارة ص 44 وما بعدها.

(١) - لمزيد من التفاصيل انظر: حاطوم، طرين، عاقل، مدنى، موجز تاريخ الحضارة، ج ١، ص 49. عبد الله، مرعي،

تطبيقيّة كالطب والهندسة، ويبدو أن العلوم نشأت كما نشأ الأدب، على أيدي الكهنة، وحنفطت في المعابد، وانتقلت عبر الزمن كجزء من التراث الديني، وتبعة لتحاجة العلمية لها.

#### 5- المظاهر الفن:

ويشمل دراسة الفنون بأنواعها المختلفة كالعمارة والرسم والبحث والغناء والموسيقى وغيرها، وقد كان الفن مكرساً في البداية لخدمة الألهة والكهنة والدين عموماً، ثم دخل في خدمة الملك والحاكم، ولم يسلك منحي مستثلاً إلا في العصور الحديثة، ويمكن القول إن الإنسان يرى الشيء جميلاً إذا أشبع رغبته وحاجاته.

وببدأ الفن من تمجيد الإنسان لجسمه أو جسم المرأة التي يميل إليها، وتصبح الطبيعة جنة إذا اقترنت بمشاعر الإنسان وذكرياته، وبعتقد أن الرقص والغناء كانتا من أقدم الفنون التي عرفها الإنسان، والتي مارسها كثيرون من حماكة للطبيعة، ثم تطور الأمر مع ظهور المجتمعات الأولى المستقرة، وتأسيس المعابد والقصور، ومع مرور الزمن نشأ عن الرقص والغناء الموسيقى والعزف على أدوات معينة ثم ظهر التمثيل.

أما الرسم فتوجد أقدم الأدلة على جدران الكهوف والغاروں التي استوطنها الإنسان البدائي وأحرز تقدماً كبيراً بعد معرفة صناعة الفخار، إذ تحولت سطوح الأواني الفخارية إلى لوحات فنية كما غير الإنسان عن الجمال عند تشييد الأبنية، كالمعابد والقصور مثلاً، ظهرت على جدرانها الرسوم والمحاجوت الرائعة.

نلاحظ مما تقدم أن مظاهر الحضارة كانت موجودة عند الإنسان البدائي باستثناء الكتابة والدولة، فأساليب الحياة الاقتصادية من صيد وزراعة وغيرها موجودة، كذلك بعض تنظيمات الحياة الاجتماعية كالأسرة والقبيلة، وكان هناك أيضاً النظام وأسس الدين والعلوم والأدب والفنون بشكلها البسيط.

أعبراً لا بد من القول: إن المظاهر الحضارية يؤثر بعضها في بعضها الآخر، فالناحية السياسية متلازماً تؤثر في النواحي الاقتصادية والاجتماعية في الحضارة والعكس صحيح.

#### - اللغات والكتابة والتاريخ<sup>(١)</sup>

عرف الإنسان اللغة قبل أن يكتنف الكتابة، واللغة هي وسيلة للتواصل بين الناس، تنفل الأفكار من ذهن المتكلم إلى ذهن المستمع، وهناك نظريات متعددة حول نشوء اللغات، منها أن أسماء الأصوات هي أصل اللغات، وأخرى تقول إن الحركات هي أصل اللغات، ومن المقبول أن الكلمات الأولى التي نطقها الإنسان كانت تقليداً لأصوات سمعها في الطبيعة، وعند نطقه لهذه الكلمات كان يستحضر في عبده صور الحيوانات التي أصدر لها أو ظواهر التي رأقتها.

على أية حال إن تقليد الأصوات الطبيعية ساعد على تكوين مبادئ اللغة، وتميز اللغات البدائية بأنها لغات حسية، أي أنها تعرف الشيء الموجود والمحسوس، وقد تم الانتقال من الأسماء الحسية إلى دلالات معنوية نشأ مع تقدم الفكر، وهو رمز من رموز الحضارة.

إن اللغة وعاء يضم معارف البشرية وغيرها، الذي تنتقل من جيل إلى جيل آخر، فهي كلغة مكتوبة صلة الوصل بين الأجيال المتلاحقة. وقد عرفت البشرية منذ نشأتها عدداً كبيراً من اللغات، بعضها مات والتشرىء، وبعضها الآخر مازال قيد الاستعمال، ومن المجموعات اللغوية المعروفة:

#### ١- مجموعة اللغات السامية: كالأكادية والكنعانية، والمصرية، والأرامية، ... الخ.

<sup>(١)</sup> - فقد اعتمدنا في توضيح النقاط والكتابية والتاريخ على ما كتبه الدكتور عبد مرعي في كتابه المدخل إلى تاريخ الحضارة المذكور سابقاً. ص 46 وما بعدها.

- 2— مجموعة اللغات الحامية: كلغوية الفديعة، والبربرية "الامازيقية" والكروشية، والصومالية.
- 3— مجموعة اللغات المتدوّلة: كالسنوسكريتية، والخنفية، والإغريقية، وغيرها.
- 4— مجموعة اللغات التركية — المغولية.
- 5— مجموعة اللغات الصينية — التبتية.
- 6— مجموعة لغات المندو-المحمر في أمريكا.

وقد انتقل الإنسان من عصور ما قبل الكتابة "ما قبل التاريخ" إلى العصور التاريخية باختراعه الورسيلة التي يدون بها لغته ألا وهي الكتابة. امتنعت الكتابة في نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد في المشرق العربي القديم "الكتابية المسماوية في بلاد الآراميين، والكتابية الهنروغليفية في مصر" وبذلك أصبحت هناك وسيلة تنقل بواسطتها معارف البشرية من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نعرف الكتابة بأنها إشارات ناتجة من تحضير أو رسم أو نقش أو خدش أو ضغط بواسطة أداة للكتابة على مادة مناسبة كالطين أو الحجر أو البردي، أو الجلد، أو الورق، أو غيره. وهي تنقل بذلك الأشعار اللغوري من حيز المسموع إلى حيز المرئي.

وقد عرف القدماء أهمية الكتابة فنسبها المصريون إلى الإله ثوت That إله الحكمة، ومخترع جميع وسائل المعرفة، وعدد البابليون الإله نابو Nabu إله الكتابة،

<sup>(١)</sup> عن أنظمة الكتابة المختلفة، انظر: جاكسون (دونالد): تاريخ الكتابة، ترجمة محمد علام حضر، نشر وزارة الثقافة، سوريا، 2007م. غريغور (بوهانس): تاريخ الكتابة، ترجمة سليمان أحمد القاهر، دار الثقافة، دمشق، 2004م..

واعتمد الصينيون والهنود القدماء بأصل إلهي للكتابة، ونسبتها الأساطير الإغريقية إلى الإله هرمون. تُوضح من ذلك أهمية الكتابة ومكانتها لدى معظم الشعوب القديمة، وتعد الكتابة أهم من اللغة كونها اختراعاً، بينما اللغة ميراث بشرية، وقد اندثرت لغات متعددة، ولا يعرف العالم عنها شيئاً لأنما لم تدون.

ونظراً لأهمية اختراع الكتابة في تاريخ البشرية عددٌ زمن اختراعها حداً فاصلاً بين العصور التي سبقته، والتي تسمى عصور ما قبل الكتابة، أو عصور ما قبل التاريخ، والعصور التي تلته ونسمى العصور التاريخية.

وتعود بلاد الرافدين "العراق القديم" المكان الذي حدث فيه هذا التحول الكبير في حياة الإنسانية، فقد عثر في جنوبه على شواهد أولى محاولات الإنسان الكتابة، وقد سميت تلك الكتابة "الكتابة المسمارية" Cuneiform، لأن أشكال رموزها تشبه المسامير، أو الأسافين.

ومرت خلال تاريخها الطويل بمراحل متعددة من التطور هي<sup>(أ)</sup>:

### 1— مرحلة الكتابة التصويرية Pictography:

وهي أولى مراحل الكتابة حيث كان يجري التعبير عن الأشياء المراد ذكرها بالصور، مثلاً الدائرة تمثل الشمس، والسبلة تمثل الجبوب، وصورة الحيوان تدل عليه وهكذا.

<sup>(أ)</sup> - مروعي (عبد): الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين، مجلة دراسات تاريخية، العددان 41-42، ص 8 وما بعدها.

## ٢- مرحلة الكتابة الرمزية : Ideography

وفيها تطورت الصورة إلى رموز أو إشارات مسمارية لا تعبّر عن المعاني الأصلية للصور المرسومة فقط، بل أيضاً عن أفكار ومعانٍ لها علاقة بالمعنى الأصلي للشيء المرسوم.

## ٣- مرحلة الكتابة المقاطعية أو الصوتية : Phonetics

وفيها تصبح الرموز المستخدمة ذات قيم صوتية تعبر عن كلمات أو شكل جزءاً من الكلمة، مثلاً تكتابية الصوتية ما تزال حتى الآن كتابة مقاطعية خالصة.

## ٤- مرحلة الكتابة الأبجدية : Alphabet

تعد هذه المرحلة تزيجاً للمرحلتين السابقتين، ففي مدينة أوجاريت السورية الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، حيث ازدهرت التجارة والعلوم والفنون المختلفة، استفاد الأوغاريتون من نظامي الكتابة "المسماري الرافدي، والهieroغليفى المصرى"، فاخترعوا أول أبجدية مولعة من ثلاثة حروف مسمارية يكتب الحرف الواحد فيها صوتاً لا مقطعاً ، ويمكن أن يستخدم في كتابة لغات متعددة، وقد تم ذلك في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وبعد ذلك بأربعة قرون "القرن العاشر قبل الميلاد" اخترع نظام أبجدي آخر في مدينة ساحلية أخرى هي حبيل، مؤلف من التين وعشرين حرفًا، وتبسيطه سهولة استخدام هذا النظام فإنه انتشر شرقاً وغرباً، وكتب به لغات متعددة، وهكذا نشأت وسيلة اتصال سهلة بين شعوب الأرض مازالت مستخدمة حتى الآن.

نعت الكتابة أهم إنجاز حضاري توصل إليه الإنسان في تاريخه التطوري، ودفع بالحضارة الإنسانية خطى واسعة إلى الأمام، فهي وسيلة الإعلام الوحيدة التي تتميز بالثبات والديمومة، أي وسيلة نقل المعارف بين الناس والشعوب، وحفظها من دون

تُحَفَّ الْوَقْرَعُ فِي النَّسِيَانِ، وَخَطَرُ الاعْتِمَادِ عَلَى الْذَّاِكْرَةِ الَّتِي تَحْتُونَهُ، وَبِوَاسْطَتِهَا يَضْمَنُ حَفْظَ مَا فَرِيدَ  
مِنْ مَعْلُومَاتٍ وَمَعْرِفَةٍ إِلَى الْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ<sup>(١)</sup>.

### التاريخ :Chronology

اهتم الإنسان منذ نشأته بالتأريخ وحساب الزمن، وذلك بالاستناد إلى حوادث بارزة في الطبيعة مثل فيضان نهر أو حدوث زلزال أو كارثة، لكن هذا الأسلوب البدائي تغير مع الزمن، فأصبحت بعض الشعوب كالبابليين مثلاً تورّخ استناداً إلى الأحداث التي تجري خلال سنوات حكم الملوك، كان يقال: في السنة التي انتصر فيها الملك على -----، وأرجحت بعض الشعوب كالآشوريين استناداً إلى سنوات حكم أحد الملوكين الكبار.

كان التاريخ قائماً على حساب الزمن اعتماداً على دورة القمر أو الشمس، نشأت وبالتالي تقاويم مختلفة عند الشعوب أساسها الشهر، ومن أشهر التقاويم التي عرفها العالم القديم التقويم السنوي الذي اعتمد العام 312 ق.م، وهو العام الذي سيطر فيه سلوقي الأول على بابل بدليمة تقويمه، والتقويم الحميري الذي اعتمد العام 115 ق.م بدليمة لتقويمه، وهو العام الذي تسلمت فيه فيلة حمير الحكم في اليمن، والتقويم الشمسي المصري الذي تبناه يوليوس قيصر وطبقه في روما في العام 45 ق.م، وعرف بالتقويم اليولياني، والذي أصبح فيما بعد أساس التقويم الميلادي الحالي.

هذا وقد اعتمدت معظم شعوب العالم القديم على دورة القمر في حسابها للزمن، وباستثناء المصريين القدماء الذين اعتمدوا على دورة الشمس، كان العرب قبل الإسلام يؤرّخون نسبة إلى الحوادث الكبرى في تاريخهم، كبناء الكعبة، وعام الفيل ----- الم.

<sup>(١)</sup> - للزيد انظر: هو (أحمد): الأمجاد، نشر الكتبة وأشكالها عند الشعوب، دار الخوار، اللاذقية، 1984، ص 62.

أما الفرس فقد اعتمدوا تقريباً دينياً مع فصل الربع وقسم السنة إلى أثني عشر شهراً، وحمل كل شهر اسم أحد الألة، وهي بالترتيب الآتي:

١— فروردین ، ٢— اردیشت ، ٣— خورداد ، ٤— نیر ، ٥— مرداد ، ٦— شهریور ، ٧— مهر ، ٨— آبان ، ٩— آذر ، ١٠— دار ، ١١— بعن ، ١٢— اسپندار مل.

وقسم الشهر إلى ثالثين يوماً، ويضاف إلى هذه الأيام الثلاثمائة والستين خمسة أيام إضافية توضع في نهاية الشهر الأخير من السنة، وتحمل هذه الأيام أسماء الكائنات الخمسة<sup>(١)</sup>.

#### - عصور ما قبل التاريخ

##### ١- العصر الحجري القديم:

العصر الحجري القديم، أو عصر الباليوليت paléolithique مصطلح مستخدم منذ منتصف القرن التاسع عشر، وهو ذو أصل يوناني، *palaios* قديم و *lithos* حجر، وهو العصر الذي يمثل المرحلة الأولى والأطول من عصور ما قبل التاريخ préhistoire، أي العصور التي سبقت معرفة الكتابة، وتسمى أيضاً العصور الحجرية. بدأ الباليوليت مع ظهور الأدوات الحجرية الأولى، وذلك منذ 2.5 مليون سنة حلت تقريباً، بينما تُورّج نهايةً منه 12000 سنة ق.م تقريباً، وينقسم العصر الحجري القديم إلى ثلاثة لفسم رئيسيّة هي:

أ— مرحلة العصر الحجري القديم الأول (باليوليت الأول) paléolithique inférieur: بدأ منذ نحو 2.5 مليون سنة، وانتهى منذ نحو 200 ألف سنة حلت.

<sup>1</sup> .. كريستنسن، المرجع السابق، ص 159.

بـ - مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط (الباليوليت الأوسط) :paléolithique moyen بدأ منذ نحو 200 ألف سنة مضت، وانتهت منذ نحو 40 ألف سنة مضت.

جـ - مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى (الباليوليت الأعلى) :paléolithique supérieur بدأ منذ نحو 40 ألف سنة مضت، وانتهت منذ نحو 12 ألف سنة ق.م.

لم يكن المستوى الاقتصادي والاجتماعي للجماعات البشرية التي عاشت على امتداد العصر الحجري القديم واحداً، ففيه فروق تطورية شاملة في مختلف مراحله، كما أن النوع البشري قد تطور من مرحلة إلى أخرى، ففي أوائل العصر الحجري القديم الأدنى عاش نمط بدني من البشر، هو ما سمي «الإنسان المامر» Homo-Habilis، ثم تلاه الإنسان المتخصص القائم «الهوموكلوس» Homo Erectus الأكثر تطوراً من النوع السابق. وكان صيد الحيوانات وجمع الثمار ثرية، مصدر عيشه. وفي العصر الحجري القديم الأوسط، ظهر نمط جديد من البشر هو «إنسان النياندرتال» Neanderthal، الذي كان أكثر تطوراً، شكلاً وحضارة، من سلفه، وفي القسم الأخير من العصر الحجري القديم، أي في العصر الحجري القديم الأعلى، ظهر نوع الإنسان العاقل Homo-Sapiens، وهو الجد المباشر للإنسان الحالي، وكان أكثر تطوراً فيزيولوجياً وحضارياً من جميع الأنواع السابقة<sup>(1)</sup>.

إن أقدم آثار عمر عليها في إيران تدل على أن الإنسان كان يعيش في الكهوف حيث كشف كهف تجي بابدا "Tang-i-Pabda" في جبال بختياري عن قبور حجرية تعود هذه المرحلة، وربما استخدم الإنسان أيضاً أدوات مصنوعة من عظام الحيوانات، التي لم تتمكن من الصمود في وجه الزمن فذابت آثارها<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - خيسن (سلطان): العصر الحجري القديم، الموسوعة العربية، دمشق، مجلد 8.

<sup>2</sup> - عصفور، الشرق الأدنى قبل عصورة التاريخية، ص 89.

كما عثر في كهف بحشتو، الذي يقع شرق كرمشاه حوالي 48كم، على الطريق الرئيسي الذي يصل ما بين أكباتانا «هدان» وبابل، على بقايا عظام بشريّة، وعلى كميات كبيرة من السكاكيّن الحجرية ذات التقنية التي تُفرّق مثيلاتها في المناطق الأخرى، ووُجِدَ في كهف هوتو مخلفات أثرية تعود إلى أواخر العصر الحجري القديم الأعلى.

## ٢- العصر الحجري الوسيط:

العصر الحجري الوسيط أو «الميزوليت» mesolithique مصطلح يوناني الأصل، استُخدم منذ نهاية القرن التاسع عشر للدلالة على العصر الحجري الوسيط، الذي يفصل بين العصر الحجري القديم «الباليوليت» الذي سبّقه والعصر الحجري الحديث «النيوليت» الذي تبعه. يختلف الإطار الزمني والمتصوّر الحضاري لهذا العصر حسب المناطق، وهو يبدأ في الشرق الأوسط منذ نحو 12 ألف سنة ق.م، ويستمر حتى 10 آلاف سنة ق.م.

يتميز العصر الحجري الوسيط، الذي يُطلق عليه أيضًا في أوروبا وإفريقيا «الباليوليت الثاني» epi-paleolithique بظهور الأدوات الحجرية الصغيرة جدًا، الميكروليتية، ذات الأشكال الهندسية microlithes-géométriques، التي أتاحتها حضارات عدّة في مختلف الأمكنة والأزمنة، وتميز سكان العصر الحديث بحمل صفات مشتركة بين المجتمعات التي سبّقتهن، وتلك التي أتت بعدهن، فكانوا شبه مستقرّين، بناوا الأكواخ والبيوت البسيطة إلى جانب سكنهم المغارور والملاجي الطبيعية، وجمعوا النباتات وصادروا الحيوانات البرية التي دخلت في العصر اللاحق<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> - محسن (منظّر): العصر الحجري الوسيط، الموسوعة العربية، دمشق، مجلد ٨.

ومن الواقع التي ترجع إلى العصر الحجري الوسيط في إيران، كهف بلت Belt علىه أيضاً كاري كامار باند ويقع على شاطئ بحر قزوين إلى الغرب من مدينة به شهر جموالي مساني كيلومترات، فقد عثر في هذا الكهف على كميات كبيرة من قرون الفرس والآدوات كالغروس والسهام ذات النصال، ويعتقد أن الكهف استخدم منذ القرن العاشر قبل الميلاد، وهناك مواقع أخرى اكتشفت في إيران مثل تل أسياب بالقرب من كرمانشاه وموقع تبة حلبجي داره جنوب هستون وجد تاريخ هذه المواقع ما بين الألف العاشر والثامن قبل الميلاد.

انتازت المجتمعات العصر الحجري القديم والعصر الحجري الوسيط بأن الإنسان قد ارتبط ارتباطاً كاملاً بتطورات البيئة المحلية وتغير المناخ وحياة الصيد وجمع الطعام التي هي من سمات المجتمعات البدائية . وحياة الطعن والارتحال لا تعتبر ميزة ينفرد بها صيادو ذلك العصر فحسب بل هي صفة عامة توجد في كل مكان تحيط ظروفه الجغرافية على السكان احتراف صيد البر أو البحر أو جمع الطعام، وال الحاجة إلى الطعام دائمة هي الدافع الأساسي الذي يحول دون تمنع الصياديون بحياة الاستقرار ، تلك الحياة لا تأتي إلا حينما يكون هناك وفرة في الصيد.

ولعل دراسة مخلفات المساكن وحجمها في العصر الحجري القديم وال وسيط تعطينا فكرة عن صياد الارتحال والنظام الذي كان سائداً بين هذه المجتمعات البدائية، ولعل من أبرز المخرجات التي ظهرت في أثناء العصر الحجري القديم والعصر الحجري الوسيط ما يأتي :

- 1 معرفة بناء الأكواخ والمساكن.
- 2 استئناس الكلب.
- 3 معرفة النار و طهي الطعام.
- 4 نصب الفخاخ وصناعة الشباك.

- 5- استخدام الفوارب كوسائل للنقل.
- 6- اختراع المصايد والأواني الحجرية<sup>(١)</sup>

### **٣- العصر الحجري الحديث:**

العصر الحجري الحديث أو «النيوليت» neolithic مصطلح يوناني الأصل، يتألف من neos وتعني حديث lithos وتعني حجر، استخدم منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريباً للدلالة على العصر الذي يورخ في الشرق القديم، في المرحلة الواقعة بين الألف العاشر والألف السادس قبل الميلاد pre-pottery neolithic ما قبل الفخار pottery neolithic العصر الحجري الحديث الفخاري الواقع بين 8000-10000 سنة ق.م، والعصر الحجري الحديث الفخاري الواقع بين 7000-6000 سنة ق.م.

اتسع مفهوم هذا المصطلح ليدل على تحول حضاري كان الأهم من نوعه في تاريخ البشرية، تمدد في انتقال مجتمعات العصر الحجري القديم (النيوليت) من حياة التنقل والصيد والانقطاع إلى الامتنان ومارسة الزراعة وتدرج الحيوانات، مما قاد إلى نشوء القرى الزراعية الأولى التي ميزت مجتمعات العصر الحجري الحديث، التي أنسحت طعامها بنفسها بعد أن كان أسلافها مستهلكين لحراث الطبيعة البرية، مما شكل انعطافاً جذرياً في التاريخ الإنساني، أطلق عليه الباحثون اسم الثورة الزراعية أو الثورة النيوليتية neolithic revolution.

ليس المقصود بتعبير «ثورة» هنا الانقلاب المفاجئ والسرع الذي أطاح بنمط اقتصادي - اجتماعي قديم، ليأتي بنمط جديد، بل استخدم مصطلح الثورة لتدلالة

---

Beals , R.L , Hoijer , H., Introduction To Anthropology , Macmillan -<sup>١</sup>  
publishing Company .1971 , pp 36- 50.

على عمق وثوبية التحول وأهميته ونتائجها على تاريخ الإنسان والحضارة عامة، مع أنه تحولٌ تدريجي ومترابط في مختلف مراحله<sup>(١)</sup>.

وتعود سيالك قرب كاشان من أبرز المواقع التي تعود للعصر الحجري الحديث في إيران، حيث عثر المقيرون على ثلاثة طبقات هي سيالك ١ وسيالك ٢ وسيالك ٣، وتعود سيالك ١ فقط من بين هذه السويات للعصر الحجري الحديث وفيها عرف الإنسان كيف يبني بيته ويستأنس ماشيته ويزرع أرضه.

لقد ترسخت الزراعة من خلال ظهور القرى الزراعية الأولى التي بُنيت فوق مخططات محددة، وتتألفت من بيوت كبيرة وقوية، فيها الشوارع والمساحات والمدافن والمعابد والمشاغل وغير ذلك من أنماط الأبنية الفردية والجماعية التي تدل على تبلور سلطة اجتماعية جديدة تنظم ثقون تلك القرى وتدبرها.

وقد رافق هذا التحول الاقتصادي تحول اجتماعي عميق آخر دلت عليه القبور والمعتقدات التي تحسنت بالرسوم الحدارية والخلبي والأدوات والتماثيل الإنسانية والحيوانية، التي عكست ممارسات عقائد جديدة ينتها عقيدة «الربة الأم» و«تقديس الأجداد» و«عبادة الثور» التي استمرت زمناً طويلاً في حضارات الشرق القديم.

كما حصل تطور تقني دلت عليه الأسلحة، ولاسيما رؤوس البال، والأدوات الزراعية كالمناجل والفتوons والرمح والأحران، تلا ذلك ابتكار التسخين الذي عُدَّ من أهم إنجازات المجتمعات الزراعية في القسم الثاني من العصر الحجري الحديث، وقد دفن إنسان سيالك موتاه تحت أرضية المنازل في وضع القرفصاء، ويشير الآثار الجزرى المرافق

<sup>1</sup> - محيسن (سلطان): العصر الحجري الحديث، الموسوعة العربية، دمشق، مجلد ٨.

للموتى على اعتقاد الإنسان في هذه المرحلة بالحياة بعد الموت، فزود موته بما يحتاجون خيالهم الأخرى<sup>(1)</sup>.

ومن الواقع الذي ترجع إلى هذه المرحلة، تبة جوران، تبة ساراب، موقع على كوش، تبة سايز، تبة موسيان، تبة حاج فرورز، تبة جيان.

وقد كان للبيئة الغنية بالنباتات والحيوانات البرية، وللمستوى التقني والاجتماعي المتتطور بمجتمعات ذلك العصر، الدور الحاسم في ظهور المجتمعات الزراعية الأولى منذ الألفين العاشرة والتاسعة ق.م، ثم انتقلت الزراعة من المشرق العربي الفليم إلى شمالي إفريقيا في الألف التاسعة ق.م، وإلى جنوب ووسط آسيا أوروبا على امتداد الألف السادس والخامس والرابعة ق.م تباعاً. في نهاية الألف السادس ق.م بدأ الإنسان باستعمال التحاس، وبذلك ينتهي عصر النيلوبت ويبدأ عصر «الكلالكوليثيك» chalcolithique أي العصر الحجري النحاسي الذي يمثل المرحلة الأخيرة في عصور ما قبل التاريخ التي تنتهي نحو الألف الرابعة ق.م<sup>(2)</sup>.

- عصر استخدام المعادن

- عصر التحاس.

عرف الإنسان المعادن منذ العصر الحجري القديم الأعلى وكان التحلس من أول المعادن التي عرفها منذ الألف السابع قبل الميلاد، وزادت معرفته به وبطرق استخلاصه فدخل الإنسان في العصر الحجري النحاسي في مطلع الألف الخامس، واستمر حتى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد وفيه نعرفت بمجتمعات المشرق القديم على

<sup>1</sup> - رمضان، المرجع السابق، ج 1، ص 53. سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 349. عصافور، الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية، ص 90 - 92. عصافور، بحالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 399.

<sup>2</sup> - عصافور، الشرقي الأدنى قبل عصوره التاريخية، ص 92.

معدن النحاس بشكل متزايد واستخدامه في صنع الأدوات، ولكن ذلك لم يلغ استخدام الحجر ومن هنا جاءت تسمية العصر بالعصر الحجري النحاسي كون الحجر أسبق في الاستخدام من النحاس. وتركزت معايير هذا العصر في القسم الشمالي من إيران حتى شمال بلاد الراذدين غرباً<sup>(1)</sup>، وقد توافرت نحاته في مناطق الخليج العربي وزاغروس وطرووس وغيره..

وتطورت مبادئ الحياة على اختلافها وإرداد السكان وانتشرت القرى في مناطق جديدة وأتقن الري الصناعي وأعتمد الزراعة أساس الحياة الاقتصادية حيث عرفوا أنواعاً جديدة من المزروعات كالبقول من عدس وحمص وفول، وزرعوا أشجار منمرة جديدة كالكرمة والتين والزيتون وظهر التفاوت بين الناس في الثروة وخاصة بعض التجار. ومع تطور الإنسان زاد اهتمامه بالمعادن وتعرف على البرونز.

#### - عصر البرونز:

عصر البرونز Bronze Age هو العصر الثاني، بعد العصر الحجري النحاسي، وفق التقسيم الأثري للعصور القديمة. كان كريستيان تومسون Christian Thomson اسماً متاحف كوبنهاغن في الدنمارك أول من ابتكر نظام العصور الثلاثة المتالية: النحاسي والبرونزي والأخدبي، وذلك وفق المادة التي صنعت منها القطع الأثرية التي كانت مخبوطة في ذلك المتحف في مطلع القرن التاسع عشر.

ومع أن النحاس، كان معروفاً منذ الألف السابع ق.م تقريباً، وإرداد انتشاراً في الألفين الخامس والرابع ق.م، فإن البرونز لم يعرف معرفة تامة إلا في مطلع الألف

<sup>1</sup> - كانت إيران منذ أقدم عصورها تستخرج النحاس من مناجمها، وتممله لنفعه في بلاد الراذدين، ونشأت فيها مراكز هامة لصناعة الأدوات النحاسية على نطاق واسع مما جعل بعض العلماء مثل هنري فرانكفورت إلى القول بأن نشأة صناعة النحاس ظهرت في إيران. النظر: أحمد فخرى، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص 200.

الثالث ق.م، وكان ذلك لأول مرة في الشرق القديم في بلاد الرافدين وسمورية ومصر والأنضول وإيران، ثم انتقل هذا المعادن في منتصف الألف الثاني، إلى أوروبا وإلى وسط آسيا وشرفها ( الهند والصين)، بينما لم يعرف البرونز في أمريكا الوسطى (إفرودية إلخ) في الألف الأول ق.م.

والبرونز خليط من معدن التحمس والقصدير، كما يدخل في تركيبه أحياناً الرصاص والتوكاء بنسبة لا تتجاوز عموماً 10%. يتصف بقوّة مقاومة أكبر ولونه أفضّل في التصنيع، كما أنه أقل تعرضاً للتأكل والماكسد. وقد كان انتشاره ثورة حقيقة في عملية تصنيع المعادن وتقدم الحضارة.

اقتصر استخدام البرونز في النصف الأول للألف الثالث ق.م على الأدوات الحقيقة والقادرة وأدوات الزيادة، ومنذ منتصف الألف الثالث ق.م. اتّفت طريقة صنعه، بوساطة تقنيات متقدمة ودقيقة، في أفران ذات حرارة عالية، وأنجح منه كميات كبيرة، واستخدم على نطاق واسع في صناعة الأسلحة والأدوات والأواني والتماثيل وغيرها.

يقسم علماء الآثار عصر البرونز إلى ثلاثة أقسام هي:

- عصر البرونز الباكر أو القديم Early Bronze، ويورخ له بين 3000 و2000 سنة ق.م.
- عصر البرونز الوسيط Middle Bronze، ويورخ له بين 2000 و1600 سنة ق.م.
- ثم عصر البرونز الحديث (المتأخر) Late Bronze، ويورخ له بين 1600 و1200 سنة ق.م.

#### — عصر الحديد

زادت معرفة الإنسان بالمعادن وطرق استخلاصها من فلزاتها بمرور الزمن، وتعرف في الألف الثالث على معادن الحديد فبدأ العصر الحديدي الذي يعد حقبة من

حقب التاريخ بدأت فيما بين 3000 و 1000 ق.م، حيث استخدم الحديد في صناعة الأدوات والأسلحة واستمر استخدامه منذ ذلك العصر حتى يومنا هذا.

وفي حوالي عام 3000 ق.م شرعت بعض شعوب الشرق القديم في طرق خمام الحديد واستعماله في صنع الأدوات، وقامت بزخرفة كثيرة من هذه الأدوات المصنوعة من الحديد بمهارة، وأقدم هذه القطع أنصاف المناجل المصرية ومتشار معد لقطعه بالعرض (متعارض) عمره ألف عـام، وبعض ما خلفه الحثـيون من المخوازم والخليـيـن المصنوعة من الحديد الصلـب، ومع ذلك، ففي عـصر المعـادـن، استمر العـمالـ الـحرـفـيونـ فيـ استـعمـالـ الأـدـوـاتـ الـيدـاـئـيـةـ الـتـيـ يـرـجـعـ عـهـدـهـاـ إـلـىـ آـوـلـهـ العـصـرـ الـحـجـريـ؛ـ لأنـ المـعـدـنـ كـانـ غالـيـ الشـعـنـ،ـ وـكـانـ بـوـسـ المـلـوـكـ رـاـخـارـيـنـ فـقـطـ أـنـ يـتـلـكـرـوـهـ،ـ وـكـانـ يـسـتـعـمـلـ أـسـاسـاـ فيـ صـنـعـ الأـسـلـحةـ.

بدأ الاستخدام الحقيقي للحديد في آسيا الصغرى ما بين عامي 1500 و 1000 ق.م، وانتشر في أجزاء كثيرة من آسيا وأفريقيا وأوروبا، وتکمن الميزة في وفرته، لأن خام الحديد متواجد وواسع الانتشار، وفيه، تخلى التجارون والبناة عن أدوات العصر البرونزي المليوأضـعـةـ وـخـيـرـ الـمـصـفـولـةـ،ـ وـكـانـ باـسـتـطـاعـةـ العـمالـ الـحرـفـيونـ آـنـذـاكـ أـنـ يـشـرـوـهـ،ـ وـاستـعـمـلـواـ الـحـدـدـ عـلـىـ نـطـاقـ ضـيقـ،ـ بماـ فـيـ ذـلـكـ الـخـارـبـ الـحـدـيدـيـةـ.

إن حلول الأدوات الحديدية محل الأدوات البرونزية، واستخدام الإنسان للحديد في صنع أدواته وأسلحة حبيبه على نطاق واسع لم يتم، إلا عندما أصبح ملماً بكيفية استخلاص الحديد من فلزاته، وصار يعني لهذا الغرض الأفران الخاصة، مع بداية ما يسمى تاريخياً بعصر الحديد، الذي تعدد بدايته نحو عام 1200 قبل الميلاد، وما زال مستمراً حتى اليوم.

ويمكنا القول إن استخدام الحديد واستعماله انتشر في أنحاء الشرق القديم بما فيه إيران ما بين القرن التاسع والسابع قبل الميلاد، وأدى استخدام هذا المعدن في صناع

الأدوات إلى ازدياد حجم الإنتاج، مما أدى إلى زيادة التبادل التجاري بين حوض المتوسط غرباً وإلى الهند والصين شرقاً، وشغلت إيران دوراً مهمّاً ومركزاً بسبّب موقعها.



- الفصل الثالث.

-- موجز تاريخ المنطقة قبل الآرين.

- عيلام في الألف الثالث قبل الميلاد.

- الكاشيون في الألف الثاني قبل الميلاد.

- أصل الإبراهيم وموطنهم.

- الكليريون والسكث.

- المليديون.

- تأسيس المملكة.

- الإمبراطورية الفارسية.

- قوروش وتأسيس الإمبراطورية.

-- الحضارة الأخمينية.

- الحياة السياسية والاجتماعية.

- تنظيم الدولة.

- الجيش.

- آداب الفرس وعاداتهم وأخلاقهم.

- الأسرة.

- الحياة الاقتصادية.

- الزراعة.

- الحرف.

- التجارة.

- الحياة المدنية.
- المعتقدات القديمة.
- عبادة الأجداد.
- المبشراوية.
- الديانة الزرادشتية.
- الموت والدفن.
- الفن الأخميني.
- العمارة الفارسية.
- النحت والتزيين.

- موجز تاريخ المنطقة قبل الآرين.

بدأ سطح الأرض الإيرانية يتحدد مظهراً الحالي منذ نحو خمسة عشر ألف عام أو أقل من ذلك. فقد أخذت البلاد تتعرض منذ ذلك الوقت إلى تغير شديد، وبدأ عصر من الجفاف يجعل يطأء محل العصر المطير، وما يزال هذا التغير مستمراً حتى اليوم. وقد لدى تناقض متسبّب بساقط المياه إلى ياطر حربان السبيل والأهمار التي تنقل المياه من الجبال، ولكن ترتب على حركة الرية نراكم المتوضّعات اللاحقة عند مصايفها، فشكّلت مع مرور الزمن عقبات طينية أصبحت مرحلة انتقالية ما بين السهول والوديان الخصبة من جهة، والجبال من جهة أخرى. وفي تلك العصور كان الإنسان يسكن المضائق الإيرانية متّجهاً إلى المغار والكهوف الطبيعية في سفوح الجبال المكسوة بالغابات وفي حبائتها وبغضّها بالأعصار، ولم تكن هذه الكهوف إلا أسرّة وقبوراً قديمة لأنماط باطنية، وقد كشف عن بعض هذه الكهوف في جبال بختياري في غرب إيران عام 1949م لأول مرة، حيث كان الإنسان يمارس حياة الفنس سعياً وراء الغذاء ويستخدم غالباً الحيوانات القوية، وكانت هذه الأدوات حجرية كالمطرقة والبلطة وأدوات أخرى من عظام الحيوانات القوية، وكانت هذه الأدوات غثيّمة كما هي في الطبيعة، فلم يتعرّض إلا إلى تصنيع طفيف بالشطورة السطحية.

ثم بدأ الإنسان باستخدام الطين لصنع الفخار بشكل بدائي، ولم يكن بعد قادرًا على صنع أشياء جميلة، ولم يستخدم إلا ناراً حقيقة لشي الفخار العادي الذي كان يكتسب اللون الأسود من تأثير دخان النار التي كانت تnocد في الكهف نفسه، إما للتهدئة أو لإعداد الطعام، كما عثر على شواهد من الفخار في السهول مما يدفع للاعتقاد بحدوث تحركات بشرية ما بين سفوح الجبال والسهول.

وكان للمرأة دور مهم في هذا المجتمع البدائي، فهي التي كانت تعد النار، وتحمي المخطب، وهي التي صنعت الأواني الفخارية الأولى، وبمحض عما يمكن اعتباره من الشمار والنباتات التي يصبح تناولها طعاماً وغذاءً لها كانت تعرّضه الطبيعة.

ويعود للمرأة الفضل في ملاحظة الحياة النباتية ومواعيد النضوج الموسيي للشمار، التي شكلت أولى الخبرات المعرفية للإنسان وهو في طريقه نحو الحضارة والعلم. وينسب لها المغارلات الأولى معرفة الزراعة على سفوح الجبال القريبة من الكهوف التي كان بأوري إليها الإنسان، بينما لم يحقق الرجل سوى القليل من التقدم في وسائل القص والقصب، وتقنياته وفي أساليب الدفاع، فهذا التفاوت بين دور كل من الرجل والمرأة في المجتمعات الأولى ربما كان الأساس الذي قدم إدارة الأسرة الأم التي ارتفع دورها من الإنجاب والأمومة ومعرفة الزراعة إلى الرعاية الترويجية لافحصت الأم كاهنة بل قرة مقامها فهي رمز الخصوبة، وأضحى الانتساب إلى الأم أسبق من الانتساب إلى الأب الذي لم يؤخذ به إلا بعد وقت متاخر جداً.

إن هذا الدور المميز للأم في المجتمعات الإبرانية الأولى انقل فيما بعد إلى المجتمعات آرية " هندو أوروبية " أخرى عند التفاعل والتمازج بين الأقوام والشعوب على سطح هذه المقدمة الواسعة<sup>(١)</sup>.

ولكن تغير المناخ والجفاف التدريجي أدى إلى حدوث تغيرات عميقية في الشروط الناظمة لحياة الإنسان، فالبيئة المركبة العظمى تقلص اتساعها بعد أن تكونت حول خططاها سهول غنية غطتها النباتات والأعشاب، ومروج خضراء أينعمت في تربة حقيقة من الطمي شديد الخصوبة الذي كانت قد حملته السيلان الخارجية منذ مئات السنين.

ونحركت الحيوانات التي اعتادت على الحياة في البيئة الجبلية المرتفعة نحو المروج الواسعة التي كانت قد نشكلت حديثاً، فلحق بها الإنسان وتعقبها لاصطيادها

<sup>1</sup> - فرزات (محمد حرب)؛ موجز تاريخ نارس وحضارتها، ص 24.

وتآليها والإفادة منها في الطعام وفي الحياة اليومية. وهكذا انقاد الإنسان إلى الظروف الطبيعية الجديدة، فأثر العيش في السهول على اللجوء إلى الجبال.

ومن أهم المظاهر المضاربة التي تغير هذه المرحلة، من مراحل الاستقرار في المضبة الإيرانية، بناء المنازل التي كانت عبارة عن أكواخ بسيطة بنيت من أغصان الأشجار التي غصت بالطين لكي يساعد على تمسكها، وفيما بعد استخدم الطين لبناء جدران البيت، وفي بعض المواقع، كان هذه الجدران أساس من الحجر، واتخذ البيت شكل المستطيل، وتجد آثار تلك المرحلة في المواقع الأخرى التالية: تبة سفالك، تبة حيادن، تلة باكون، تبة جوران، تبة ساراب، تبة حاج فیروز..... الخ.

وسعى الإنسان إلى تطوير أساليب معيشته، فاكتشف الزراعة، إذ تعد سفوح جبال زاغروس من التمناطق الرئيسية التي بدأت تتشكل فيها المجتمعات الزراعية المبكرة، كما استأنس الإنسان بعض الحيوانات مثل الماعز والأغنام والثيران، واستمر في ممارسة الصيد، وهكذا أصبحت حرفة الصيد والزراعة والرعي أهم مقومات الحياة الاقتصادية في الألفين السادس والخامس ق.م، وما بعد.

ومع بداية الألف الرابعة قبل الميلاد، يلاحظ أن جزءاً من إنتاج الإنسان اليومي بدأ يغيب عنه، فاستخدمه في المقاييس والتبادل، وكان هذا النشاط التجاري البدائي يتضمن ما يوجد في البيئة من حيوان ومواد طبيعية، كبعض الأصداف والأحجار الكريمة، وقد عثر في موقع سفالك على أصداف، تبين أن مصدرها منطقة الخليج العربي الذي يبعد ما يقرب من ألف كيلو متر.

أما الموتى، فكانوا يدفنون تحت أرضية المنازل، وربما كان ذلك بسبب تصورهم أن روح الميت تبقى فوق الجسد، ومشاركة الساكرين في البيت وجهازهم الحيوي، وذر

فوق جسد الموتى تراب أهمر، لأنه يعتقد بأن هذا اللون يرمز إلى أندم الذي يعطي الحياة لصاحب الجلة، ويمكن الاستدلال من ذلك على إيمانهم بالحياة الأخرى<sup>(١)</sup>.

وتشير الدلائل الأثرية على أن الفضبة الإيرانية استوطنت منذ فجر التاريخ بأقوام عرقية متقاربة، حتى قدموا الجموعات التي أطلقت اسمها على هذه الفضبة، وهي العناصر التي انفصلت عن الشعوب الهندية الأوروبية، وأطلقن عليها العلماء المختصون اسم العناصر الآرية، التي تعود بأصولها إلى الآله الثالث ق.م.<sup>(٢)</sup>

وتحدى المصادر "الرافدية" الآشورية عن الشعوب الجبلية التي أقامت على أمتداد سفوح جبال زاغروس من الشمال إلى الجنوب، اللوبيون<sup>(٣)</sup>، والغوتيون، والكاشيون، والعيلاميون، وهم ينحدرون جميعاً من أصل مشترك ويتكلمون لهجات متقاربة، وقد أدى الاختلاط الدائم بينهم وبين سكان بلاد الرافين، الذين انتقلوا

<sup>١</sup> - الناصوري (رشيد): المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الأول، بيروت، 1977، ص 151-152.

<sup>2</sup> - العابد (مفيد رائف): معلم تاريخ الدولة الساسانية، دار الفكر، دمشق، 2005، ص 19.

<sup>3</sup> - كان اللوبيون ينتشرُون حول الميادين الهبطية بعديبة السليمانية، وتعدُّ أقدم الإشارات إليهم في الكتابات المسمارية إلى أواخر القرن الثامن والعشرين ق.م، ازداد شأفتهم في عصر سلاة أور الثالثة (2112-2004 ق.م)، وانتشرَ دلالة إيمانهم في العصر البابلي القديم (1900 - 1600 ق.م)، لتشمل جميع التبائل الجبلية هناك.

<sup>4</sup> - كانت مواطن الكوشيون تقع في الجنوب والجنوب الغربي من مناطق اللوبيون، أي في المنطقة التي يخترقها نهر دجلة والعظيم، شهدت مناطقهم حملات أكادية كبيرة، ولكنهم استطاعوا في أواخر عصر الملكة الأكادية الانتشار جنوباً والمسيطرة على مقاييس الأمور في بلاد أكاد، واحتلوا حوالي ثورون من الزمن. انظر: قولهما (خورنوت): المخوريون

تاريخهم وحضارتهم، ترجمة فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب، 2000، ص 31.

فيهم إلى الحياة المدنية، وشكلوا مجتمعات قوية وملك عاربة، إلى الشعور بالخطر وال الحاجة إلى التكامل والتضامن وتشكيل وحدات لها نظم سياسية بصفة مؤقتة.

وأ لأن الصراع كان مستمراً بين الأمم المتحضرة في السهول، وبين البدو والرعاة أشياه البدو في المناطق الجبلية، فكلما حكمت أسرة قوية في بلاد الرافدين زاد الضغط على مسكن المناطق الجبلية، وكلما ضعفت السلطة في بلاد الرافدين، التحدر هؤلاء من الجبال إلى مناطق السهول الغنية يحملونها لفترات مختلفة، فقد يتجهوا في فترات زمنية معينة من افتتاح مراكز الحضارة القديمة، وتقويض الملك التي كانت قائمة، فقد أضعف صراع الأكاديين مع الغوريين، والملوكيين، مملكة أكاد وأدى إلى اهيار الحكم الأكادي "أواخر الألف الثالث قبل الميلاد".

ونجح الكاشيون في تدمير الدولة البابلية الأولى والسيطرة عليها لمدة أربعة قرون من 1570-1160ق.م، ثم أسقطت عيلام الحكم الكاشي في بابل وأقامت مملكة قوية غرب إيران، ودخل الأورارنيون، الذين شكلوا مملكة مهمة حول بحيرة وان في الألف الأول ق.م، في صراع مع الآشوريين<sup>(١)</sup>، وهكذا يمكننا القول إن تاريخ غرب إيران ارتبط دائمًا بكل ما كان يجري في بلاد الرافدين من أحداث.

#### - عيلام في الألف الثالث قبل الميلاد:

تنتد بلاد عيلام القديمة إلى الشرق من جنوب بلاد الرافدين، وكانت حدودها عاضة للستغير المستمر حسب تغير موازين القوى السياسية القديمة في المنطقة، ويمكن القول إن التحوم الشمالية لبلاد عيلام امتدت في أوج توسعها من كرمنشاه الحالية في الشمال — الغربي إلى خراسان في الشمال، وتمثل سلسلة جبال زاغروس الحدود الشمالية — الشرقيّة لبلاد عيلام، ويحدها جنوباً الساحل الشرقي للخليج العربي، ويحدها شرقاً

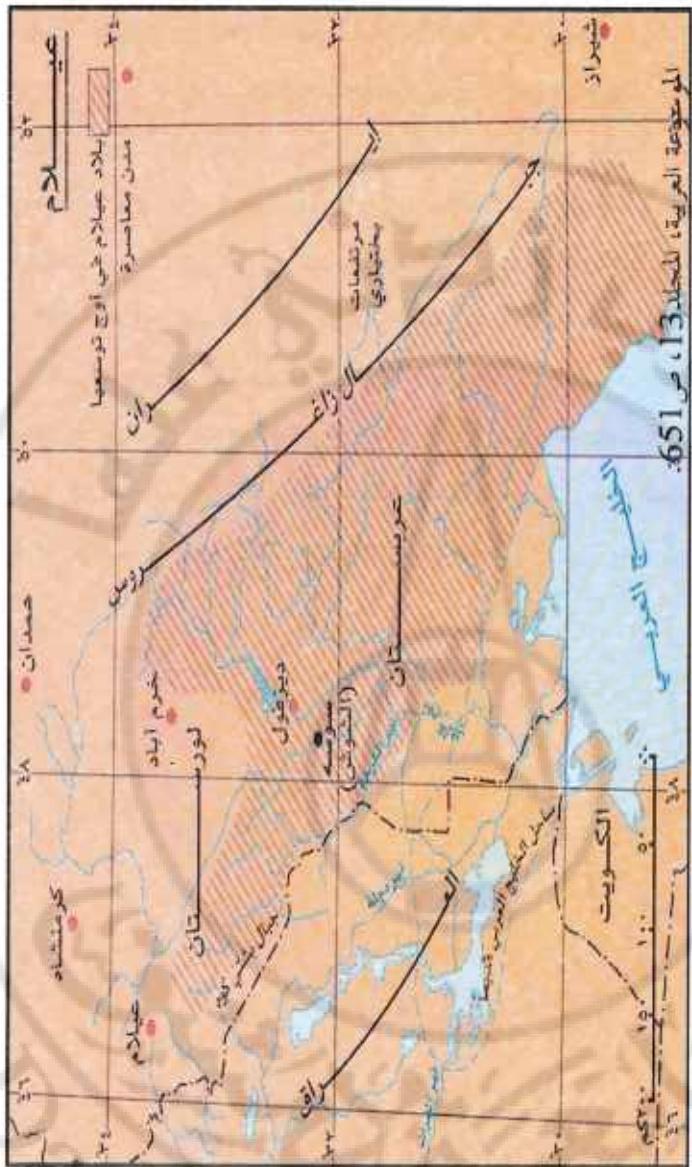
<sup>١</sup> - فرزات (محمد حرب)، مرجع (عيلام): دول وحضارات في الشرق العربي القديم، دمشق، ط١، 1990م، ص 61.

مرتفعات بختاري، وكانت حدودها الغربية أكثر عرضة للتغير، وكان التقليل السياسي للدونية في العراق القديم عاملًا رئيسيًّا في تحديد امتداد الرقعة الجغرافية لبلاد عيلام، وتمثل سهول بلاد عيلام امتدادً طبيعياً للسهول الروسية لبلاد أثراندين، وقد حكم هذا الموقع الجغرافي بالمسار التاريخي للمناطقين في مختلف العصور. وحسب المصطلحات الحديثة فإن بلاد عيلام تطابق تقريباً إقليم خوزستان (خوزستان) الحالي في جنوب غرب إيران.

تشتمل منطقة عيلام على قسمين رئيسين؛ أو هما السهل الروسي، ويعرف تاريخياً باسم «سهل سوسيانا» أو «سهل شوشيانا» نسبة إلى العاصمة العيلامية القديمة سوسه التي تقع فيه. وأنيهما المترتفعات الجبلية الممتدة إلى الشرق من السهل الروسي، وتقع فيها العاصمتان القديمتان الأخرىان لعيلام، وهما إنشان (قرب مدينة شيراز الحالية) وشيماشكي (قرب مدينة خرم آباد الحالية). وتميز السهل الرئيسي فيها بأرضه الغنية الروسية، ويندرج ارتفاع هذا السهل من مستوى سطح البحر عند شواطئ الخليج العربي إلى ارتفاع 170 م عند بداية هضبة لورستان في الجهة الشمالية، وفي أراضي عيلام تختلف أهوار تتبع من جبال زاغروس، تجري في سهل سوسيانا. أما موسم الأمطار فيستمر مدة ثلاثة أشهر في السنة.

وتاريخياً يكتفى الغموض أصل العيلاميين، ومن الصعوبة إيجاد صلة لهم بالشعوب الإبرانية التي قدمت إلى المنطقة في مطلع الألف الأول قبل الميلاد، ومنهم الـليديون والقرس، ذلك أنهم قد سيفوا تلك الأقوام كما يقرب الألفي عام. وفي ضوء الدليل الكتابي الذي تقدمه النصوص المسماوية القديمة، إن العيلاميين كانوا يتكلمون الفارسية العظمى من سكان الإقليم منذ نحو 2600 قبل الميلاد. وهناك باحثون يصرؤون بوجود صلة للعيلاميين بالشعوب الجبلية القديمة في المناطق الممتدة إلى الشمال — الشرقي من بلاد عيلام، ومن تلك الأقوام الـلولويون والـكاشيون. وباستناد هؤلاء الباحثون في بناء رأيهم هذا إلى الصلة ما بين اللغة العيلامية، ولغات تلك الشعوب.

يعود أصل اسم عيلام إلى اللغة الأكادية إذ أطلق الأكاديون اسم «إيلاما» (Elanitu) على هذه البلاد، ومن المرجح أن هذا الاسم مشتق من الجذر الأكادي «الـ» (elu) بمعنى علاً أو صعد، وهذا يكون معنى الاسم «الأرض العالية». وتفق هذه الدلالة مع دلالة الاسم السومري لبلاد عيلام وهو «نِم» (NIM) الذي يعني، باللغة السومرية «المرفع». أما التسمية التي أطلقها العيلاميون أنفسهم على بلادهم، و جاءت في النصوص المسماوية العيلامية القديمة بصيغة «خابري»: المولنة من المقاطع (pir - ti - ha) وتلفظ أيضاً «خاروقي» أو «خابرني»، وهاتك باخترون يعنون إلى قراءتها «خابري» أو «خابرني». وبُعتقد أن هذه التسمية تعني باللغة العيلامية «أرض الإله». وقد أطلقت النصوص الفارسية المتأخرة على بلاد عيلام اسم «أوفايا» (Uvaja) أو «هوفايا» (Huvaja)، وهو الاسم الذي اشتق منه اسم «خوز» ثم «خوزستان» وكذلك «خوزة»، وهي الصيغ المتداولة في المصادر العربية لهذا الإقليم، وتطابق دلائهما مع اسم «عرستان» الحالي.



ولذا كانت عيلام من الناحية الجغرافية تشمل ما يعرف حالياً بـبرستان ولورستان وجبال بشتي؛ فلها من الناحية التاريخية قامت على التحاد مثل مراكز عدة أبرزها العواصم القديمة الثلاث: سوسه، إنشان، وشيماشكي. ويُعرف موقع العاصمة الأولى اليوم باسم الشوش، وبعد تاريخ تأسيسها إلى الألف الخامسة قبل الميلاد، وقد كانت العاصمة الرئيسية في العصر العيلامي الوسيط (1500-1100ق.م)، لكن أهميتها تضاءلت بعد ذلك العصر. واستعادت بعض أهميتها في العصر الآchaean (في منتصف الألف الأول قبل الميلاد) حينما أصبحت إحدى ثلاث عواصم رئيسية مع برسپوليس وإكباتانا (همدان حالياً).

وقد أطلق العيلاميون اسم إزان على العاصمة الثانية إنشان، ويعرف موقعها اليوم باسم تسل مليان وبعد تاريخ هذه المدينة إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، ولم يزل موقع العاصمة الثالثة، شيماشكي، غير معروف ومن بين المدن العيلامية المهمة الأخرى «أوان»، التي ورد ذكرها مراراً في النصوص المسماوية، واقترن ذكرها بسلالة ملكية حاكمة ما بين الأعوام 2500 و 1500 قبل الميلاد. كما حفظت النصوص المسماوية أسماء العشرات من المدن والقرى في عيلام<sup>(١)</sup>.

#### - حضارة عيلام:

هي واحدة من أولى الحضارات الواقعة في أقصى غرب وجنوب غرب إيران في الأرضي، واستمرت الحضارة بين عامي 2700 ق.م. و 539 ق.م. وكانت حاضرها مدينة السوسن القديمة (مدينة شوشان الحديثة) كانت فيما مضى مركز بلاد عيلام - أي الأرض العالية، في هذا الصنع الضيق، أنشأ الشعب العيلامي الذي لا نعرف أصله ولا الجنس الذي يتبعه إحدى المدنitas الأولى المعروفة، وقد وجد

<sup>1</sup> - للتزيد حول تاريخ عيلام انظر: بيروت، تاريخ إيران القديم، ص 38 وما بعدها، رمضان تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 58 وما بعدها، عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 397 وما بعدها.

علماء الآثار آثاراً بشرية يرجع عهدها إلى عشرين ألف عام، كما وجدوا شواهد تدل على قيام ثقافة راقية يرجع عهدها إلى عام 4500 ق.م.

ويبدو أن أهل عيلام كانوا في ذلك الوقت قد تركوا حياة البداوة، وصيد الحيوان والسمك، وكانت لهم أسلحة وأدوات من النحاس، وبزروعن لخبوب وبذون الحيوان، وهم كتابة ووثائق، وحلبي. ومن بين الأدوات مزهريات كاملة الصنع رشيقة مستديرة عليها رسوم أنيقة من أشكال هندسية أو صور جميلة تتمثل الحيوان والنبات تعود إلى العصر الحجري الحديث.

ولا يحمد في عيلام أقدم ما عرف من عجلات المزداف وحسب بل يحمد فيها أيضاً أقدم ما عرف من عجلات المركبات، ذلك أنها لا تغير مرة أخرى على هذه المركبة التي كان لها شأن متواضع، ولكنه شأن حيوي، في نقل المدينة من مكان إلى مكان ، إلا بعد هذا الوقت في بلاد بابل ، ثم بعد ذلك أيضاً في مصر .

انتقل العيلاميون من هذه البدايات المعقدة إلى حياة السلطان والغزو، فاعتلقو سومر وبابل ثم دارت عليهم الدائرة فاستولت عليهم هاتان الدولتان كلتاها بعد الأخرى. وعاشت مدينة السومون ستة آلاف من السنين، شهدت في مخلافها عظمة إمبراطوريات سومر، وبابل، ومصر، وأشور.



ألي من عيلام كشفت في مدينة سومر في إيران عنده  
إلى الآلاف الآلاف قرق للبلاد يتحقق في إيران

و كشفت التنقيبات الأثرية عن وجود فخار حلف (من الألف الخامسة قبل الميلاد) في منطقة عيّلام، وكذلك فخار العيد الذي اكتشف في الطبقات السفلية من موقع مدينة سوسه، وقد عرفت عيّلام صناعة الأختام الأمسطوانية منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، واستمرت في العصور اللاحقة، ولعل أقدم التحوّلات البارزة في عيّلام تعود إلى الألف الرابعة قبل الميلاد، وهي منحوتة كورنican على واجهة حبل، إلى الجنوب من موقع مدينة إنشان، وتطور فيها في النحت الحجمي ونحت المسالات التي أظهرت تأثيراً بمحضارة بلاد الرافدين القديمة.

وفي مجال العمارة انتقلت إلى بلاد عيّلام عمارة زقورة، وهي المعابد العالية المدرجية، وقد اشتهرت في بلاد عيّلام زقوراتان أحدهما في مدينة سوسه، والثانية زقورة جوهرة زينيل، وهو موقع مدينة دور — أوتشاش، التي شيدها الملك العيّلامي أوتشاش — نابريشا (1275—1240ق.م). وفي مجال الكتابة شهدت بلاد عيّلام ابتكار كتابة صورية معاصرة تقريباً للكتابات الأولى من دوري الوركاء وجملة نصر (في حدود 3300—2900ق.م) في بلاد الرافدين القديمة، وقد أطلق عليهما الكتابة «شبة العيّلامية». تلا ذلك ظهور «الخط العيّلامي القديم» وانتشرت اللغتين السومرية والأكادية في بلاد عيّلام، وشيد ملوك عيّلام معابد لأفتمهم في مدينة شوش ومن أهمها زيكورات وجغارنيل في خوزستان، وقد تم العثور على قطع تربة كثيرة فيها مثل الأراني الملونة والتحف اليدوية التي دفنت في القبور قرب قاعدة المدينة وبظاهر تنوّع القطع وتعدد مصادر صناعتها الشخصية أن عدداً كبيراً من الفنانين الصناع كانوا يعيشون فيها.

وبذلك مررت عيّلام خلال تاريخها الطويل بفترات مختلفة ثبت فيها التراث نمواً عظيماً، وحسبنا شاهداً على هذا وصف المؤرخين لما عثر عليه فيها أشور بانيال حين استولى عليها وغنبها في عام 646ق.م من ذهب وفضة، وحجارة كبيرة، وجواهر ملوكية، وثياب ملوكية، وأثاث فخم، ومركمات ساقها الفاخرون وراءهم إلى نبوى. وذكر

المؤرخون هذه المغامم كلها، ولم يحاولوا الانتقاص من شأنها أو الاستخفاف بها. وهكذا بدأ التاريخ دورته المخربة فبدلتها الحرب في وقت تصرير إلى الحزب. واستمرت حضارة عيلام بين عامي 2700 ق.م. و 539 ق.م.<sup>(١)</sup>.

#### - اللغة والكتابة العيلامية:

عرف العيلاميون الكتابة واستخدموها منذ الألف الثالثة قبل البلاد أي قبل أكثر من خمسة آلاف عام وذلك في عهد ملكهم بوزور أنشئ شيشاك الملك الأخير في سلالة ملوك أوان، واستناداً إلى قائمة الملوك التي عثر عليها في سوسة عاصمة عيلام والمملكة بوزور أنشئ شيشاك حكم حوالي عام 2150 قبل الميلاد. استعمل العيلاميون خططاً يسمى الخط العيلامي وهو خط قد تم عرف في بلاد العيلاميين، ويوجد منه تسعة عشر لوحاً محفوظاً حالياً في متحف اللوفر في باريس، كما يوجد إناء فضي في متحف طهران نقشت عليه ستة رموز مخطية عيلامية وهناك حتم من المرمر على هيئة ثور متوج بثلاثة رموز من الخط العيلامي والتي قد تشير إلى اسم شخص ما.

ومن أولى الحلولات لفك رموز الخط العيلامي كانت محاولة والتر هرت الذي حاول ترجمة بعض الألواح وأصدر لائحة بالرموز تشتمل على ستة وخمسين رمزاً أو علاماً كتابية. ظهرت الكتابة العيلامية القديمة بموازاة ظهور الكتابة المسمارية في وادي الرافدين . فمنذ الألف الثالثة قبل الميلاد استخدمت الرموز للكتابة على الطين لتشير إلى الخوب أو الماشي والدواجن والمواد المصنعة من أجل التسجيل والحساب. حوالي عام 2900 قبل الميلاد ظهرت كتابة جديدة في عيلام تسمى الكتابة العيلامية الأولى، وهي تحمل نظام الكتابة البدائي في عيلام.

<sup>1</sup> - لنزيد انظر: زياد المرجع السابق، ص(٥٥) وما بعدها.

وبقى من العadiات والآثار الباقية أنها لأشبه الكتابة المسمارية في وادي الراغدين، بل تتألف من خطوط ودوائر وما زالت النصوص غير مقرؤة إذ لم يستطع خبراء الآثار واللغات فك شفرتها وإنما الكتابة فيها من اليمين إلى اليسار.

استخدمت الكتابة العيلامية الأولى في منطقة جغرافية واسعة تماري رقة إيران الحالية، رقة جغرافية تمتد من سوسة عاصمة عيلام القرية من بلاد الراغدين إلى وادي السندي، أي من الهند إلى عيلام.

بعد متصف الألف الثالثة قبل الميلاد تحولت الكتابة العيلامية الأولى إلى الخط العيلامي، وكان اكتشاف نص مزدوج اللغة أحد السطور من الخط العيلامي والآخر من الأكادية القديمة في عاصمة عيلام سوسة عام 1905 م. قد وفر إمكانية قراءة الخط العيلامي بشكل جزئي حيث يتميز الخط العيلامي بالتعقيد والصعوبة.

إن نظام الكتابة العيلامي نظام مقطعي وصوري وأقدم نص له هو الذي ينسب للملك بوزور أنشوشياك حوالي عام 2200 قبل الميلاد، أما أشهر نموذج للمسمارية العيلامية التي شاعت في العصور المتأخرة فهو النموذج المنقوش على جبل هيسنون.

إن اللوح المنقوش على جبل هيسنون بأمر من الملك داريوس الأول حوالي القرن الخامس قبل الميلاد 500 ق.م نقش باللغة العيلامية، وهكذا فإن اللغة العيلامية كانت موجودة حينها إلى جانب مع اليابالية منقوشة على جبل هيسنون، وقد تحكمت هيبة الرموز المسمارية التابعة لجامعة كاليفورنيا من تحليل حوالي ألف وستمائة نص وأكثر من عشرة آلاف سطر من الكتابات الأولى؛ فحللت ألفا وتسعمائة رمز وصورة كتابية وهو عدد كبير جداً، كما أن بعض النصوص الكتابية العيلامية الأولى البدائية تبدو وكأنها كتابة صورية، بينما تجد نصوصاً أخرى أكثر تطوراً في بنائها وتركيبيها مع بناء منظومة الكتابة دون تطور.

إن أقدم نص عيلامي مساري كان النص الذي يعرف بوثيقة نارام سين أو عهد نارام سين، ويعود للألف الثالثة قبل الميلاد. ومن بين ملوك عيلام الذين دونوا ما يريدون على الألواح المذك أنشاش نايرشا الذي ترك زقورة شيلها في جوغا زنيل، والملك هتل أوتوريش أنثرو شيشاك الذي جآ إلى مدينة أنسان الواقعة على حدود سومة على حافة جبال زاغروس بسبب هجوم الملك البابلي نبوخذنصر عليه(1125 – 1104) قبل الميلاد.

وقد يكون الأكاديون استخدمو المسارية العيلامية في موسعة علماً أن العيلامية المسارية كانت متميزة و مختلفة عن المسارية الأكادية ولها رمزها الخاصة في الألف الثانية قبل الميلاد. وتطورت العيلامية لتصبح الألفباء الميسطة التي استخدمت في الفارسية القديمة. ويورخ اكتشاف الكتابة المسارية في عيلام بحوالي عام 3200 قبل الميلاد، والكتابه العيلامية الأولى تورخ بحوالي عام 3050 قبل الميلاد ولا شك أن الكتابة العيلامية الأولى هي نعْل خديم من اللغة العيلامية التي تستدل عليها من الكتابة العيلامية الأقدم.

ويذهب الباحث غالات إلى أن الحضارة العيلامية كانت عاصفة في أنسان وحوزستان، ومن ثم انتقلت من الشرق إلى شوش غرب إيران ، ويعود تاريخ عيلام إلى 3000 سنة قبل الميلاد، وقد نشبت نزاعات ومعارك متعددة بين حكومة عيلام وحضارات ما بين النهرين سومر وبابل منذ ذلك الرمان حتى سنة 550 ق.م.

أما نزود العيلاميين فقد وصلت ذروته في القرن (13) ق.م، عندما تمكنا من احتلال بلاد ما بين النهرين (العراق)، وأخذوا الحجر الذي كتب عليه قانون حمورابي (مسلسل حمورابي) وأحضاروها إلى شوش عاصمة الإمبراطورية العيلامية، حيث اكتشفت هذه المسلسلة سنة (1902 م )، أثناء حملات التنقيب في شوش (سومه)، ولأن توجد هذه المسلسلة في متحف اللوفر في باريس، إن وجود هذه المسلسلة في عيلام يرجع إلى ما

ـ بقارب الـ 2000 سنة قبل الميلاد عندما انتصر العيلامون على البابليين خلال معارك شرق بابل.

### ـ الكاشيون في الألف الثاني قبل الميلاد:

ال Kashites أو الكاشيون<sup>(١)</sup> شعب هنود أوروبي كان يقيم خلال الربع الأول من الألف الثاني ق.م في مناطق جبال زغروس الوسطى؛ في إقليم لورستان الإيراني. بدأت هجرتهم السلمية إلى بلاد بابل في أواسط القرن الثامن عشر ق.م، بحثاً عن العمل في الزراعة وتربية الحيوان، وصاروا يؤلفون تجمعات خاصة عدّت خطراً على الحكم البابلي، فحاربهم الملك سمسو إيلونا (1749-1712 ق.م)، الذي سي العام التاسع من حكمه عام الجيش الكاشي، وفي هذا دليل على أن الكاشيون بلغوا درجة كبيرة من القوة جعلت الملك البابلي يفتخر بالنصر عليهم ويسجل ذلك في حولياته.

ولكن ذلك لم يمنع اندفاعهم نحو بلاد بابل، فقد استمر في عهود حخلفاته بشكل سلمي، وصار السكان يتقدرون وجودهم لبراعتهم في مجالات العمل، واندماجهم في المجتمع البابلي. وعندما احتل الحشيون بابل في 1595 ق.م، أسيم الكاشيون في ذلك؛ ولذلك سُلم لهم الحشيون حكم البلاد؛ عندما انسحبوا منها بعد شهور معدودة. وقد خضعت بلاد بابل لحكمهم نحو أربعة قرون ونصف (1595-1154 ق.م)، وكان من أبرز مفروضاتهم آحوم ككرمه آحور الشان الستي حكم مطلع القرن 16 ق.م (1602-1585 ق.م)، وقد تقرب من البابليين، وأهتمَ بمحفظاتهم الدينية، ووضع حداً لتوسيع نطاق مملكة سلاطنة البحر في أقصى جنوب بلاد الرافدين. وفي مطلع القرن الخامس عشر حكم أولام بورياش فقضى على مملكة سلاطنة البحر، وضمها إلى حكمه. حيث تحدث إحدى حولياته وتقول أيا جاميلا ملك بلاد البحر خرج إلى

<sup>١</sup> .. للمزيد انظر: مرعي (عبد)، تاريخ بلاد الرافدين، دار الأبيدية، ط ١، ١٩٩١م، ص ٩٣ وما بعده.

عيلام . أولام بورياش أخ كاشتيلاش خرج بقواته، وبعد أن أحضى بلاد البحر فرض سيطرته على هذه المنطقة.

وفي أواسط القرن الخامس عشر وصل كارا إنداش للحكم فقام بناء الكثير من المعابد لآلهة البابلية، وتحاول مع الفرعون المصري تحويل الثالث شخصية ازداد تفوّذ مملكة ميتان الحورية في مناطق الجزيرة السورية، وصاهره، كما اهتم بالشؤون الداخلية والدينية في بلاد بابل التي صارت تسمى «بلاد كردونياش». وخلفه على العرش كدشمان خري 1410-1386ق.م. الذي حارب السوتنين وتابع سياسة هذه كوريكالزو الأول الذي وصل للحكم (خوا 1385-1375ق.م) كما قام بناء عاصمة جديدة سميت نسبةً إليه باسم دور كوريكالزو (قل عفرقوف اليوم، قرب بغداد)، وتألفت من قسمين، وأحيطت بسور، وبنى فيها زفارة ضخمة، مازال جزء منها ظاهراً. كما اهتم بالمعتقدات الدينية الكاشية والبابلية، وحقق الأمان والازدهار الاقتصادي، كما تابع توسيع العلاقات مع مصر، وصاهر الفرعون، ورفض التعاون مع حكام بلاد الشام ضد التفوّذ المصري في بلادهم.

وبهصول كدشمان إليل الأول (خوا 1374-1360ق.م) للحكم تطورت العلاقات الخمسة مع مصر أكثر؛ كما تبيّن مراسلات تل العمارنة، حيث تشير هذه الوثائق إلى انتخاب كسدشمان إليل التي أصبحت زوجة للملك المصري آمنحوتب الثالث 1392-1364ق.م. كما بدأ بتدخل في شؤون بلاد عيلام جنوب غرب إيران. وكان بورنا بورياش (الثاني) (خوا 1359-1333ق.م) سرياً بارعاً، حافظ على حسن العلاقات مع مصر، حيث عاصر حكم آمنحوتب الرابع والستون الأولى والثانية من حكم توت عنخ آمون 1348-1338ق.م، وعاصر حكم الثالث المختى

شوبيلو يوماً، وشهد بدء اختيار مملكة ميتان واستقلال آشور عنها. وتبعه الملك الآشوري إل استياده، فحسن علاقاته معه، وصاهره<sup>(١)</sup>.

ثم دخل الحكم الكاشي مرحلة مختلفة، حيث فوي الآشوريون، وصاروا يتدخلون في شؤونه، كما تجرا العيلاميون على مهاجمة المناطق الجنوبية الشرفية من بلاد بابل، ولم تُحُدْ جهود الملك الكاشييين اللاحفين لإعادة المبادئ الكاشية، وما زاد الوضع سوءاً حدوث أزمة اقتصادية في أواسط القرن الثالث عشر ق.م. أدت إلى اتساع نطاق الفقر وانتشار النهب وازدياد المجرة.

ثم دخل الآشوريون والعيلاميون في صراع حول السيادة على بلاد بابل بدلاً من الكاشييين، وتنافسوا على تعيين بانيين موالين لهم على حكمها. ولكن تامي الخلاف الديني بين أنصار الإله مردوك (البابلي) والإله آشور (الآشوري) دفع السكان إلى الترحيب بالحملات العيلامية، وتعاونوا معهم على اختيار أحد شمَا أصر<sup>(2)</sup> (1215-1186 ق.م.) ملكاً على بلادهم، فحقق المقصود، واستفاد من الصراع الآشوري الداخلي، وشنَّ الحرب على آشور، وأوصل إلى حكمها آشوريا متحالفًا معه.

ازدهرت بلاد بابل في عهد ملِي شبيك (1171-1185 ق.م.)، وحصلت إصلاحات إدارية وزراعية، وانتشرت ظاهرة تحديد ملكية الأراضي بوساطة الأحجار (كودورو)، وبلغ التعايش الكاشي — البابلي أوجه.

حكم زَيَابَا شَمَا إِبُوَنَا الْبَلَاد سَنَة وَاحِدَة (1157 ق.م.) حيث قام الملك العيلامي شُرُك ناخورته فيها بغزو شامل للبلاد، واحتلها، وذهب إلى عاصمته سوسه أعمالاً فنية رسمية ونذر كاربة مهمة، مثل نصب النصر لروم من الأكادي ونصب قواتين حمورابي.

<sup>1</sup> — انظر بد حول تاريخ علام النظر: رمضان تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 72 وما يليها.

فأذ إنليل نادن أخي المعارضة الكاشية -بابلية ضد الاحتلال العيلامي (1156-1154ق.م)، ولقي دعم الشعب، وصمد. ولكن قوات الملك العيلامي الجديد كوسور تابوته سارت إلى بلاده بآعداد ضخمة، و«عصفت بالسكان كالطوفان»، وخربت بابل وأماكن العبادة، وأسرت الملك، وأثبت الحكم الكاشي.

وهكذا فقد الكاشيون دورهم السياسي في بلاد بابل، وتفرقوا، كما لم ينتور شأفهم في موطنهم الأم، وصاروا يولدون جزءاً من التركيبة السكانية في مملكة ماتبـا<sup>1</sup> جنوب بحيرة أوروميا، وظل ذكرهم يتردد في اللدونات الآشورية حتى القرن السابع قبل الميلاد (٤).

<sup>1</sup> - رمضان، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 241.



## - حضارة الكاشيون:

جمع الكاشيون بين مظاهرهم الحضارية الخاصة والمظاهر البابلية. فقد كان نظام الحكم لديهم ملكياً ورائياً، وحظي وجهاء القبائل وقادة الجيش والموظرون الكبار بأهمية خاصة؛ فقد حرموا على المساواة بين الكاشيين والبابليين، واهتموا بالتقاليد القبلية، وتميزوا بدقة التنظيم الإداري، وأضحت الملكية الزراعية معياراً للتصنيف الطيفي في عهدهم.

كان النصر الملكي يسيطر على حق الانتفاع بالأراضي الزراعية وتربية الماشي، وجبايةضرائب. وترتبط به ممارسة الحرف اليدوية الالزمة للمجيش. أما التجارة فكانت تعتمد على المقاييس العينية.

تميز الكاشيون بإبداع استخدام أنصاب حجرية (كودورو) في تحديد الأملكـة الزراعية، حيث كانت تنصب في أماكن محددة، وتدون عليها البيانات الالزمة، وتحت مشاهد فيه تتضمن رسور الألة المعروفة الشاهدة على ما ورد في المدونات.

كان للكاشيين آلة خاصة عبدوها إلى جانب الآلة البابلية الكبرى؛ ولاسيما «مردوك». ومن أبرزها: « Shirib » رئيس الجمع الديني، « شوقامونا » إله الجبل والخرب وحامي الأسرة الحاكمة، وقربيته « شوماليا » سيدة الجبال الطاهرة، « ساخ » إله الشمس، « شيباك » إله القمر، « بورياش » إله الطفـس.

حرص ملوكهم على إبعاد كهان المعابد عن شؤون الدولة، وأرضوهم بالمبادرات. كما اهتموا بترجم المعابد أرقاها، كما دلت على ذلك مكتشفات معابد أوروك وإيسن.

لم يعثر على نصوص كاملة باللغة الكاشية بعد. ولكن ثمة تصور عنها مستخلص من دراسة أسماء الأعلام والمعتقدات والتسميات الكاشية المذكورة في

التصوص البابلية، ومن قواميس موجزة كاشية- أكادية. ويتصفح منها أنها لغة هندور آرية.

كتب الكاشيون باللغتين السومرية والأكادية (البابلية)، واستخدموها الحفظ السماري المقطعي، وأظهروا اهتماماً بالغاً في تعلمه ومارسته؛ ولذلك نشطت حركة التأليف وإعادة نسخ أقدم الأعمال الأدبية وتصنيفها، وغير كثاهم بروح الإبداع والتجدد والأسلوب التعبيري الفني، وثمة أعمال أدبية مطولة ومهمة صيغت في عهدهم؛ مثل: أسطورة الحقن البابلية (إيوما ييليش)، قصيدة لأجدل سيد الحكمة (الدلل بل يقى)، حوارية المعلم وصديقه حول العدل الإلهي، انتهاء دينية وتعويذات.

اهتم الكاشيون بالعلوم الرياضية والفنكية، ووصفوا النجوم وأبعادها وجموعاتها، وعرضوا معلومات عن مواقيع ظهور القمر، وعلاقة الليل بالنهار. وثمة وثائق تبين اهتمامهم بالطب وأساليب العلاج، وتشير إلى وجود مراكز لذلك. كما تم في عهدهم رسم مخطط (جغرافي) لمدينة نبور<sup>(١)</sup>.

#### - أصل الإبرانيين وموطنهم

يعتقد كثيرون من الباحثين بأن الإبرانيين يتبعون إلى مجموعة القبائل الهندوس أوورية أو "الأرية" التي كانت تعيش في السهوب الواسعة جنوب روسيا، وكانت على شكل جمادات قبلية متقللة أشبه ما تكون بالبدو.

بدأت هذه الجمادات القبلية، تماخر من موطنها قبل نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، بسبب تزايد أعدادهم وقصره وتبدل المناخ وقلة الأرزاق، وضيق الأرض بكم، مما اضطرهم إلى ترك موطنهم القديم متشربين في الأراضي الأكثر خصباً وملائمة لهم، وقد

<sup>١</sup> - للمزيد انظر: رمضان تاريخ الشرف الأدن القدم، 238 وما بعدها.

كان تحرّكها على شكل موجات متتالية، ففرع كبير منها اتجه غرباً حول البحر الأسود، إلى آسيا الصغرى والبلقان واليونان وإيطاليا وغرب أوروبا، وفرع آخر من هذه القبائل اتجهت إلى الشرق، ويمكن أن نسمى هذا القسم بالفرع الهندي – الإيري.

فقد توجهت بعض القبائل حول بحر قزوين، وعبرت جماعات منهم القوقاز إلى مناطق الجزيرة العليا في شمال العراق وسوريا، وأختلط القادمون الجديد مع الحرريين الذين شكلوا من احتواهم، وقد تكون من هذا التحالف مذكورة واسعة هي هي مملكة ميتاني، التي امتدت من وديان جبال زاغروس شرقاً إلى منطقة الجزيرة العليا، وبعض أراضي مملكة آشور في بلاد الرافدين، ومن هذا الفرع الشرقي على ما يرجع الكاشيون الذين أسسوا سلالة حاكمة في العراق، كما تحرّكت موجات كبيرة شرقاً عبرت ماوراء هر سبعون، واحتارت بجازات جبال هندوكوش، فنزلت في حوض السند ومنه توغلت في الأراضي التي تقع شمالي هضبة الدهن وجنوبي جبال الهملايا، فانشرت من خليج البنغال شرقاً حتى بحر العرب غرباً، فأطلق عليهم اسم آريا ورتا "Aria - Vrta" أي بلاد الآرين<sup>(١)</sup>.

كما استقر القسم الثاني من هذه القبائل في آسية الوسطى على ضفاف هر "وخشتو" Vaxshiu المقدس المعروف اليوم باسم هر جيرون، وسم موطنهم الجديد "أيرانيه وجاه" Airyana – Vaejah أي موطن الآرين، وبพُطح لنا أن كلاً من القسمين بعد المجرة احتفظ لنفسه باسم "اري" أي الشريف وسمى البلاد التي نزلاها بهذا الاسم القومي.

وأنحدرت موجات من القبائل الآرية توغلت إلى داخل الأراضي الإيرانية مع بداية الألف الأول قبل الميلاد، ثم انتشروا في النجاد والحضاب الداخلية الواسعة التي كانت

<sup>1</sup> - بدوي، القصة في الأدب الفارسي، ص 17.

تسكّنها أسم من أجناس مختلفة، ويستطيعون سلطاقهم وسموّها باسمهم " آريانا" وتحول هذا الاسم في البهلوية إلى "أران" وفي الفارسية الإسلامية إلى إيران<sup>(١)</sup>.

ويرد أول ذكر للقبائل الآرية في المدونات "الكتابات" الآشورية التي تعود للملك الأشوري شلمنصر الثالث 858-824ق.م منتصف القرن التاسع ق.م، ومن بعده خلفاؤه الذين يذكرون أقلم أحضروا عدداً من القبائل منها Mada أي الماديون، و Parsa أي الفرس، وذلك خلال حملاتهم على جبال زاغروس، وكانت هذه القبائل تتقلّب بين بحيرة أورمية ونجد همدان.

وتصف لنا سجلات تحولات بلاتر الثالث 744-727ق.م "عذفازه الماديين بالقم أشداده" كانوا قد انتشروا في حدود هذا الزمن بعيداً إلى الجبال التي ورد ذكرها في المصادر الآشورية باسم جبال "بكن" أي جبال حمر اللازورد، وهي جبال " دعاوند"<sup>(٢)</sup>. وفي الوقت نفسه يذكر أن أمادانا أي "هدان" عاصمة الماديين كانت جزءاً من الأراضي التابعة لآشور<sup>(٣)</sup>. وهكذا يتأكد من هذه الإشارات التاريخية المهمة الواردة في أخبار الملوك الآشوريين من القرن التاسع ق.م، أن بني القبائل الآرية إلى إيران كان في حدود الألف الأول ق.م.

لم نستطع القبائل الآرية التي دخلت الفصبة الإيرانية أن تقدم نحو الغرب، بسبب الحواجز الطبيعية التي ظلّتها جبال زاغروس الصلبة، إضافة إلى أن المنطقة كانت مخصصة بعدد من الدول القوية التي كان قد مضى على وجودها في المنطقة أكثر من ألف عام، ففي أقصى الجنوب من جبال زاغروس كانت تتمدّ أراضي مملكة عيلام، ووراء

<sup>1</sup> - بدوي، القصة في الأدب الفارسي، ص 18.

<sup>2</sup> - باقر (طه): مقدمة في تاريخ المخطوطات القديمة، بغداد، 1956م، ج 2، ص 389-390.

<sup>3</sup> - براون (إدوار): تاريخ الأدب في إيران، ترجمة أحمد كمال الدين حلبي، الكويت، 2001م، ج 1، ص 58.

زاغروس إلى الغرب كانت مملكة بابل قد عادت مرة أخرى للظهور؛ وأما مملكة آشور الواقعة شمال أراضي بابل ، فكانت قاعدتها في حوض نهر دجلة وامتد تفوذاها إلى حوض المخابور في الجزيرة، وسيطرت على منطقة واسعة من آسية الغربية، وفي الشمال الشرقي حول بحيرة "وان" ظهرت مملكة أورارغو التي أصبحت فيما بعد مملكة أرمانيا فأمام هذا الحاجز من الجبال ومن الشعوب والأقوام والدول، كان على القبائل الآرية أن ترتفق قرابة أربعة قرون، لا يستطيعون اختراق ذلك الحاجز، لذلك سعت هذه القبائل لالاندماج بالشعوب القدية المتقدمة، وانتظار الفرصة.

وعكتساً أن تخيل بأن الإبرانيين وصلوا إلى الحضارة مع زوجاتهم وأولادهم وحيواناتهم، وقد انتهزوا انسجامها إلى عدد من الإمارات، فدخلوا في خدمة أمرائها كمحاربين مرتبة، ثم تمكنا في النهاية من الوصول إلى السلطة، وأجروا السكان الأصليين على الخضوع لهم " وأنضموا السكان الأصليين لهم" ، ففتح عن هذا التلاقي والتفاعل حضارة جديدة. إذ بعد أن كانت الحضارة تسودها دوليات مدن أو إمارات، سرعان ما تحولت إلى اتحادات فورية، مالبثت أن تكون ممالك وإمبراطوريات من أقوى الإمبراطوريات التي ظهرت في التاريخ.

#### - الكيميونون والسكثيون:

مجموعات من القبائل اخדרوا من السفوح الجنوبية للسلسلة القوقازية، كأفهم السبل المخارف، ولم تكن هذه القبائل تبحث عن مراجع لقطعاها، بل سعوا إلى القتل والنهب والتدمر، تزلاوا كما يصفهم أحد المؤرخين: "كسيل من نيران البراكين، يحطمون كل مافي طريقهم". وقد ساحت المغوليات الآشورية بعض أخذائهم الخطير، وخاصة

تلك التي جرت على حدود الإمبراطورية الآشورية، بالإضافة إلى ما كتبه المؤرخ الإغريقي هيرودوت عن تلك الفترة<sup>(١)</sup>.

بدأ الكيميريون تحرّكهم منذ أيام شاروكلين الثاني (722-705 ق.م)، عندما هاجموا مملكة أورارتو أولاً، وعانيا في البلاد فساداً، ونشروا الحرب والدمار، ويعتقد أن ملك أورارتو دوسا الأول مات متّحراً في تلك الظروف الفاسدة التي مرت بها بلاده، ثم انقسم الكيميريون إلى قسمين: الأول اتجه نحو سواحل بحيرة أورمية شمال غرب إيران، وبعد فترة موقت نجح هؤلاء بخاربون في صدوف الميديين، أما القسم الأكبر من الفرسان الكيميريون، فقد تابعت غزوها المدمر غرباً باتجاه آسيا الصغرى، حيث استقرت بعد أن تحالفت مع بعض الأقوام الخلدية على الشواطئ الجنوبيّة للبحر الأسود على مقربة من مصب نهر الهايس، وعند بناء سينوب، وجعلوا من هذه المنقطة قاعدة لنهاجة الأرضي الغنية في آسيا الصغرى.

وهؤلاء الكيميريون هم الذين فضّلوا على مملكة فرجيا التي اضطر ملوكها ميدان إلى الالتحار، أما مملكة ليديا فقد قاومت لفترة أطول بمساعدة المدن الأنطوية (الإغريقية)، المطلة على بحر إيجه، ولم تستسلم حتى قتل ملوكها جيّس، وحامت المرحلة الأخيرة من صراع الكيميريون عندما تصدّت لهم آشور بقيادة ملوكها أشور يانيبال الذي استطاع بعد معارك عنيفة أن يقضي عليهم بعد أن استحرّهم إلى مرات كثيرة الوعرة، وهكذا انتدلت سوريا وأسيا الصغرى منهم، أما من تبقى من قلوبهم فقد التحقوا مع أبناء عمّهم السكثيين.

<sup>١</sup> - حول الكيميريون والاسكتث وما قيل عنهم من آراء في وصف عادتهم وأرضهم ومحروهم مع داريوس، انظر: هيرودوت، التاريخ، الكتاب الرابع، ص 293 وما بعد، ص 310-340.

## - السكبيون:

أما السكبيون فهم جزء من جماعات قبالية كانت تنتشر في جنوب رومانيا وشمال البحر الأسود، وقد امتد نفوذهم إلى شمال غرب إيران حول بحيرة أورمية، بعد أن أبعدوا عنهم هجوم الكنعانيين.

وقد ورد ذكر السكبيون إلى جانب المانين والميديين في نصوص العرافة الآشورية التي يرد فيها استطلاع الكهان الآشوريين لنتائج الحملات الموجهة إلى داخل إيران بطلب الخبرات اللازمة للجيش.

وتشير المصادر الآشورية إلى مكان وجود مملكة السكبيون، التي كانت تشغل منطقة شمال غرب إيران حول بحيرة أورمية، المنطقة التي كانت تدعى "أثروباتين" أي أذربيجان الفارسية.

والمرجح أن هيرودوت استقى من هذه المصادر الآشورية بعض معلوماته عن هذه المملكة السكبية، أيام ملكها بارتاتورا، إلا أن هذه المعلومات المتواضعة عن السكبيون تعززها الآن الاكتشافات الأثرية التي ثبتت في بعض مواقع إيران الشمالية، وبخاصة حول بحيرة أورمية<sup>(1)</sup>، كما عثر في منطقة آورستان في إيران على كثير من الأدوات البرونزية المهمة، وهي صناعة إيرانية من أيام السكبيين، وبعضها متأثر بالفن الآشوري، ولكنها تمتاز بالدقّة والاتقان، وتشتمل الحيوانات وتحتل مهاراتهم في

القطع

<sup>(1)</sup> - لقد عثر في مدينة ساكيز في جنوب بحيرة أورمية على كنز في إحدى المقابر، أو في قبر أحد تلوك على مجموعة نحيب من المهررات، تعود لعهد بارتاتورا أو إيرنة، ويعتقد غرشمان أن بعض هذه الخلي جاءته من حليفه ملك آشور، وأن بعضها الآخر كان من صنع الصياغ الآشوريين الذين ذهبوا وأقاموا في بلاده في إيران. Girshman, Iran,

المصنوعة من البرونز، والتي كانت في الأصل أجزاء من أطقم الخيل، أو كانت مثبتة في بعض أدوات القتال<sup>(٤)</sup>.

وقد اعترف ملك مانا بسيعيته لها وكانت لها علاقات طيبة في بعض الأحيان مع الميديين، وكانت تشكل مع أورارتو تحديداً لملكة آشور كان لا بد أن يحسب لها حساب، ويعتمل أن يلتذوا قد طلب يد أميرة آشورية للزواج، ويرجح أمام هذه الظروف الدولية المزحة أن طلبها قد قبل، لأن كلاً من الطرفين كان يرحب لأسباب مختلفة بتوسيع العلاقات مع الطرف الآخر. وفي نفس الوقت الذي كانت فيه مملكة السكثيين في عنفوان قوتها في إيران، خضع لها الكميريون، والميديون، واللاتيين.

#### - الميديون:

تشير المصادر الآشورية إلى أن القبائل الإيرانية "الميدية" قد استقرت وإنما ذات موقعها في المضبة الإيرانية في القسم الشمالي والشمالي الغربي ما بين جبال دمالفاند، وهمدان، وأنتشرت جنوباً حتى أطراف صحراء إيران الوسطى، وحيث المسطقة التي استقرت بها باسم ماد أو ميديا وبذكر هيرودوت، أن أول من وحد القبائل الميدية هو "ديوكليس" أي دياكو وبحلول سנות حكمه بثلاث وخمسين سنة ما بين 655-701 ق.م، وقد خضع للأشوريين، وكان يؤدي ما عليه من حربة بصورة منتظمة، ثم تولى "كتاثريتا" 633-655 ق.م حكم ميديا فوسع حدود الدولة في جهة الشرق، ثم حاول التحالف مع القبائل الآرية الكميريون ، واللاتيين، والسكث الذين كان بعضهم قد استقر في شمال غرب إيران، ثلوفوف ضد سيطرة الأشوريين، لكن هذا التحالف تفكك وهزموا أمام الأشوريين، وانقلب عليهم السكث وفرضوا سيادتهم على ميديا لمدة تزيد عن ربع قرن من 653 - 625 ق.م.

<sup>١</sup> - فخرى، دراسات في تاريخ أشرف القديم، ص 213.

## - تأسيس المملكة

يذكر هيرودوت أن "كيخسار" كيخسرو "584-633 ق.م" الذي نولى زعامة قومه بعد الهزيمة التي ميّزها والده، اعترف بالتبغية للسككت بشكّل مؤقت ثم عمل على إعادة تنظيم جيشه، وأدخل على تشكيلاه كتاب الفرسان الصغيرة المتحرّكة، إلى جانب رماة السهام والمشاة، واستفاد من التجارب القاسية التي مرّ بها الميديون في حربهم مع الآشوريين من جهة، ومع السككت من جهة أخرى، حيث نجح بقيادة حرب حاسمة ضد السككت فهزّهم وأبعدّهم عن أرض المائيون، ورسخ أقدامه حول بحيرة أورمية.

وقد اعترف المائيون بزعامة كيخسار، وأضحت أكباتا "هدازان" عاصمة الميديون ثدين لها بالولاء كل الشعوب الإيرانية الغربية من بحيرة أورمية شمالاً إلى جبال بختياري جنوباً، حيث كانت القبائل الغارسية مستقرة هناك، وبعد ذلك أخذ كيخسار يهياً لمحاجمة آشور.

في سنة 615 ق.م نوجّه كيخسار بقواته نحو العاصمة الآشورية نينوى لاقتحامها ففشل وصدت المدينة المحموم، فاضطر للانسحاب إلى الشمال وتوجه نحو عاصمة آشور القدّرة فاستولى عليها. أما البابليون فقد وصلوا متأخرين للمشاركة في القتال ضد الآشوريين فالملك نبو بولاصر بالملك الميدي كيخسار تحت أسوار مدينة آشور، وأقاما عهد الصداقة والسلام بينهما.

عندئذ أسرع العاشر البابلي نبو بولاصر<sup>(1)</sup> إلى مقابلته وتعزيز التحالف الميدي — البابلي بتزوّج ولد البابلي نبوخذ نصر من الأميرة الميديّة "لميس" ابنة الملك

<sup>1</sup> - نبو بولاصر: كان حاكماً على القسم الجنوبي من بلاد الرافدين من قبل الملك آشور بانيال 668-626 ق.م، لكنه تمكّن من التخلص من التبعية للأشوريين واستقلّ في بابل سنة 626 ق.م. =

للميدي. وفي سنة 612 ق.م تحرّك التحالف الميدي — البابلي نحو العاصمة الآشورية نينوى التي سقطت في أيدي المهاجمين بعد شهرين من الحصار المتواصل، وفر آخر ملوك آشور إلى حران لكنه لم يستطع أن يحتفظ بما تبقى من مملكته أكثر من ستين يوماً رغم المساعدات المصرية، حيث وجهت لها ضرية قاقصمة أطاحت بآشور إلى الأبد، فانحنت كثرة كبيرة عن مسرح الأحداث في الشرق القديم، وورثت الدولتان المنتصرتان ميراثهما.

أما نبو بولاصر فقد اكتفى بوصف ذكرى انتصاره اللامع وبكلمات مختصرة "ذبحت بلد السوباريوم آشور وأخللت أرض العدى إلى أكواه ورميم..... وأرغبت الآشوريين، الذين حكموا منذ زمن بعيد كافة الشعوب والذين جلبوا باستبدادهم التفيل الأذى لشعب الوطن، على ترك (بلاد) أكاد، وخلفت نيرهم."<sup>(1)</sup>

وفي نفس الوقت تقريباً سقطت مملكة أورارتو بيد الميديين، وبعد ذلك اندفع الميديون ببراعة كيحسار نحو الغرب وسط الأناضول فاصطدموا بملكية ليديا حيث دارت الحروب بينهما لمدة خمس سنوات متتالية، وفي السنة السادسة حدث كسوف للشمس عام 585 ق.م — حسب رواية هيرودوت<sup>(2)</sup> — فخاف القادة المتحاربان، واعتقدا أنه تذير شؤم من السماء لهما، فأوقفا الحرب، وقام بلوحة تصر بالتحكيم بينهما، ووقعوا معاهدة للصلح، تعززت بزواج الأمير الميدي أستياحسن ابن كيحسار من

وابس السلالة البابلية الحديثة. للمرید انظر: رو (جورج): العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، نشر وزارة الثقافة والإعلام العراقي، ط2، 1986م، ص502 وما ي隨.

<sup>1</sup> — انظر: رو، المرجع السابق، ص505.

<sup>2</sup> — هيرودوت، التاريخ، ترجمة عبد الإله الملاع، الجامع الفقاهي، الإمارات، 2001م، الكتاب الأول، ص64.

ابنة ملك ليديا، وأضحى نهر الماليس "غزيل أرمات حاليًا" وسط الأناضول يمثل خط الحدود بين الدولتين، وحافظت خليفة كيحسار على تثبيت الحدود بين الدولتين.

خلف كيحسار ابنه أستياجنس (584-550 ق.م)، وهو آخر الملوك الميديين، خول العرش لمدة 34 سنة فقضاه دون فتال، مما جعل قواته تمبل إلى الراحة، وقد ضاق به الميديون ذرعاً لقصوته ووحشينه، مع ميله إلى البذخ وأنفاسه في الألهة والبعث وإهمال أمور الدولة.

وفي بابل عمل الملك نبوخذ نصر على تعزيز دفاعات بابل على حدودها الشمالية، وبذلك تحصينات قوية ومنيعة، على الرغم من العلاقات الوثيقة بين الخلفاء المستعمررين، لأن الشائعات عن الأخطار المهددة لبابل كانت رائجة<sup>(١)</sup>.

وفي عهد نابو نيد آخر ملك بابل تجدد الصراع في المنطقة، فتحاول نابو نيد مع أمير "إقليم فارس" فوروش الثاني الذي تمكن من الانصار على جيش الميديين في المعركة التي جرت بينهما بالقرب من بازر كاده سنة 550 ق.م، ورُفع جده الملك الميدي أستياجنس أسيراً بيده، ثم استولى على العاصمة أربستان "هستان"، فنَّى حوض المملكة المدية. وهكذا انتقلت السيادة إلى فرع آخر من الإيرانيين وهم الفرس.

#### - حضارة الميديين

ليس لدينا الكثير من المعلومات عن حضارة الميديين، ولعل من أسباب ذلك، أن عمر دولة الميديين كان قصيراً، فلم تستطع أن تسهم بقطب كبير في الحضارة الإنسانية، كما أنه لم يترك لنا الميديون شيئاً من الآثار (كالأبنية، المعابد، القصور، التقويم) أو ربما أن التقويم الذي دونت إبان عصر الميديين لم يكتشف النقاب عنها بعد.

<sup>(١)</sup> - المصدر السابق نفسه.

لا نعلم شيئاً عن نظم تلك الدولة، سوى أنها كانت تتألف من عدد من الإمارات والرعايات الصغيرة، وترتبط فيما بينها بروابط إقطاعية.

فالإمارة كانت تتألف من الفلاحين، والرعاة، وعلى رأسهم الأمير الذي يعيش في الحصن مع حاشيته، ويجمع موارده من عائدات أراضيه، ومن ضرائب الصيد والرعى، وأحياناً يرغم على العمل خدمة وأسرته، في ممتلكاته الخاصة، عملاً تفرض عليهم السخرة، وقد يدعون أيضاً لعمل في الأشغال العامة لبناء الطرق، والأقبية، والجسور والتحصينات الدفاعية.

وهكذا بدأت تتشكل حول القصر هيئة اجتماعية، مؤلفة من الأمير وحاشيته وأتباعه ورجال جيشه، وأقيمت علاقات خاصة مع أمراء آخرين، كان يعززها تبادل الزiyارات والهدایا، وعمل الأمير على تعزيز هيمنته على المجتمع بالاستعارة بالكهنة.

"أما الجيش" وأنجله من الفرسان، فقد تحددت وظيفته في الدفاع عن الأمير وحكمه، وفي حابة النظام والأمن في الداخل، وفي شن الغارات والمحاجمات لإضعاف الأمراء الآخرين، والاستيلاء على ثرواتهم وتحصيل الغرامات والغناائم منهم.

فالحياة الاجتماعية هي حياة الزراع، والرعاة، والفرسان، وتتميز الفرسان بحملهم لأسلحة مزينة بالنقوش، وكانتوا يمتطون الخيل على سروج مزركشة، وكان الأغنياء يرتدون ملابس مشغولة وملونة، وليبسون أحذية بمقدمة معتوقة، وقد انتقل الكثير من هذه المظاهر إلى الفرس.

وقد تحنت الأمراء الملياريون بثروات كبيرة، كان من أهم مصادرها جمع المواد الأولية من مناجم التحاس والخدييد وحمر اللازورد، وتحدث المصادر الآشورية باسهاب عن استيراد هذه المواد من وراء زاغروس، وقد دفعت ضرورات التبادل الأمراء الإيرانيين إلى تنظيم التجارة برعايتهم على شاكلة تنظيمها في بابل وآشور، وكانت المواد المرغوب فيها والمدرة للثروة هي المواد الثمينة من ذهب وفضة وأحجار كريمة نادرة، والألماسة النفيسة،

وهكذا أخذت الحرف والتجارة ترفل الزراعة في تعزيز هذه المجتمعات الآرية التي اشتهرت بتربيتها الخيول<sup>(١)</sup>.

أما ديانة الميديين فلم تتوافر لها معلومات عنها، سوى ما ذكره هيروودوت بأن طبقة المغان كانت طائفه من طوائف الميديين الستة، ويعتقد أن عبادة هرموزد كانت شائعة بين الميديين، لكن المغان حروفها يخالقون وسحرهم، وهناك من يرى أن زرادشت الذي كان من الميديين أراد إصلاحهم، وإصلاح عقيدتهم، لكن المغان لم يقلوا ذلك عنه، فهو حمومته وأئمه نحو الشرق لنشر مذهبهم.

ويسائل أحد الباحثين عن الأسباب التي أدت إلى اغتيار المملكة الميدية بهذه السرعة، فيقول: "إن الميديين كانوا دولة قوية وصلوا إلى قدر كبير من التراء، وأن عظماء الدولة قد رفلاوا في حل من الأبيه والنعم، فهان أمرهم ووهنت عزائمهم؛ كما كانوا يسرفون في الإنفاق على مظاهر البلاط، مما أوجب ضرائب جديدة، فعم الظلم وثار السخط بين الناس مما جعل الميديين لا يستطيعون مواجهة الفرس المؤذنين الذين كانوا يعيشون حياة بسيطة، ويتحلون بأخلاق طيبة"<sup>(٢)</sup>.

#### - الإمبراطورية الفارسية:

ذكرت القبائل الفارسية في الحواليات الآشورية منذ القرن التاسع ق.م، وكانت هذه القبائل إلى جانب الميديين في شمال غرب الهندية، ويعتقد أنها انتشرت من الشمال إلى المناطق التي تanaxم الخليج العربي، على طول سفوح جبال بختاري قرب نهر كلرون في الجزء الجنوبي الغربي من إيران.

إن المعلومات عن البدايات الأولى لتشكيل مملكة الفرس فلية، سوى ذكر لزعيمهم المسمى أخيس "هاخانيش" الذي يعتقد أن حكمه كان في بداية القرن

<sup>1</sup> - فرزات، انظر المراجع السابقة، ص 60.

<sup>2</sup> - انظر: بيرتيا، تاريخ إيران القديم، ص 70.

السابع ق.م، وتولى من بعده أبنته "تايسپس"، الذي قسم المملكة بين ولديه إلى إماراتين أو قسمين؛ إمارة "بارسوماش" أي فارس وهي المنطقة المقصورة بين أصفهان وشيراز، وبحكمها الابن الأكبر تايسپس بن أخيه.

بينما حكم في الغرب على امتداد حدود عيلام أبي إمارة إنشان وبحكمها قوروش وكانت تلك الإمارتان تابعتين لنفوذ الميديين بحول أو جليل.

وعندما تزوج الأمير قمبير الأول بن قوروش الأول (559-600ق.م) من أبنة الملك الميدي أستياخس، أخذ يطهو شأن إمارة إنشان وأميرها، وخاصة بعد أن انقر هذا الزوج عن ميلاد قوروش الثاني، الذي سوف يصبح ذاته كبير وبحكم المنطقة الواسعة حول بازر كاده، وكان يدفع الجزيمة بجده أستياخس الملك الميدي.

#### - قوروش وتأسيس الإمبراطورية (529 - 559ق.م)

كان الأمير الفارسي قوروش الثاني حريقاً وذكياً وظموحاً، فبدأ بالانضمام للقبائل الإيرانية المجاورة له، وقام بتوسيع حدود مملكته بمحارب، فتحالف مع نابوبيد ملك بابل الذي كان يسعى لتحرير مدينة حران من سبطية الميديين، الذين كانوا قد استولوا عليها، وقطعوا عليه الطريق التجاري إلى سوريا والمتوسط.

وظهر قوروش الثاني وكأنه يسعى للتحرر من السيطرة الميدية، فأزعجت هذه التحركات الملك الميدي الذي لم يكن راض عن تصرفات قوروش الثاني، فحدث الخلاف الذي تطور إلى صراع ينهما، واستمر الصراع لمدة ثلاثة سنوات، وانتهى بانتصار قوروش وهزيمة الملك الميدي أستياخس واستولى الفرس على العاصمة هيلان وعلى ثروات الميديين سنة 550ق.م، ويعود سبب المعركة إلى اختيار التبلاء والقيادة الميديين إلى جانب قوروش.

افتُهم قوروش بتنظيم وتدريب جنوده، وبخاصة المشاة الرماة الذين كانوا يبدؤون للمعركة ويصيرون بفهمهم من أعدائهم المقاتل، فإذا ما بدأت صفوف العدو تحاذل

أو يدب فيها الارتياك هجم الفرسان من الجنادرين فيجهزون على عدوهم، ولا شك أن الفرس تعلموا تلك الطرق من الأشوريين الذين كانوا من أعظم الجنود المغاربين في الشرق<sup>(1)</sup>.

وبعد انتصاره على الپيديين، بدأ قوروش سلسلة من الحملات العسكرية لتوسيع مملكته بحيث أصبح اسم إقليم فارس يطلق على كل بلاد إيران الحالية، فسميت ببلاد فارس، ليس هذا فحسب بل توجه نحو آسيا الصغرى وكان هدفه مملكة ليديا المغنية. وبدلًا من عبور جبال أرمénية قاد قوروش جيشه بامتداد الطريق الحاذلي جبال طوروس خلال سهل الجزيرة، وبعد أن عبر دجلة جنوب نينوى، زحف غرباً، ماراً بشمال سوريا عبر حران، وقام باحتلال كيليكية التي كانت تابعة هي وحران وقد ذاك لبابل، كاسراً بذلك وثاق الخلاف المعروف مع تابونيد. مما دفع البابليين إلى الانحياز إلى جانب مملكة ليديا المتحالفة مع المصريين حلفائهم التقليديين.

لم يكن يسع أي من الخليفين — المصري أو البابلي — إرسال قوات لنجددة الملك الپيدي كريزوس<sup>(2)</sup>، الذي واجه الفرس وحيداً في خريف عام 547 ق.م، قرب نهر الهايس، ولم تؤد المعركة إلى صالح حاسمة لكلا الطرفين، ولذلك عاد كريزوس إلى عاصمه سارديس Sardes، غبّه قوروش إلى العاصمة وحاصرها، ثم استولى عليها أواخر عام 547 وبداية عام 546 ق.م.

وهكذا اكتسح قوروش مملكة ليديا، واستولى على ثروات لا تُحصى من الملك كريزوس، كانت مكاسبه في العاصمة سارديس، وبعد ذلك تابع قوروش إخضاع المدن الأيونية الواحدة تلو الأخرى، وهكذا استسلمت كل آسيا الصغرى للحكم الفارسي.

<sup>1</sup> - انظر: فخرى (أحمد): دراسات في تاريخ الشرق القديم، نشر مكتبة الأجلو المصرية، ط2، 1990، ص415.

<sup>2</sup> - كريزوس" هو الملك قارون الذي يضرب به المثل بالمعنى والثراء في أمثالنا الشعبية.

وبعد توسيع قوروش هذا أصبحت المملكة الكلذانية البابلية محاصرة من الشرق والشمال وفي الغرب بعد سيطرته على الجزيرة الفراتية.

وفي سنة 539 ق.م، دخل قوروش بابل، بمساعدة الكهنة والتجار والمرابطين الذين فتحوا أبواب المدينة أمام الجيش الفارسي، لأنهم كانوا يأملون في توسيع أعمالهم التجارية والمالية في إمبراطورية أوسع من إمبراطوريتهم، فعزل نبوخذ آخر ملوك الأسرة الكلذانية البابلية، وأعلن قوروش نفسه ملكاً على بابل، ونشر هذه الناصبة بياناً وصثناً نصبه المحفوظ حتى اليوم، وفيه يبعد الحفاظ على النظام القائم في بابل، والاحترام آهاته، ودعم تطوير المدينة<sup>(1)</sup>. وهكذا أنهى قوروش آخر الملوك العربية المسامية في الشرق القديم.

ومن هو جدير بالذكر أن قوروش أظهر مزيداً من العطف تجاه اليهود الذين كانوا في الأسر البابلي متذ زمان شوخذه نصر، وليس من شك في أن هؤلاء اليهود، قد ساعدوا الفرس على احتلال بابل، ورداً للجميل سمح قوروش لهم بالعودة إلى فلسطين وأغدق عليهم العطايا، لذلك عد اليهود قوروش المسيح المخلص لهم الذي أطلقهم من الذل والمهانة التي كانوا فيها<sup>(2)</sup>.

مكث قوروش شتاء عام 539 ق.م في مدينة بابل ثم غادرها إلى أكتافا "هدان" في ربيع 538 ق.م، تاركاً ابنه قمبير مثلاً له في حكم بابل.

اتصف قوروش بالعقل واللزم وسياسة حكمة ومقدرة فذة في الإدارة والتخطي، فكان في الواقع من أعظم الملوك في التاريخ، وقد اشتهر بكرمه وتساهله حق مع أعدائه

<sup>1</sup> - دباقوف (ف)، كوفاليف (س): الحضارات القديمة، ترجمة نسيم البارجي، سوريا، 2000م، ج 1، ص 200.  
نزاله (عديب): الدولة البابلية الحديثة، 539-626 ق.م، دار الاهالي، سوريا، 2001م، ص 162 وما بعد.

<sup>2</sup> - انظر الكتاب المقدس، سفر أشعيا، الأصحاح 45، 3-1.

الذين حاربوه، ونستشهد بالكثير من الحوادث الطريفة التي يذكرها المؤرخ الإغريقي هيروdotus عن معاملته لكريزوس وللبلدان المفتوحة مثل بابل، وسارديس فكان يتحاشى تجريب المدن وقتل السكان<sup>(1)</sup>.

وفي إحدى حملاته البعيدة، في الشمال الشرقي ضد قبائل السكثيت والماساجيت الرحل الذين كانوا يقطنون بين بحر الخزر وبحر آرال، قتل قوروش في إحدى المعارك عام 529 ق.م، وبعد فترة قصيرة نقلت جثته إلى بازر كاده<sup>(2)</sup> في الجنوب ودفن في ضريح أعد له في باذر كاده "قرب برسوليس" التي كانت في يادى الأمر عاصمة بلاد فارس.



٣

<sup>1</sup> - للمزيد انظر: هيروdotus، التاريخ، الكتاب الأول ، ص 70 وما بعدها.

<sup>2</sup> - بازر كاده: هي العاصمة الجديدة التي أنشأها قوروش وتقع إلى الشمال من مدينة برسوليس (اصطخر) بمقدود 50 ميلًا ويعني انتهاؤها في الفارسية (خفيث الفرس) ومكانتها الآن على وجه التحديد الخراب المعروفة باسم شهری مر غاب.

Ghirshman, R., & Herzfeld, Persepolis the Achaemenians Capital, -<sup>3</sup> Tehran, Iran, p22.

## - قميص 522-528 ق.م:

خلف قوروش في الحكم ابنه الكبير قميص "528-522 ق.م"، وكان والده قد أشركه في الحكم في آخر أيامه، وكان يلقب بذلك بابل، وكان لقوروش ابن ثانٍ هو "برديا" الذي كان أبوه قد أودع إليه إدارة المقاطعات الشرقية من الإمارة طورية، فعندما تولى قميص العرش، دبر أمر اغتيال أخيه الأصغر لأنه رأى فيه خطراً عليه كوالٍ على المقاطعات الشرقية، ومع أن قميص اشتهر بغزو مصر لكن الواقع أن أباه هو الذي وضع خطة الغزو وأن وكل إلى ابنه أمر غزية الحملة.

وفي سنة 525 ق.م هاجم قميص المدعوم بجيش بري فوي، وأسطول وضعه تحت إمرته القبيطيون والقبارصة، الجيش المصري في رفح Palusium فلم تهاز وتدافع الفرق الإغريقية في الجيش المصري الدفاع اللازم، وكانت النتيجة هزيمة الجيش المصري، وتتابع الفرس تقدمهم واحتلوا مصر بالكامل، بعد أن وقع الفرعون المصري بساميتك الثالث أسرىً بيد الفرس، فأرسل إلى سومة، ليُقيس فيها أسرًا.

سلك قميص في بادئ الأمر سياسية الاعتدال تجاه المصريين فاحترم آرائهم، وعين موظفاً مصرياً كبيراً على إدارة البلد، وأمر بإحراز بعض الإصلاحات، ثم سار بجيشه نحو الجنوب، واستقر بعض الوقت في طيبة. وهناك فكر في التوسع وأعدخطط، وقرر وهو في مصر أن يرسل ثلاث حملات حربية، الأولى للاستيلاء على قرطاجة، والثانية للاستيلاء على واحة سينوه مقر الإله أمنون، وعلى الطريق الغربي المؤدي إلى ليبيا، والثالثة للاستيلاء على كوش "الحبشة" وقد قادها بنفسه.

الحملة الأولى نشلت، لأن القبيطيين رفضوا تسخير أسطولهم لغزو أبناء جلدتهم وأهلهم القرطاجيين. أما الحملة الثانية والتي قصد منها تأديب كهنة أمنون الذين تبأوا بسوء المصير لقميص وفتحواهاته.

سارت الحملة من طيبة فوصلت إلى الواحات الخارجة، فأخذت ما يلزمها من مون وأدلة، ثم غادرت باتجاه سيه، لكن لم يستطع أحد من الجنود الوصول إليها، أو العودة من حيث جاء، يذكر هيرودوت قصة هذه الحملة ويقول: إن عدد جنودها حسون ألفاً، وربما كان هذا العدد مبالغًا كثيراً فيه، ويزيد قائلاً: وأنباء عبورهم الصحراً تعرض الجيش لعاصفة رملية سقطت فوقهم مشكلة كثباناً رملية فطمرتهم، وهكذا اختفوا إلى الأبد<sup>(1)</sup>.

أما الحملة الثالثة فكان تصيبها الفشل أيضاً، وهلك أكثر الجيش الذي رافق قمبير لنقص الرزق، وبعد المسافة، ويدرك هيرودوت معاناة الجيش وأكلهم للدواجن والخفافيش، ولم يتمكن قمبير من الوصول إلى ما أراده، فعاد مهزوماً نحو الشمال<sup>(2)</sup>.

كان فشل الحملات الثلاث ضربة فاسية لقمبير، وظهرت في مصر بوادر العصيان للأوامر والاستخفاف بمحكمه، فقضى على العصيان والتمرد، وغلى عن سيادة التسامح الدين التي تحلى بها أبوه، فحقّر ديانة المصريين وخرّب معابدهم وتخلّى العجل المقدس أليس في مفيس، فعدت أعماله بألف غير متزنة، ووصف المصادر المصرية سلوكه بأنه ضرب من الجنون واضطراب العقل<sup>(3)</sup>.

#### - داريوش "522-485" م.

مات قمبير بشكل مفاجئ، وهو في طريق عودته من مصر بعد أن تلقى خيراً عن قيام ثورة ضدّه في فارس، فقد أعلن الكاهن جوماناً أنه أخ للملك كان قد أُعلن مفتاحه، وتمكن الكاهن التأثير من الاستيلاء على العرش، وعندئذ قام داريوش المتقدّر من فرع آخر من الأسرة الأخمينية فتمكن من قتل مختصب العرش الكاهن جوماناً،

<sup>1</sup> - انظر: هيرودوت، التاريخ، الكتاب الثالث ، ص 229.

<sup>2</sup> - انظر: هيرودوت، المصدر السابق نفسه، ص 229.

<sup>3</sup> .. باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 2، ص 206.

وأعلن نفسه ملكاً على البلاد اعتباراً من أوائل عام 522 حتى 485 ق.م، وأمضى داريوش العامين الأوليين من حكمه في القضاء على الثورات والتمرادات التي سادت الإمبراطورية عقب وفاة قميزيز، وبخبرنا المثلث داريوش عن ذلك في نقش طويل وتفصيل كتب بالخط المسماوي في ثلاث لغات، المفارسية القديمة، والعيلامية، والأكادية، حيث تتشَّن على صخور بمسنون.

وجاء فيه: "..... لم يجر أحد على التفوّه بشيء ضد جومانا، الساحر حتى أتيت أنا وتسللت .... لأهورا مزدا، فأعانتي أهورا مزدا.....، فقللت بمساعدة رجال فلاتل المدعو جومانا الساحر، وبخبرة الرجال من أتباعه..... وحسب مشيئة أهورا مزدا أصبحت ملكاً"<sup>(١)</sup>.

وبحديث نقش بمسنون، بالتفصيل كيف تحكم داريوش بكل دهاء وحزم من تبيّن دعائم سلطنته، وإنقاذ الإمبراطورية من التفكك، عندما نشبت للثورات المحلية، خاصة في القسم الشرقي من الإمبراطورية، وكيف انتقض فارس ولاد باهل إلى حكمه. "... هذا الذي فرمته فيه عشيّاً وإرادة أهورا مزدا، خلال سنة واحدة، بعد أن أصبحت ملكاً، خضعت غمار تسعة عشر معركة، وبإرادة أهورا مزدا انتصرت فيها جميعاً وأسرت تسعة ملوك...."<sup>(٢)</sup>.

عمل داريوش ستة وثلاثين سنة متواصلة في البناء الداخلي والخارجي لهذه الدولة العالمية، التي امتدت من الحدود الليبية في شمال أفريقيا غرباً والساحل الإيجي حتى نهر الهندوس شرقاً، ومن البحر الأسود وبحر قزوين في الشمال، حتى الخط الهندي في

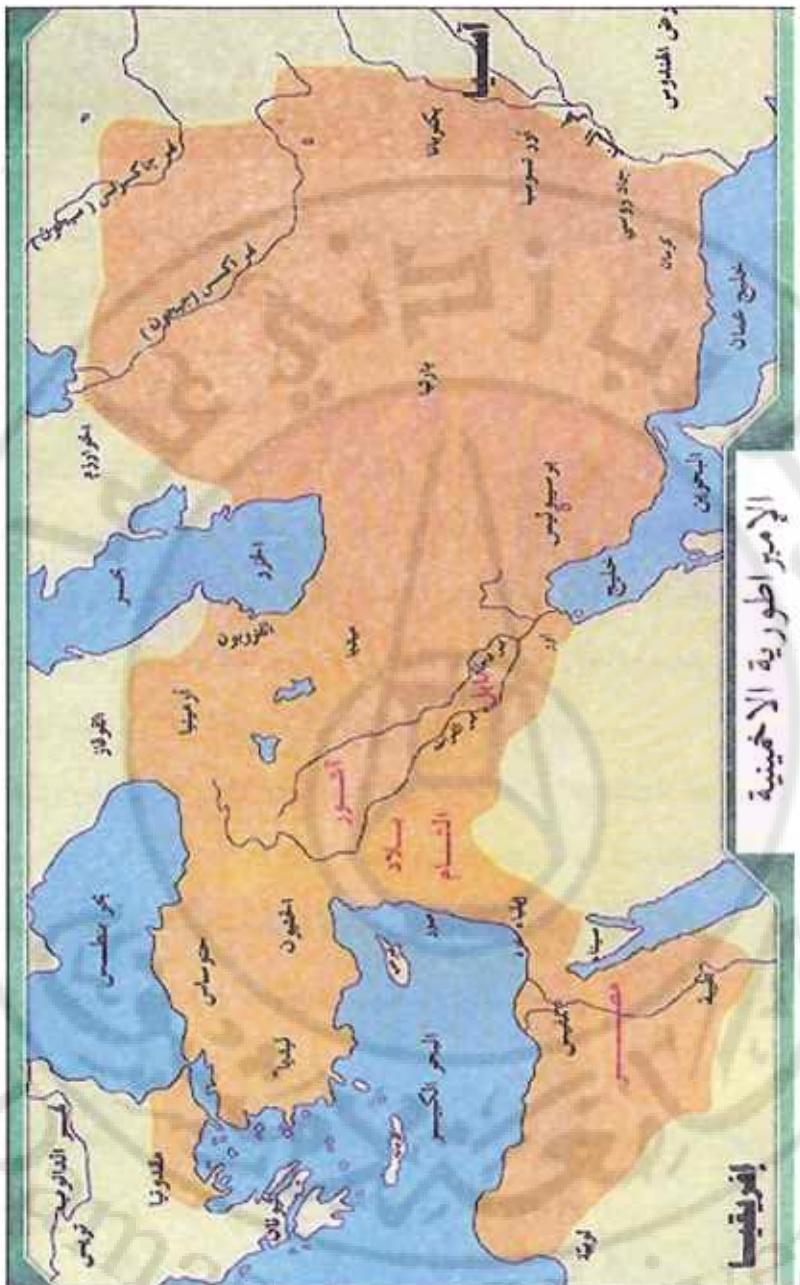
<sup>1</sup> - مورتكات (انطون): تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان، دمشق، د، ت، 370، .

<sup>2</sup> - مورتكات، المرجع السابق، ص371.

الجنوب، كما سعى داريوش لدرء الأخطار الخارجية عن الإمبراطورية، وحاول إخضاع الدوليات اليونانية، لكن جيشه مني هزيمة مؤثرة من أثينا في معركة ماراثون<sup>1</sup> 490 ق.م، ولم يتمكن داريوش من معاودة هجومه على بلاد اليونان لانشغاله بإخماد التورات التي نشبت في مصر، ثم وفاته عام 486 ق.م.

وقد وصل التنظيم السياسي للدولة إلى ذروته في زمن داريوش، وقد شمل هذا التنظيم كل تواحي الإدارة من قوانين وضرائب، وخدمة في الجيش، والتجارة والبريد، والمواصلات. وبعد موت داريوش تسلم الحكم ابنه أكسرسخس 486 – 465 ق.م، الذي فاد حرباً بنفسه ضد مدن الدول في بلاد اليونان التي اتحدت في أثناء الاستعدادات للحرب، وفشل هو الآخر في تحقيق أي انتصار على بلاد اليونان. ومن بعده انتقل الحكم إلى خلفائه الذين قطعوا بما حققها أسلافهم، وركزوا جهودهم في محاولة المحافظة على أمجاد أسلافهم دون العمل الجدي على زيادة هذه الأمجاد، فكانت أهدافهم محدودة وطموحاتهم قليلة<sup>(1)</sup>. فعادت الإمبراطورية "المملكة" من تمزق سياسي أدى إلى صراع داخل الأسرة الحاكمة، فعم الاضطراب مفاصل الدولة، وتعافت التورات، وحل النسلط والقهر محل سياسة التسامح، وتناهى على الحكم عدد من الملوك الضعاف، كل ذلك ساعد في اختيار هذه المملكة أمام الفرة النامية الجديدة التي ظهرت في العالم المسلمين.

<sup>1</sup> - سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 305..



- الحضارة الأخلاقية:

- الحياة السياسية والاجتماعية:

- الملك:

كان الملك الفارسي يعظمه وسعة سلطاته يشبه ملوك آشور، وبابل أو فراعنة مصر، فهو ملك الملوك أو ملوك العظيم، سلطانه مستمد من الإله آهورا مزدا. وهو لم يكن إلهًا كفرعون مصر، بل هو على الأقل يتمتع بتفوّذ الإله على الرعية، يتصرف بأموالهم وأرواحهم كما يشاء، ولا راد لمشيته، والموت في سبيل مرضاته أعظم شرف يناله الإنسان.

وكان يقوم على حراسته فرقه الحرس الملكي والتي تضم عشرة آلاف جندي يسمون بفرقـة الحالدين " لأن عددهم كان ثابتاً فكلما مات أحدهم أو قتل عن حارس آخر مكانه حالاً".

ولم يكن يسمح لأحد من الناس برؤية الملك إلا بإذنه خاص. ولا يظهر إلا وهو جالس على عرشه المصنوع من الذهب والفضة، وفي يده صوبحانه الذهبي، وعلى رأسه تاج مرصع بالأحجار الكريمة وفي وسطه زنار من الذهب. وكان يعيش وخلفه حاشيته، بعضهم يرفع فوق رأسه مظلة تقـيه حر الشمس، وبعضهم الآخر ملائكة يدفعون بها الديابـل عنه، وكان من حق الملك أن يختار من يخلفه من بين أبناءه، ولكن وراثة العرش كانت تقرر في العادة بالاغتيال والثورة، غير أن سلطة الملك كانت مقيـدة من الوجـهة العمـلـية بـعادـات وتقـاليـد كـثـيرـة وـيـقـوـة الأـشـراف وـرـؤـسـاء القـبـائل وـالأـسـرـ.

وهـنـاك بـحـلـسـ استـشـاريـ بـخـاصـ مؤـلـفـ منـ الشـيـوخـ الـذـينـ تـتـجـبـهـمـ الـأـبـرـ الفـارـسـيـ النـيـبـةـ وـالـقـبـائلـ الـأـلـيـةـ، يـقـدـمـونـ لـكـشـورـةـ فـيـ الـأـمـورـ الـخـطـيرـةـ.

فـالـمـلـكـ هـوـ المـرـكـزـ الرـئـيـسيـ فـيـ الـحـكـومـةـ وـالـإـدـارـةـ يـسـاعـدـهـ وـرـزـاءـ يـخـتـارـهـمـ مـنـ بـيـنـ أـعـوـانـهـ الـفـرـسـ،ـ وـكـانـتـ لـأـوـامـرـ الـمـلـكـ وـمـرـاسـيمـهـ تـوزـعـ عـلـىـ كـلـ الـوـلـاـيـاتـ مـهـمـاـ كـانـتـ بـعـدـةـ

عن العاصمة، كما كانت تسجل وتحفظ في دوارات خاصة، ولم تكون اللغة الفارسية القديمة وحدها لغة الدولة، بل كانت الدوارات الملكية تستعمل اللغة الآرامية في المعاملات المتعلقة بالولايات.

واللغة الآرامية آنذاك كانت لغة التجارة والسياسة، وكان على موظفي الدوارات أن يترجموا الأوامر الملكية إلى اللغات المختلفة الأخرى، كاليونانية والمصرية، هذا وكان أكثر موظفي الدولة وخاصة في المناصب العليا من الفرس، أما في الدوارات فقد كان للسورين الحظ الأقوى، وانصف الملك الفرس عموماً بالشماخ مع عادات وأديان الشعوب الحاضنة لهم، ووجد لدى الإمبراطورية الفارسية نظام إداري معروف،

تشير إلى ذلك النقاش المرجودة على مقبرة الملك داريوش التي ترجمت أيام غزو الإسكندر الأكبر لبلاد فارس - حسب ما ذكر سترابون -، وقد جاء في هذه النقاش "لقد كنت صادقاً لأصدقائي، وقد تفوقت على غيري في ركوب الخيل والرمي بالنشاب، كما أحدثت الصيد واستطعت أن اعمل كل شيء" (١).

فالمعروف عن داريوش أنه على الرغم من أنه قهر ملوك كثرين، فإنه كان يحترم الشعوب المغلوبة ويعاملها معاملة الأصدقاء، ولم تكن بمحامته ضعفاً فقد أطاعه جميع من في إمبراطوريه وكانت إرادته هي العليا.

#### - تنظيم الدولة " إدارة الولايات":

لم تكن الإدارة الفارسية مرکزية ضيقة بالرغم من السلطة العظيمة التي كان يتمتع بها الملك العظيم، فقد وجد الملك في أثناء قتوحاته أنها متحضره ودولًا ذات نظم قديمة، فلهم يتساءلوا إن يضطهدوا الأمم المغلوبة خشية أن تتفض عليهم، لذلك تركوا بعض المقاطعات تنظمها الحكومات كاملة، كما في سوريا ومصر وببلاد الرافدين،

١- سليم (أحمد أمين): دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم "العراق، بيروت"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992م، ص 333.

وقسموا الإمبراطورية إلى عشرين ولاية أو أكثر وعيتوا على كل ولاية حاكماً يلقب بالمرزيان<sup>(1)</sup>. وكان المرزيان "الحاكم" يمثل الملك العظيم، يتمتع في ولايته بسلطة لا تقل عن سلطة الملك. وغالباً ما يكون المرزيان من العائلة المالكة أو من عائلة سبق لها أن حكمت في الولاية، ويمكن للحاكم أن يورث الحكم لأبنائه، وعليه أن يروض الأمن ومحوسه.

وقد خشي الملوك أن يسيء المرزابنة استعمال هذه الحرية، فينقووا على الحكم المركزي، ويعطوا استقلالهم، وهذا السبب وضع قوروش نظاماً جسدياً داريوشاً فيما بعد، ويقضي هذا النظام بتعيين قائدٍ لجيش الولاية يكون تابعاً للملك مباشرةً ومستقلاً عن الحاكم.

كما كان كاتب الولاية والموظف المسؤول عن المأدية مرتبطين بالملك مباشرةً، وزيادة في الحيبة كان للملك إدارة للمفتشين والمخارقات السرية، يرسل منهم مفتشون يلقبونهم "عيون الملك وأذاته"، وكان هؤلاء المفتشون يقومون بمحاجة ويرافقون أعمال الحاكم "المرزيان"<sup>(2)</sup>، ويزودون الملك بشارعٍ عن أحوال طرعيه.

وكان الهدف من كل هذا أن يقف الملك على أحوال الولاية ويطمئن على تنفيذ الأوامر التي يصدرها، وعلى هذا فقد كان رئيس الديوان على اتصال مباشر بالسلطة المركزية، وفي بعض الأمسور كانت الأوامر تصدر إليه مباشرةً من الإدارة المركزية<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - انظر: فخرى، المراجع السابق، ص 226 وما بعدها.

<sup>2</sup> - المرزيان: كلمة مؤلفة من مقطعين موزع وتعني الخد وبيان وتعني الحكم وبالنالي المرزيان هو حامي الخد أو حاكم الولاية، وهو الستار باليونانية، فهرى (ابو الحسين): فرهنگ محیط، ملارسى عربى، مؤسسة جاپ واتشارات بادواره، كتاب، طهران، 1380، ص 658.

<sup>3</sup> - سليم، المراجع السابق، ص 338 .

وقد اهتم ملوك الفرس بشبكة الطرق، كما قاموا بتنظيم البريد بين الولايات لأسباب اقتصادية وسياسية وحربية، وما ساعد على نجاح الإمبراطورية في إدارة ممتلكاتها أن الأباطرة أنشأوا لها الكثير من الطرق ونظموا البريد لتيسير الاتصال بين مختلف أنحاءها، وكان اهتمام ملوك فارس بهذه الطرق كبيراً جداً كونها واحدة من الضرورات الإدارية؛ ومن جهة ثانية ساعدت هذه الطرق على ازدهار التجارة وزيادة تداول البضائع والمنتجات بين أنحاء الإمبراطورية.

ومن بين هذه الطرق الطريق التي كانت تربط سوس في آسيا الصغرى، وكانت من الطرق الرئيسية ويبلغ طولها 1677 ميلاً، وقسمت إلى مائة وإحدى عشرة محطة بريدية بكل منها خيول وموظرون يتولون مهمة نقل أتباع الملك على طول الطريق، وكانت هناك طريق يصل مصر ببابل ثم إيران.

كما نظمواضرائب المفروضة على كل ولاية وكانت الإنارة المقررة على كل ولاية مقداراً معيناً من الفضة أو النقد، ثم ضريبة أخرى من مصروف تشهير به الولاية، وكان جمع الضرائب، نقداً أو عيناً من مهام الوالي، وكانت هذه الضرائب تفرض على جميع الولايات ولا يعفي منها إلا ولاية فارس مستقط رأس أسرة الأخمسيين<sup>(1)</sup>.

وكانت الضرائب تجمع بدقة في الإمبراطورية كلها وقد اختلف مقدار الضريبة بين ولاية وأخرى، فكانت ولاية الحند على رأس جميع الولايات في كمية الإنارة السنوية المفروضة عليها إذ كان عليها أن تدفع إلى خزانة ملك الملوك "الشاهنشاه" مقدار 4680 وزنة<sup>(2)</sup> فضة سريانية، وتليها ولاية بلاد الرافدين (بابل وآشور) وكان عليها أن

<sup>1</sup> - سليم، المرجع السابق، ص 338 - 340.

<sup>2</sup> - الوزنة ترجمة لكلمة Talent التي يفضل بعض ذكرها كما هي ثالست، وكانت الوزنة تساوي 60 مانا، والمانا 60 شاقل، وزن الشاقل حواله من المطل الإنكليزي أي نحو نصف كيلو غرام، فخري، دراسات في تاريخ الشرق القدم، ص 227.

تدفع مقدار 1000 وزنة، أما ولاية مصر، فكان المقدار عليها 700 وزنة بالإضافة إلى كمية من القمح ترسلها سنويًا، ونكفي لإطعام 120,000 شخص، أما سوريا وفلسطين معاً فكانت الإنارة المفروضة عليها 360 وزنة، وولابات أنسنة الصغرى الأربع 1760 وزنة، وكما كانت مصر ترسل الحبوب، كانت بلاد المدينين ترسل كل عام 100,000 رأس من الأغنام، وببلاد أرميبيسة 30,000 طير.

#### - الجيش:

كان الجيش عماد المستفة والأداة الكبرى في يد الملك والحكومة الإمبراطورية، يستعملهونه في تحقيقات مطاحفهم، وفي توطيد الأمن في الولايات، وكانت الجنديّة تتعرض على كل رجل سليم البنيّة صحيح الجسم بين من الخامسة عشرة والخمسين كلما أعلنت الحرب.

وكان أَهم فرق الجيش، فرقة الحرس الملكي، المؤلفة من ألفين من الفرسان ومثلهم من المشاة رماة النبالي، وجلهم من الأمراء الفرس والمدينين، وكانت مهمتهم حراسة الملك، ثم ازداد عددهم حتى أصبحت فرقة العشرة آلاف جندي، الذين يسمون جيش الشالدين، الذين كانوا في حالة استعداد وتسليح دائم، ويكت挫ون عن عامة الجنود بملابسهم الشنية، وبالإضافة إلى قوات حراسة الحدود في الولايات، كانت هناك كتاب من الجنود غير النظاميين الذين يخدمون الأهلية في الأوقات الازمة، سواء من العاصمة أو من الولايات المختلفة.

وكانت تلك الكتب تتكلّم كل منها بلغاتها المختلفة، وتقاتل بأسلحتها الخاصة، فلم يكن بينهم أي رابطة روحية أو معنوية، وهذا هو السر في عدم مقدرة جيش إيران على تنفيذ هجمة حربية أو تحقيق انسحاب منظم، لهذا فإن أول بادرة للهزيمة أو انسحاب قسم من الجيش، كان يكمل هذا الجيش أو الكتاب إلى جموع من الغوغاء

عدة النظام، يضاف إلى ذلك أن من الأسباب الجوهرية لفرقة جيش الفرس خلال الحروب اليونانية، أن أسلحة الجيش الدقاعية لم تكن حكمة<sup>(1)</sup>.

وكان الخيالة والمشاة الفرس يلبسون القلاع الصوفية، ونبالاً متعددة، ودروعاً مصنوعة من الصفالح المعدنية، ويحملون الرماح والأقواس والسيوف والتروس. أما الفرق الأجنبية، فكانت تحمل أسلحة خاصة بها اعتنادت على حملها واستعمالها. أما المؤن والأسلحة، فكانت تحمل إلى موقع القتال بواسطة فرامل الإبل، بالإضافة إلى العربات المنسحبة، وبصحبهم المداون والكببة والخصيان والسراري، وذكر المؤرخ هيرودوت بأن قوروش في حربه ضد كريزوس وضع في مقدمة جيشه صدأ من الإبل، وتفرقت خيول اليلدرين من رانحة الجمال فتضعضع شملها وفوت<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن الجندي كانت محبوبة ومصدر فخر للناس، وقد كان الجندي يخرجون إلى القتال وسط دوي المسمفى العسكرية وهتاف الجماهير.

وشنّل الأسطول دوراً مهماً في حروب الفرس، وخاصة في حروبهم مع اليونان، فقد بلغ عدد سفن أسطول سرعس 1200 سفينة، وكانت سفن فينيقية وصياد أقروي سفن الأسطول وأضخمها، بالإضافة إلى سفن مدن آسية الصغرى، ومصر.

وكانت السفن التي صنعوا لهم الفينيقيون على ثلاثة أنواع: النوع الأول سفن الهجوم، والثاني ناقلات الجنود والخيول، والثالث ناقلات الأئمة والذخائر وكان النوع الأخير صغير الحجم نسبياً<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - بيرني، المرجع السابق، ص 145.

<sup>2</sup> - هيرودوت، المصدر السابق، الكتاب الأول، ص 67.

<sup>3</sup> - سليم، المرجع السابق، ص 344 - 346.

## - آداب الفرس وعاداتهم وأخلاقهم

غير الفرس بالصراحة والكرم والمودة، ويراعون آداب المجالس، وعلم عادات لطيفة، فهم يشتهرون باللوفاء، ومن العسير أن تجد فارسياً قد استاجر ليحارب قومه، بعكس حال اليونان، ومن بين عاداتهم حسب هيرودوت والتي ترجع إلى الأيام التي كانوا يحبون المسؤول الشاملة على ظهور الخيل، ومنها: أن الرضيع يغى لخمسة أيام بعيداً عن أبيه لا يراه، وتكون النساء تريته، وأن الإناء في من الخامسة وحتى سن العشرين يتعلمون ثلاثة أشياء فقط: ركوب الخيل، والصيد بالقوس، وفول الحقن. أما القتال في المعركة فكان يعد أسمى صفات الرجل، وكان يليه في الأهمية، بناء أسرة كبيرة من الأبناء، ثم يأتي بعد ذلك، تكوين الجندي المقاتل. كما تعلموا الابتعاد عن الكذب، وكراه الاستدانة، واحتقار التجارة، وهذا يدل على القوانيين الصارمة في آئمه التعليم، بالإضافة إلى عصمتهم بعسادات الفيالق الوجل التي تعد الرجال الأفوياء الحسوريين.

وبعد تأسيس الإمبراطورية، بدأوا بغيرون بعض عاداتهم، وأخذوا يتذوقون حياة الترف، ومع ظهور كانوا يحبون الطعام والشراب، لكنهم كانوا يتجنبون التخمة، ويتحاشون ممارسة شؤونهم الخاصة جهراً أمام غيرهم، فكان يسمونهم أن يصف الإنسان أمام الناس. وكان الإكثار من الشراب، لا يقلل من وضوح أحکامهم، كما يستدل من إحدى عاداتهم المعروفة، وكانت تقضي ببحث قوارئهم السفي انتقدوها وهم سكارى، والنظر فيها من جديد في صبيحة اليوم التالي، بعد أن يعودوا إلى وتسارهم ورثائهم<sup>(١)</sup>. كانوا يعدون النظافة أكبر النعم ويفرضون أشد العقوبات على من يتسبّبون في نشر الأمراض المعدية.

<sup>(١)</sup> - للمريد انظر: هيرودوت، الكتاب الأول، من 95، 96، 97، وما بعد.

## - الأسرة -

كانت الأسرة أقوى النظم الاجتماعية، لذلك ظهرت الأباء شفرون الزواج لمن يبلغ الخامسة من أبنائهم، ويعتقد أن زواج المحرم كان سائلاً، فالأخ يتزوج أخيه، والأب ابنته، والأم ولدتها<sup>(١)</sup>، كما سمع بعده الروحات، لأن المجتمعات الغربية كانت مجاعة ماءة لكثرة الأبناء.

وكان التسري من المتع التي احتضنها الأغبياء، ولم يكن الأشراف (النبلاء) يخرون للحرب إلا ومعهم سراويلهم، وكثير عدد السراويل في مقرات الملوك في أواخر عصر الإمبراطورية، ورغم ذلك كان للمرأة مكانة سامية في دين زرادشت، كما هي عادة القدماء، ثم انحطت مكانتها بعد عهد داريوش حيث لم يكن يسمح لها بالاختلاط بالرجال على، أو بالخروج من بيسوپهن إلا في هسوداج مسحفة، ولم يرد ذكر للنساء فقط أو برسمن في التقوش أو التمايل العامة في بلاد الفرس القديمة.

وكان الفرس يعودون من سوء الأدب كشف أي جزء من أحشاء الجسم عدا الروجه، ولذلك كان كل جسمهم مغطى من عمامة الرأس إلى غضي القدمين، فلباسهم سروال مثلث الطيات وقميص أبيض من التيل، ومتزر من طبقتين، ذو كميين يغطيان اليدين، ومنطقة وسط الجسم، وكانت هذه الملابس تحفظ أحسامهم صيفاً وشتاءً.

ولم تكن ملابس النساء تختلف عن ملابس الرجال إلا بفتحة عند الصدر، وكستان الرجال يطيلون حاهم، ويتكون شعر رأسهم بنسب في غذائهم. ومع تزايد البررة

<sup>١</sup> - يذكر أن زواج المحرم كان مارياً عند بعضشعوب الشرق القدم، ومنهم الفرس، وبعتقد بعض الباحثين أن ذلك كان من أجل الحفاظ على نقاء الدم، وبعضهم الآخر يقول أنه تأثير العصر الذي كانت فيه السيادة للمرأة حيث كانت هي المكاءنة والأمة رمز المخصوصية، وهي سيدة وزعيمة القبيلة، فتزوجت من حمارها، كي لا يشاركها أحد غريب، أو ينتقض من سيادتها وزعامتها.

في عهد الإمبراطورية أقبل الفرس على استعمال أدوات التجميل رجالاً ونساء، فاستعملوا الدهون لتجميل الوجه، والأصبغة الملونة لدهن الجفون، لكي يزيدوا بذلك من سعة العينين، وبريقها في الظاهر، وقد برع الفرس في عمل الروائح العطرية.

- الحياة الاقتصادية:

- الزراعة:

اهتم الفرس بالزراعة وجدت الكتب الدينية الفارسية الأعمال الزراعية، وعدتها أهم أعمال البشر وأشرفها، وفضلها آهوراً مزداً على غيرها من الأعمال، وكانت بعض الأرضي يزرعها أصحابها المزارعون، وفي بعض الأحيان كانوا يزرون جمادات زراعية تعاونية مكونة من عدة أسر، لزرع بمحضها مساحات واسعة من الأرضي، وبعض آخر من الأرضي يحتمل الأشراف الإقطاعيون، ويزرعها مستأجروه نظير جزء من إنتاجه، وهناك قسم يزرعه العبيد "الأرقاء" الأجانب "لم يكونوا من الفرس" وكانوا يستخدمون الحارث الخشبية، ذات الأطراف الحديدية التي تحرث الثيران، وكانتوا يغزون الماء من الجبال إلى المقول بقوافل رعي. وكان الشعر والقمع أهم محاصيل الأرض، وأهم عناصر الغذاء عندهم، وقد دخل الفرس زراعة الريسيم إلى بلاد البحر المتوسط عندما غزوا بلاد اليونان عام 490ق.م، وفي نفس الوقت تعلم الفرس زراعة الأرز بعد دخولهم للهند.

- الصناعة "الحرف":

لم يهتم الفرس كثيراً بالحرف "الصناعة"، فقد ارتفعوا أن يتركوا للأمم وشعوب الشرق القديم ممارسة الحرف والصناعات اليدوية، واكتفوا بأن تحمل هذه الأمم إليهم متوحلاً، مع ما يأتيمهم من الخراج، ولدينا ما يدل على اهتمام الملوك بالصناعة في المدن السورية، ومدن آسيا الصغرى، ومدن بلاد الرافدين.

- التجارة:

وطدت الإمبراطورية الفارسية الأمن والسلام في أرجاء البلاد التي حضنت لهم، فساعد ذلك على الازدهار الاقتصادي، وكان لاهتمام ملوك الفرس وخاصة داريوش بالبريد وفتح الطرق وحاجتها، دور كبير في ازدياد التبادل التجاري بين الولايات، وتنشيطها وانتقال مع التجارة الكثير من العادات والأفكار، وأختفت الملل الواقعة على الطرق التجارية الكبرى، وأسهם إصلاح داريوش المالي، وسكة العملة التي مثبتت بالدارية نسبة إليه، بكترة واردات الدولة، واحتلاط جزائين الدولة بـالأموال التي كانت تحصل من الولايات، وكانت الضرائب إجبارية على جميع الولايات ما عدا ولاية فارس لأنها مهد البيت الملكي.

وقد اهتم ملوك الفرس بشبكة الطرق وتنظيم البريد بين الولايات لأسباب اقتصادية وسياسية وحرية، ومن هذه الطرق التي كانت تذهب من سوسه إلى برمبيوليس فالبلاد الواقعة وراء نهر السندي أو إلى باكريا، والطريق التي كانت تؤدي إلى سوريا وآسية الصغرى متبعاً وادي الفرات، أما الطريق الملكية من سوسه إلى سارديس فقد كانت طريقاً للتجارة ولتحركات الجيوش بين جنوب إيران وساحل بحر إيجة.

وقد أمر داريوش بخفر قناة تصل النيل بالبحر الأحمر لإيجاد طريق قريب بين بحر المغرب "البحر المتوسط" والبحر الأحمر للوصول إلى بحر عمان والخليج العربي.

ويذكر هيرودوت أن داريوش أمر "سكيلاكس" القيام بحملة أدت إلى اكتشاف بحر فهر السندي حتى مصبه على ساحل المحيط الهندي ومنه اتجه غرباً حتى الخليج العربي<sup>1</sup> ففتحت أمام التجارة أسواق جديدة، وكانت الأعمال التجارية تترك غالباً لغير الفرس، للبابليين والفينيقيين، وذلك لأن الفرس كانوا يخفرون التجارة ويرون أن الأسواق بورة الكذب والخداع.

<sup>1</sup> هيرودوت: المصدر السابق، الكتاب الرابع، ص 309.

أما الأجرور والمقروض فكانت تزدري بادئ الأمر سلفاً، وأكثر ما كانت تزدري به الماثسية والمحبوب، وعندما قام داربوش بإصلاح مالي عظيم حسن طريقة جباية الضرائب ونظمها وسهل التبادل التجاري في أنحاء الإمبراطورية، وذلك بске العملة من الذهب والفضة والتي سميت (بالداريك) (١).

#### - الحياة الدينية:

شغل الدين حيزاً كبيراً من تفكير الإنسان منذ القدم وتلبية حاجاته الروحية، بسدا الإنسان بعيدة كلّ مالا يستطيع السيطرة عليه من ظواهر مختلفة، ولم يبتعد الإنسان الإيراني في تفكيره وتأملاته عن نظرائه من الشعوب الحاورة في الشرف القديم.

تنوعت المعتقدات الدينية في إيران القديمة وتدل المعلومات القليلة إلى وجود العبادات القديمة، المتمثلة بعبادة آلهة الطبيعة على اختلاف أشكالها، وإلى انتشار الزرادشية وغيرها من العبادات الوثنية، بالإضافة إلى الديانات التوحيدية كاليهودية والنسجية التي استفادت من حمة النساجين الدينية التي اتبعتها الغرس مع أتباعهم.

#### - المعتقدات القديمة:

عبد الإيرانيون القدماء عدداً كبيراً من آلهة الطبيعة كإله الشمس (ميشرا)، وأناهيتا آلهة المخصوص والأرض، كما عبدوا الثور (هوما) الذي مات ثم عاد حياً، حيث وهب الجنس البشري دمه شراباً ليبسيغ عليه نعمة الخلود، بالإضافة لذلك عبدوا آلهة المطر والسماء والرياح وغيرها من آلهة الطبيعة التي تساعدهم في أعمالهم الزراعية، وسموها كلّها (دابغاً) أي الأرواح الخيرة.

<sup>١</sup> - يعتقد أن داربوش تعرف على سلسلة العملة في مدن آسيا الآرية، وخاصة من ليديا ثم طور سكها وصور على ظهر التقد المثلث جائياً على ركبته ومسكاً بقوسه، وبعد هذه القطع من أشهر قطع السكة في العالم القديم.

لم تستمر هذه العبادة كثيراً، إذ سرعان ما أضاف الإيرانيون لآلهتهم الخيرة بآياتهم بالله القبائل، ومع تعدد الآلهة ظهرت التماثيل والأصنام، وعمور الزمن ظهرت الصلوات والتراويل، ولأن الشعب غير قادر على حفظ كل التراويل والتبشير بين تراويل وصلوات كل إله لأنها كثيرة في العمل، كان لا بد من وجود رجال يتصدون لهذه المهمة، وهو لا إلا ما نسميه الكهنة<sup>١</sup>.

#### - عبادة الأجداد:

انتشرت عبادة الأجداد منذ العصر الفارسي فالأخمينيون سمو أنفسهم بهذا الاسم تجلباً جدهم الأول أخمينوس، وفي العصر الفرشي كان انتصار أرشاك الأول على اليونانيين جعل كل الملوك الفرثيين ينتسبون إليه على أنه جدهم الأكبر فأضافوا اسمه إلى بداية اسمائهم، ورسموا صوره على نقودهم بأشكال مختلفة، ومتعددة.

وكان إضافة اسم أشك لأسمائهم عبارة عن معتقد ديني يقوم على عبادة الأجداد، حيث تحملت روحية سيادة الأب والاحترام، فقد احترمت هذه العادة في كل أدوار تاريخ إيران، ويمكن القول إن هذه الظاهرة استمرت أيضاً في العهد اللاحقة وخاصة في إيران إذ يلاحظ أن الساسانيين أيضاً مختلفاء الفرثيين أخذوا اسم دولتهم من اسم جدهم الأول ساسان.

#### - الميراوية:

تشير معظم الدلائل إلى أصول ميرزا الهندو آرية، فقد خرجت عبادة ميرزا متأثرة كثيراً بعلم التحوم الكلداني، فكانت الشمس دائماً رمزاً للنور، وميرزا هو إله النور

1- مظہر، المرجع السابق، ص 264-265.

بشكل عام، والشمس مصدر وأصل له، وتعود معرفة الإله ميثرا إلى النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد حيث ذكر في الوثائق الفارسية القديمة<sup>(١)</sup>.

وكان الآريون يعبدون الشمس وبختمونها أكثر من أي معبود آخر؛ لأنها تعد مركز النور والحياة للإنسان والحيوان، واعتقدوا أن الشمس وحرارتها تظهر الأجسام من ذات الخطبة فتسدخل النعيم مطهرة، لذلك لم يدفعوا موتها بل كانوا يتركون البيت فوق أبراج تسمى (أبراج الصمت) ووجهه إلى الشمس. لم تقتصر عبادة الشمس (ميثرا) على الآريين من شعوب الشرق، فقد عبادتها كل الشعوب التي اعتمدت على الزراعة، وذلك لدور الشمس في التأثير على المحصول وإنباته، ونضجه، ومن هنا يمكن القول إن عبادة الشمس أو ميثرا قديمة قدم المعرفة بالزراعة، وهذا يدل على أنها سبقت الزرادشتية وعبدت في بلاد النهرين في فترة أقدم من الفترة التي عبدا فيها الآريين، ولذلك ربما انتقلت عبادة ميثرا عبر بلاد الرافدين إلى الآريون في إيران.

وتوضح مبادئ الزرادشتية أن الله كلف الشمس بذلة الشرور؛ وهكذا كانت الشمس رمزاً لأهوراً مزداً، وعلها على الأرض النار المقدسة.

وكان للإيرانيين آلهة كثيرة، وكان ميثرا أحد أهم الآلهة، وبعد ظهور الزرادشتية كان ميثرا فيها واحداً من الملائكة، وقوة من نور تحارب إلى جانب أهوراً مزداً، كما يذكر ميثرا كإله للقسم<sup>(٢)</sup>.

نظهر تصبيات ميثرا المختلفة كثرة المهام التي تنسحب إليه، وبالتالي تدل عن المكانة الكبيرة التي حصل عليها في المجتمع الإيراني القديم، ويبدو أنه صاحب المكانة

<sup>1</sup> - للمزيد حول ميثرا، انظر: الموسوعة العربية، الجلد 20، مادة ميثرا، ص 184.

زيهنج (ر.س): الزرادشتية "النحو سـ الفروق"، ترجمة إلى العربية وقدم له سهيل زكار، دار الكوفة، دمشق، 2005، ص 114-128.

<sup>2</sup> - زيهم، المرجع السابق، ص 126. قد ياتي: المرجع السابق، ص 175-176.

الأولى بين الآلهة لديهم، ولذلك كثُرت مهامه فكان للعدل وال الحرب والثور، والقسم والمداواة وغيرها، ولذلك شاعت بين الشرقيين في حقب مختلفة الأسماء المشتقة من ميشرا، كمشراداداس.

وكان الآريون الميتراتيون والزرادشيون يختلفون بعدد ميشرا تكراراً له، وكان الملك ليس تاجاً مرصعاً على أنه يمثل ميشرا على الأرض، وبصادر العيد يوم الاعتدال الخوطي، ويسمى أيضاً بعد المهر جان "أي عيد ميشرا"<sup>(1)</sup>.

وربما بدل دخول بعض العقاد الميتراوية في الديانة المسيحية إلى استمرار عبادة ميشرا في القرون التالية للمسيحية، وعندما وجدت المسيحية إمكانية تنصير أتباع ميشرا كانت عملية إدخال المعتقدات الميتراوية العامل المهام لتنصير الميتراويين، فوجدت هذه العقاد الدين لا تمس جوهر المسيحية بشيء.

وعبر ميشرا حدود إيران ليصبح من أهم آلهة الرومانا وكثيراً ما ذكر ميشرا في الأفستا، والأدب الزرادشي الحديث؛ كما أنَّ الأفستا تكرّس له ترتيبة بأكملها، وتجدر الإشارة أيضاً إلى الميتراكانا، وهو احتفال سنوي كبير يقام في الشهر السابع من التقويم الزرادشي، مكرّس للإله ميشرا وانتشرت عبادة ميشرا في الأماكن التي غزتها الإغريقون، ووصلت، بشكل خاص، إلى وادي الفرات حيث استقرت لفترة طويلة؛ حتى إنَّ كثيراً من الكتاب اليونان والرومان تحدثوا عن هذا الإله كإله آشوري<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - اختفاء السلطة، ترجمة السابق، ص 240-241، نديان؛ ترجمة السابق، ج 175-176. كريستن، المرجع السابق، ص 21.

<sup>2</sup> - اختفاء السلطة، ترجمة السابق، ص 240-241.

### **— المعتقدات الآرية:**

قامت المعتقدات الآرية في العصور القديمة على عبادة قوى الطبيعة؛ أي إن القبائل الآرية كانت في مطلع نشوئها تعبد ظواهر الطبيعة سواء النافعة منها أو الضارة، كالماء والتراب والنار والطير من جهة، والرعد والبرق والصواعق والحيوانات من جهة ثانية، فتعبد الظواهر النافعة لتساعد عطّلها وبخراها، وتعبد الضارة لتأمين شرها.

وكانت القبائل الآرية ترعم أن للظواهر الطبيعية روحًا وإدراكًا ومشاعرً وأحاسيسً، وتطور هذا الاعتقاد فيما بعد حيث وجد إله ورب لكل ظاهرة من الظواهر، فعبدوا آلهة وأرباب الموجودات بدلاً عن الموجودات نفسها، فهناك رب للنار وآخر للهواء وتالث للسماء، ورب للرعد ورب للصواعق، وهكذا؛ أي إن الآلهة كانت تصور في هيئة أنرواح وأشباح، وقسمت إلى طالقين: الأولى أنرواح الخير، والثانية أنرواح الشر.

لقد كان اعتقاد الآرين قدّرًا عبارة عن عبادة قوى الطبيعة والظواهر والأجرام السماوية كانت آفة الطبيعة الرئيسية تتمتع منذ عهود غابرة بجزئيا خلقية واجتماعية<sup>(٤)</sup>، واستمر الأمر في عهد الفريزيين، ويدل على ذلك منحوتاتهم التي كانت على شكل شمس أو قمر أو ما شابه ذلك.

### **— الديانة الزرادشية:**

الزرادشية هي دين زرادشت الذي بدأ يدعو له في منتصف القرن السادس ق.م تقريبًا في شمال غرب إيران، وكان اسمه زرتشتر ويعني صاحب الجمل الأصفر، وأسم ابيه بوروشنب، أي صاحب الفرس رمادي اللون، أما أمده فاسمها درغندوا أي حالية

<sup>[٤]</sup> — اعتماد السلطنة، المراجع السابق، ص 243-241. المطهري، المراجع السابق، ص 170-172.

البقر الأبيض، وهو ينحدر من عائلة إنماها سبعة أي الأبيض، وهذه الأسماء مجتمعة توحى بحسبه  
قرية من حياة الرعي.

وكان زرادشت موحداً لله، وأطلق على أتباعه اسمَ المحسوس، فالمحسونُ هم المصطفونَ بحسبه  
زرادشت<sup>(١)</sup>، وكتابهم المقدس الأفستا. وعندما دعا زرادشت قومه للتوجه إلى الله آهروا  
مزداً متوجهينَ أو صاف السمو والألوهية المقدسة<sup>(٢)</sup>. بعد ذلك ظهر إلى البشر في تعاليم زرادشت عندما  
حدّد للعالم أصلين: أحدهما للخير وسماه آهوراً مزداً، وآخر للشر وسماه آهوراً مين<sup>(٣)</sup>.

وتتجلى بساطة الديانة الأصلية التي يبشر بها زرادشت في غياب الهياكل والمعابد والمذايحة، فلقد  
منع زرادشت تشيد أماكن خاصة للعبادة لأن الله موجود في كل مكان ويمكن التوجّه إليه بالصلة في  
أي مكان، كما منع صنع الصور والمنحوتات لأهوراً مزداً، فكانت الصلوات تقام في البيوت أو في  
أماكن خاصة للعبادة في الهواء العليل ومزودة بعوقد لذار المقدسة، الرمز الأساسي للزرادشتية<sup>(٤)</sup>.  
وبذلك ظهرت لأول مرة معايدة النار في إيران و شيئاً فشيئاً أعدت نار المعبد تكتسب قدسيّة  
خاصة بها بعد أن كانت مجرد رمز للألوهية.

<sup>١</sup> - ابن حجر (أبو محمد علي بن أحمد): الفصل في الملائكة والأهوا، والتحلل، تحقيق محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عصيرة، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٨٢. الطباطبائي (محمد حسين): الميزان في تفسير القرآن، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٣٥٨. جوان ، المراجع السابقة، ص ٣٩٤.

<sup>٢</sup> - عبد القادر (حامد): زرادشت الحكم لنبي فدائى الإيرانيين، مكتبة لفصة مصر، الفحالة، القاهرة، ط ١، ١٩٥٦م، ص ٩١ - ٩٢.

<sup>٣</sup> - Noss, J. B, Man's Religions, London, 1974, p 336.

Campbell, op. cit, p189. Noss, op. cit, p 336. ...<sup>٤</sup>

وقد قاد نشوء معابد النار إلى إحداث تغييرات عميقة في الديانة الزرادشتية. وبعد البساطة التي ميزت الممارسات الدينية في السابق انتشرت المعابد الدينية الصخمة، ونشأت طبقة جديدة من الكهنة المترغبين لطقس النار، وقد عُرِفت هذه الطبقة من كهنة النار تاريخياً باسم ماجي Magoi وبالبرتغالية Mágos وبالعربية "جوس".

Ghirshman, op cit, p24



ويعد الأفستا كتابُ الزرادشتية المقدسُ، ويشملُ ألفَ فصلٍ يضمُّها واحدٌ وعشرونَ كتاباً، كُلُّ كتابٍ متنًا ورقَّة. ثمَّ الحقَّ به كتابُ الزندَ أي تفسيرُ الشريعةِ، ويُسمى بِمجموعُ الكايينِ (زند - أفستا)، كما أُصيَّفت له تعديلاتٌ شملتْ تأليفَ في

الطب والفلق والفلسفه، بالإضافة إلى تأثيرات فكرية يوغانية وهندية، وبذلك غدت الأفستا موسوعة كبيرة لكافه علوم العصر<sup>(١)</sup>.

وتشمل على مجموعة من الأناشيد والأقصان والأدعية والوصفات والطقوس الدينية، والقواعد الخلقية، ولغة الكتاب في بعض مواضعه ذات روعة تبر في النفس التشوف، وفي بعض أقسام الكتاب فقرات من أصل يابلي قديم، كالفترات التي تصف خلق الدنيا، وتسلسل الناس من آبائهم، وإنشاء جنة على ظهر الأرض، وغضب الخالق على خلقه، واعتقاده أن يسلط عليهم طوفاناً يهلكهم جميعاً إلا طائفه منهم، ولكن الصيغة الفارسية العامة دارجة في كثير من شواهد الكتاب.

والفكرة السائدة فيه هي ثانية العالم الذي يقوم على مسرحه صراع بدوره التي عشر ألف عام بين الإله آهورامزدا والشيطان أهريمان.

فالإله آهورامزدا عند الإيرانيين، هو إله النور والحق والظهور والصحة، وهو السيد الحكيم عالي الكون، بما فيه من مادة وروح. أما أهريمان، فهو روح الشر والظلمة ويمثل الموت والمرض والرذيلة والجهل، والتليل والجحود والعمى، وكل ما يقع في العالم من مقاصد وأمراض وأوبئة ناتج عن الأرواح الشريرة والشياطين الذي يرأسهم أهريمان، الذي يقوم عرشه في ظلمة العالم السفلي، وعدد هؤلاء الشياطين لا تحصيه له، وهم يظاهرون في كل صورة من صور الشر، ويتنازعون دائمًا مع الكائنات الخيرة التي تلحق بهم الخزي، ولكنها لا تنتهي عليهم قضاء مرئاً.

وليس العالم بما فيه من خطايا ومتناقضات سوى ميدان صراع بين الخير والشر، ونتيجة الحرب بين آهورامزدا وأهريمان، ولكن سبتم النصر النهائي لأهورامزدا بعد أن يمر العالم بأربعة عهود، يسيطر فيها على التوالي آهورامزدا وأهريمان.

<sup>١</sup> - الموسى (عبد الرحيم): العبادات في الأديان السماوية، دار الأوائل، دمشق، ط١، 2001، ص 46.

تمكّن أهورامزدا من جسس أهريمان في الظلمة، ولذلك تخلص بعد ذلك فدخل إلى العالم وأوجد الفوضى، وملأ الحياة والأراضي بالأرواح الشريرة، وأفسد النيران بإضافة الدخان إليها، وسلط على البشر جيشاً من الأروحة والأمراض، والبرق هو سلاح إله السماء لحاربة الشياطين، ولذا عدت النوار رمزاً للطهارة والحياة.

وطلب زرادشت من الإنسان أن يجعل هاته في الحياة، مكافحة الأرواح الشريرة بأن لا ينفاذ إلى خواصها، وأن يحافظ على الطهارة والنظافة لولا يترك سبلاً إلى تسليتها عليه، ولما كانت التقويم أعظم الفضائل على الإطلاق، فعل الإنسان قبل كل شيء أن يعبد الله بالطهير والتضحية والصلوة. ولم نذكر فارس الزرادشتية تسبح ياقامة المهاكل أو الأصنام، بل كانوا يشرون المذاييع المقدسة على قمم الجبال وفي القصور، أو في قلب المدن، وكانوا يوفدون النار فوقها نكراً لأهورامزدا. وكان الإيرانيون بعدون النار المقدسة وهي في نظرهم أكثر العناصر طهارة، كثها حياة وحركة تربيل الظلمة وتطرد الشياطين، فضلاً عن أنها رمز إله النور.

وكل أسرة كانت تعمل على أن تظل نار دارها متقدة دائماً، لأن انتفاء النار معناه بوس الأسرة وأضمحلالها. وكان ملوك الفرس لا يسيرون إلى حملة أو حرب أو رحلة إلا وتقديم مواكبهم المشاعل المقدسة، ومحاريب النار، وكانت بيوت النار المقدسة تشيد على حافة صخرية مرتفعة، يصعد إليها بدرج حجري، ويقوم الكهنة بإيقاد النار داخل البيت أو على سطحه.

وكان الإيرانيون يقدعون إلى الشمس والنار وأهورامزدا القرابين من الخبز والفاكهة والعطور، والضيأن واللحيل وذكور الوعول، ولم يكن ينال الآلهة من هذه القرابين إلا راتجها، أما ما يوكل منها فكأن يقي للكهنة والمعبددين، لأن الآلهة ليست في حاجة إلى أكثر من روح التضحية، ويمكن أن يستعيض القراء عن القرابين بالأدعية

والصلوات، وكانت وظيفة الكهنة مقتصرة في الدرجة الأولى على حراسة بيوت النار، والسهر على عدم انتقامتها، كما كانوا يقومون بالطقوس الدينية وتقديم الضحايا والقراين.

وهذه احدى تراثهم زرادشت الترتيمية 46 التي ينادي بها ربه فيقول:

(1)

"إلى أي أرض يمكنني الهروب؟ إلى أين تتجه خطواتي؟"

وأنا بعد عن العائلة القبيلة،

لا أحد قبولاً من القرية التي إليها أنتهي،

ولا من حكام البلد الأشرار،

كيف إذن إليها الرب سأحود عطفك؟".

(2)

إنني أعلم أنها الرب الحكيم، لماذا أنا بلا حول:

قطيعي قليل وليس لي غير بضعة رجال..

إليك أرفع أحزاني الشفتأ إليها الرب.

ولتضمن لي العون الذي ينصحه الصديق إلى صديق،

امتناك "العقل الخير" ، كتعليم "الحق".

(3)

من إليها الحكيم ستظهر مشيبة المخلصين الآتين..

وإشارات الأيام عندما..

سيؤيد العالم "الحق" حلال المحاكمة العظمى؟.

لمن سبأني العون بواسطة "العقل الخير".  
ولي أيها الرب لأنني المختار للوحى من لدنك.

(4)

الشرير ذو الأفعال المخزية البغيضة..  
يمنع مؤيدي الحق من رعاية القطيع  
في المناطق والبلاد.

إن من يسلبه السيطرة أو الحياة أيها الحكيم.  
أما كان هو الذي سيسيء حليثاً.  
على دروب العقبة.

(5)

وأي إمرئ في يده القوة أو قيادة التكريس..  
أو يعيش طبقاً للأحكام التي قدرها العهود.  
عليه أن يقبح على الغريب الآتي إليه.  
إن كان بالفعل رجل حق، يمكنه التعرف على الشرير.  
إذا ما أعلن ندمه أمام عائلته..  
عسى أيها الرب أن تحفظه من إهدار الدم.

(6)

لكن إن لم يلب نداء (الشوية).  
فسوف يعود إلى مخلوقات الشر... هذا،  
الذى ينظر إليه الرجل الشرير باختباره الأفضل.

إلهي من الحق أن يحب الحق...  
منذ أن حلقت إليها الرب أول الضماير.

(7)

من أيها الرب الحكيم سيعث كحاج من كان مثلي،  
إذا ما أراد الشرير أن يلحق بي الضرر؟  
من؟ غير نارك وعقلك أيها الرب،  
الذي متأني أفعاله بالحق الكامل الثام.  
لقد أعلنت هذا السر إلى مكتون حضرمي.

(8)

أيا من كان هذا الذي يسعى إلى إيلاء ممتلكاتي الحياة،  
عسى ألا يلحق بي ضرر جراء أفعاله..  
عسى أن ترتد أعماله عليه بالكرامة التي إليها الحكيم،  
لتأخذنه من الحياة الطيبة إلى الحياة الودبة.

(9)

(مستمع)

من هو الرجل الغير الذي علمي أولًا  
أن أجعلك كأعظم القوى،  
كرب عادل مقدس في أفعاله.

(زرادشت)

ما قيل لك قيل لك كحق

وما فهل إلى الحق خالق الماشية.

قد طلب مني بواسطه العقل الخير

أيا من كان رجلاً أو امرأة ليها الرب الحكيم  
سيستحبني ما تعرفه وهو أفضل ما في هذا العالم..  
سيشهد بجازة الحق والسيادة والعقل الخير.  
لجميع هؤلاء الذين سأتعهم بعبادتك..  
مع كل هؤلاء سأغفر التورخ.

الذين يقدمون التضحيات والأمراء المشعوذون  
قد أحضروا البشر نور سعادتهم.  
ليدمروا الوجود بواسطه أعمال الشر.  
سوف يلقون العذاب بأرواحهم وضمائرهم.  
عندما يأتون إلى التورخ  
وإلى الأبد سيزكون في مفتر الشر ..

من بين من يستحقون المدح أحقاد وسلامة.

"فريانا الطوراني"

رجال ولدوا من حلال الحق الذي يؤدي إلى أزدهار.

الأشياء الحية بحماس التقوى،

ميسّهم رب الحكيم إلى العقل الخير.

ويعصدهم وقت الخارة.

أي أمرٍ من بين البشر بلال رضا "مبانا زرادشت".

بمساندته فإنه مستحق أن يسمع.

إلهي سيعطي رب الحكيم الوجود.

وسيريد كعقل خير مملكته الحياة.

ولأنه مع الحق ستعبره صديفك المخلص.

للك وللحن.

(الرب الحكيم)

أيا زرادشت،

من الرجل الحق الذي يكون صديفك الحميم.

لأجل السر العظيم..

الذي يرغب في سماعه؟

إنه الأمير "فشناسبا" في لحظة الاختبار الحاسم.

هذا الذي ستجمعه معك في مقر واحد..

أيها رب الحكيم،

لسوف أنا ديه بكلمات العقل الخير،

لأجلتك "ستاما" سليل "هيكتاسيا".  
اعلن أنك ستميز طاهراً من بين المذنبين  
بهذه الأفعال التي تتفق مع التعاليم الأولى للرب..  
لقد أعددت نفسك بالحق..

وأنت يا "فراشيو مشتراً أثوجفا" وهؤلاء  
الأنصار الذين نود كلانا لهم ما يشهون  
امض قدماً على حيث التقوى متهددة بالحق.  
حيث يسكن الرب الحكيم ويمطر العبر.

هناك سأعلن فقط قضائك لا بخطياباك..  
يا "جامسيا أثوجفا"..  
إن صلواتك وطاعتك المتفانية  
إلى الرب الحكيم الذي سيفرز..  
بواسطة الحق مساعدة المصيف  
الظاهير من الدنس..

ومن كان معي بواسطة العقل الحير..  
إليه أقدم الوعد..  
الذي اشتاق إليه أنا نفسي بكل الاشتياق..

لَكُنَ الْقَهْرَ سِبْكُونَ نَصِيبُ الَّذِي يَسْعى إِلَى اضطهادِي.  
أَهْبَا إِلَّا رَبُّ الْحَكِيمِ، إِنِّي أَنْاضِلُ لِأَكْلِي رَغْبَتِكَ مِنْ خَلَالِ الْحَقِّ.  
هَذَا هُوَ قَرْارِي بِإِرَادَتِي وَعَقْلِي.

وَهَذَا الَّذِي يَكُونُ مَعِي الَّذِي مَعَ زَرَادِشْتِ...<sup>1</sup>

طَبِيقًا لِلْحَقِّ مَوْفَدٌ يَعْبُرُ

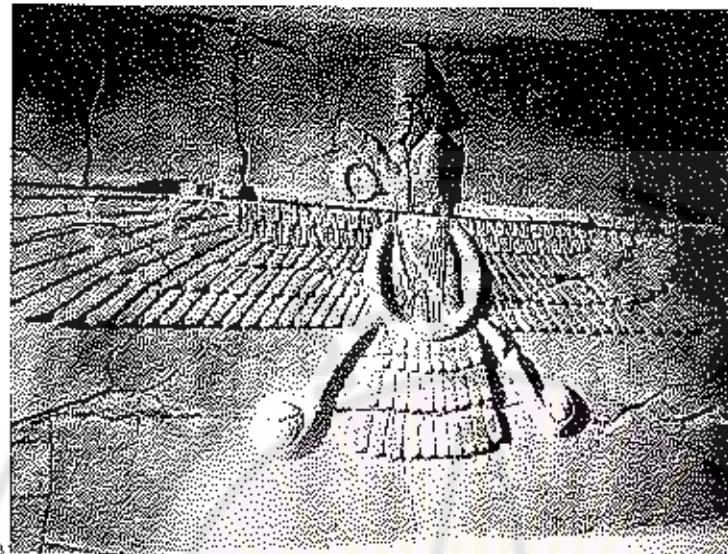
إِلَى مَا هُوَ الْبَعْثُ الْأَعْظَمُ، عِيشَيْةُ الرَّبِّ،

وَعِنْدَمَا سِيَكْسِبُ الْحَيَاةَ الْآتِيَةَ سَتَقْدِمُ لَهُ كِمْكَافَةً...<sup>2</sup>

بَقْرَتِينَ وَلَوْدَتِينَ وَثُورَ وَكُلَّ مَا يَشْتَهِي عَقْلُهِ...<sup>3</sup>

هَذَا مَا كَشَفْتُهُ لِي أَهْبَا إِلَّا رَبُّ الْحَكِيمِ أَنْتَ خَيْرُ مَنْ يَعْلَمُ<sup>(٤)</sup>

<sup>1</sup> ... عطية (طليب): تراثهم زرادشت من كتاب الأنبياء المقدسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، ص 77-83.



(1)

### - الموت والدفن

بما أن الموت يدل على تغلب الأرواح الشريرة، فإن ملامسة الموت تنسابي النظافة وتفسد الطهارة، وللألا تلوث النار أو الأرض بعظر دفن الأمواط أو حرقهم، لذا كان الإيرانيون يتركون موتاهم في مكان مرتفع لفترسها الطيور الخارجحة أو الحيوانات المفترسة أو الكلاب، لكن هذه العادة تبدلت في عهد قوروش وداريوش وصار الفرس يدفونون موتاهم.

وكان لديهم تصور بأن أرواح الموتى جميعاً لا بد أن تخناز طريقاً أو قنطرة أو جسراً تصنفي فيها، تخنازها الأرواح الطيبة، ففصل في جانبها الثاني إلى مسكن البقاء حيث تعيش هناك مع إهورامزدا، سعيدة أبد الدهر.

<sup>1</sup> .. صورة للإله إهورا مزدا، محفوظة في قصر داريوش في بيرسيبوليس، زيهير، المرجع السابق، ص 17.

أما الروح الخبيثة فلا تستطيع أن تختار الطريق أو الحسر، فتسقط في درك الجحيم المظلم حيث تعذب الأرواح المذنبة إلى أبد الأبدية، ولما يقترب العالم من نهاية ويحل يوم الحساب الأخير، تقوم مملكة أهورامزدا، وبهلاك أهريمان هو وجميع قوى الشر هلاكاً لا قيام من بعده، ويومئذ تبدأ الأرواح الطيبة حياة جديدة في عالم صالح من الشرور والظلم والآلام.

والحق إن الإنسان حسب تعاليم زرادشت، ليس مجرد أداة تتحرك بغير إرادتها في هذا العالم، بل كان له إرادة حرة، لأن أهورا مزدا كان يريد لبني الإنسان أن يعمدوا بكلام حقوقهم على أساس اختيار طريق التور أو طريق الكذب. وتقول الأقوال أن على الإنسان واجبات ثلاثة: "أن يجعل العذر صديقاً، وأن يجعل الخبيث طيناً، وأن يجعل الجاهل عالماً". وحضر دين زرادشت على التفوي، ثم على الشرف والأمانة وحرمأخذ الربا وجعل الكفر رأس الخطايا.

لكن دين زرادشت الذي كانت أحكامه الأساسية ترقى إلى مهذب الأخلاق والتمسك بالخير والعمل، لم يكن مناسباً مع عقول العامة الذين لم يفهموا حقيقة المقصود من التنازع بين الخير والشر في الطبيعة. فأخذوا الآباء على ظاهرها، وصاروا يبعدون قوى الطبيعة المختلفة ذاتها كأنها مستنقعة مثل مثيراً إله الشمس، وأناهيتا إلهة الإبلات والخصب، ونافست هذه الآلة أهورامزدا ليس في فارس بل انتقل مثيراً إلى جميع أنحاء الدولة الرومانية<sup>(١)</sup>.

### — الفن الأخوبي

يعتقد الكثير من الباحثين أن الفن الأخوبي كان مزيجاً من فنون شعوب مختلفة كانت قد شكلت الدولة الأخوية العالمية مثل أورارتو، بابل، آشور، ميديا، بل وحتى البلدان البعيدة مثل اليونان وفيبيقيا ومصر وغيرها، وهذه الفنون المختلفة امتهنت مع

<sup>1</sup> - للمزيد حول الزرادشية انظر: بوس، المرجع السابق. زيهير، المرجع السابق.

الروح الإبرانية اللطيفة والفن القومي وخلقت ظاهرة بلغت من الروعة بحيث أصبحت تلمس  
بإمبراطورية كبيرة امتدت من شمال أفريقيا وحتى سوريا ومن الدانوب حتى السند. وكانت  
المخصوصية المهمة لهذا الفن تمثل في أنه حافظ أيضاً على حرفة عمل الفنانين في البلدان التابعة لها.  
وكانت المخصوصية الأخرى للفن الأخيبي، أنه لم يكن في عالم الآلهة، أو دنيا الموتى خلافاً لفن الكهرباء.  
من الشعوب الأخرى ومنها اليونان ومصر، بل كان يمثل فن الشعوب الحية التي كانت الإمبراطورية  
الأخيبية نفسها. وقد كانت هذه المخصوصيات تربط كجسر بين شرق العالم المتحضر وغربه.  
ومن المخصوصات المعمارية لهذا العصر تشيد الأخيبية على المنصات الحجرية، ويمكن تتبع هذه  
المخصوصية من تحت سليمان وحتى تحت جمشيد. وفي بازار كاده التي تعتبر أول عاصمة أخيبية وبه  
في عصر قوروش الكبير، كما بين قبر قوروش نفسه بالإضافة إلى عدد من الفاعات المعبدة وعدد من  
القصور الكبيرة والصغرى ومن الآثار المتبقية من الأبيات الدينية بعض بيوت النار، وقبر قوروش الذي يبني  
على منصة من ست طبقات على شكل غرفة، منفردة ذات غطاء يشبه الإيوان أو التابوت، وقد يحيط  
كلها باللوح حجرية كبيرة تشبه الرخام، إلا أن هذا البناء الذي يبلغ مجموع ارتفاعه 11 متراً يعد  
بداية وأئمة للعمارة الأخيبية.

وفي عهد الإمبراطورية الأخيبية، عمل الملوك على حشد الفنانين والمعماريين والمعماريين من  
ولايات الإمبراطورية المختلفة، التي كانت تحت الحكم الفارسي، واستفادوا منهم في بناء وترميم  
قصورهم، معتقدين بأن هذه العناصر الفنية المختلفة سوف تتحقق لهم العالمية، وتتوحد جهود العالم  
المتمدن للمرحد وإمكاناته، ويزيد ذلك ما وجد في آخر عمران هو قصر الآيادانا الذي شيد في عهد  
داريوش في مدينة سوسه، فيذكر نقش تذكاري يعود إلى أيام داريوش فيه وصف لقصر سوسه هذا.

"جُلْب خشب الأرض من جبل يدعى لينان، نقله الأشوريون إلى بابل، الكلاريون والأيونيون"  
الإغريق" نقلوه من بابل إلى سوسة، خشب ياكا جلب من قندهار وكرمان، وجلب الذهب الذي  
استخدم هنا من سرديس وباكطريا، ومن بلاد الصعد جُلْب الحجارة وأنى باللازورد وبالعقيق، وهي  
بالغورز من خوارزم، وبالفضة وخشب الآتيوس من مصر، والتربيات التي زُرِبت بها الجدران جُلْب  
من آيونية، أما العاج فقد حُمل من آيونية والستند وأرجخوزيا، ونقلت الأعمدة الحجرية التي رفعت هنا  
من أبيرادو في عيلام. وكانت النحاتون الذين نجحوا في المحارة آيونيين وسرديين من سرديس، أما  
الجوامير جبون والصياغ فكانوا من الميديين والمصريين، وكان صناع الآجر من بابل، أما مزخرفو  
الجدران فكانوا من الميديين والمصريين"<sup>(١)</sup>.

وأنتم الفرس بالزخرفة التي تشكل العنصر المميز لفن الإبراني في العصر الأخميني والعصور  
التالية له، بالإضافة إلى فن النحت وتمثيل الأشخاص، والتي تدل على العظمة والقوة.

#### - العمارة الفارسية:

يمكن القول، إن الفرس اهتموا بالعمارة المدفأة كالقصور والأبنية على حساب العمارة البدنية، لأن  
الفرس لم يهتموا بإقامة منشآت دينية كبرى، ونعد القصور الملكية التي شيدت في برسبيوليس وسوسة  
ويازركاده، من أهم النماذج التي روّعيت فيها عند بنائها، الاعتبارات التالية:

- إنما يهتم على مرتفع أو مصطبة أصناف عديدة.

R. G. Kent, Old Persian, New Haven Icr, cd, 1650, 2<sup>nd</sup> 1953, p143-144. -<sup>١</sup>

فرزات، المرجع السابق، 104-103.

- بنيت جدرانها من الطوب، وفي أحيان كثيرة كانت بشكل أنواع منحونة من الحجر أو الطوب الملون.
- ظهرت البوابات التي تحيط بها أشكال كبيرة من التيران ذات الرؤوس الآدمية.
- ظهر الإله أهورامزدا، كما ظهر آشور سابقاً، في رسم له ذفن في قصر مجنح.
- مداخل القصور كانت مزيجتاً بمحليات فرعونية، كما دخلت زهرة اللotos في التررين، وربما كان يتأثر الفنانين المصريين.
- ظهرت الأعمدة بتواضعها الأيونية وبتجانسها المريحة، ويعزى وجود الأعمدة بكثرة في العمارة الفارسية، إلى تأثير العمال والفنانيين الإيجيin والأيونيين من حوض بحر إيجة، حيث جلبت اليدي العاملة من هناك.

ويرى بعض الباحثين أن القصور الأحميقية، اتبعت وتأثرت في تخطيطها وبنائها بالعمارة الراخادية الآشورية، ويزيد ذلك ما كتبه داريوش على أحد الأبنيـة في سوسـه، "إن الإله العظيم أهورامـزا الذي حـلـقـ هـذـهـ الـأـرـضـ وـالـذـيـ جـعـلـ مـلـكـاـ وـاحـدـاـ لـلـجـمـعـ وـسـيـداـ وـاحـدـاـ، أـنـاـ دـارـيـوشـ المـلـكـ العـظـيمـ، مـلـكـ الـمـلـوـكـ، مـلـكـ الـبـلـادـ، مـلـكـ هـذـهـ الـأـرـضـ، وـكـلـ مـاـ فـعـلـهـ كـانـ يـوـسـيـ أـهـورـامـزاـ. إنـ قـصـرـ سـوـسـهـ الـذـيـ بـيـتـهـ، وـإـنـ زـعـرـفـهـ جـاءـتـ مـنـ بـعـدـ، وـإـنـ شـعـبـ بـاـبـلـ هـوـ الـذـيـ أـفـاقـ الـأـسـاسـ...".<sup>(1)</sup>

هذه هو الإنكار الذي حققه داريوش خلال حكمه، الاعتراف بأن كل ما فعله، كان بإرادـة أهورامـزاـ إـلـهـ زـرـادـشـتـ، وبنفس الوقت يذكر للشعوب الأخرى دورـهاـ في فـنـ العمـارـةـ الفـارـسـيـ، الـذـيـ كانـ مـزـيـجاـ بـعـرـ عنـ الشـنـاغـ وـتـلـاقـيـ الشـفـاقـاتـ وـالـغـنـونـ بـيـنـ الشـعـوبـ الـتـيـ شـكـلـتـ الـإـمـرـاطـورـيـةـ الـفـارـسـيـةـ.

<sup>1</sup> - لمزيد النظر: عـارـفـ (عـالـدـةـ مـنـيمـانـ)؛ مـدارـسـ الـقـنـ القـالـيـ، دـارـ صـادـرـ، بـرـوـتـ، 1972ـ، صـ99ـ.

## - النحت والترزيع

اعتنى الفرس بالنحت وترزيع قصورهم وقبورهم، فالآبواب والجلدران المبنية من الحجر الكلسي، كانت مزدلة بالتقوش البارزة البدعة، وبعضها يمثل الملك في حالة صراعه مع الوحوش الضاربة، أو قتله فوق عرشه وبين يديه الأسرى، فضلاً عن الشيران الضخمة المجنحة ذات الوجه البشري التي تزين مداخل الآبواب، وفي كل ذلك يتضح تأثير بابل وآشور سواء في اختيار المواضيع أو في معالجتها، وبظهور الرمز الديني الوحيد في النحت الفارسي الإله أهورامزدا، في شكل قرص الشمس أو إطار محيّج، يشبه تماماً الإله آشور.

ويبدو الرمز الإلهي فوق رأس الملك، كما هي الحال في نينوى وبرسيبوليس أضف إلى ذلك، أن الفرس أخذوا عن الآشوريين تكوين الآخر وطليبه بالبستان، وأضافوا إليه التقوش البارزة فوقه، ولعل أحمل وأبدع آثار هذه التقوش الملونة على الآخر هما الطبقان اللذان وجدا في سوسيه ونقلنا إلى متحف اللوفر، ويتمثل أحدهما أسوداً والأخر رماء من الجيش الفارسي.

كما عثر المقيبون في سوسيه على "نقش الرماة" ولعلهم "الحائدون" الأئماء حراس الملك، ويبدو الشاخص حسب ما يقول ول دبورات: أن هؤلاء الرماة ذوي الطلعة المبهية، قد تزيعوا لحضور حفلة في القصر، وليسوا خارجين لقتال أو حرب، فجلالיהם ذات ألوان زاهية، وشعورهم ولحاظهم بمحنة، وهم يسكنون بأيديهم في فوة وتكبر رماحهم، رمز مناصبهم الرسمية.

ولم تكن فنون النحت والترزيع والتصوير في فارس مستقلة، بل كانت تابعة لفن العمارة، وكذلك كانت الكتلة الغالبة من التماثيل من صنع فنانين جيء بهم من آشور وبابل وببلاد اليونان.

ومن الفنون الأخرى عند الفرس، التقوش على النقود، وعلى الأواني الفضية والذهبية، مثل الأقداح والكؤوس والسروج المرصعة، بالإضافة إلى أدوات الزينة، لأن اهتمامها كان محباً لدى الفرس. كما اهتم الفرس بالجواهر من تيجان وأقراط ومحاليل، وأسحاق كريمة، وحتى الرجال أنفسهم كانوا يباهرون بخليهم بربون بما أعتاقهم وأذاقهم وأذرعهم، ما تبقى من هذه الجواهر والأدوات المرصعة، يدل على براعة الصناعة الذهرين في العصر الأخميني.

وكانت المسسوحات اليدوية والمسجداد والبسط في إيران في العصر الأخميني تكتسب شهرة عالمية، ويؤكد ذلك اكتشاف قطع من البسط وأقدم سجادة وذوق ذات عقد وهدب على أثر التقبيلات الأثرية في قبور بازيريك الحمداء في منطقة الطاي، وتبلغ مساحة هذه السجادة  $200 \times 183$  سنتيمتراً وتحتاج بتصميم جميل ونقوش ونحوم رباعية، ويضم الاحفاظ لها في متحف الأرميتاج في سان بطرسبرغ<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> - سمسار (محمد حسن): إيران، الموسوعة الإسلامية الكبرى، المشرف العام: السيد كاظم الموسوي البجنوردي، مركز الموسوعة الإسلامية الكبرى، طهران، 1989 ، إبراء 10 ، ص 630 - 628.

- الفصل الرابع

- مرحلة الحكم المقدوني "اليوناني".

- الفريقيون.

- المضاربة الفرثية.

- الحياة السياسية الاجتماعية.

- العلاقات الاجتماعية.

- الملك.

- ولی العهد.

- دور الملكة.

- النبلاء.

- الفلاحون والعبيد.

- الفلاحون.

- العبيد.

- الجيش.

- الجيش الفرثي.

- الفن الفرثي.

- الحياة الاقتصادية.

- الزراعة.

- الري.

- أشكال الزراعة وأنواعها.

- الضريب.

- تربية الحيوان.

- الحرف.

- أهم الحرف.

- المخار.

- سك النقود.

- الأسلحة.

- الأواني المزليمة.

- أدوات الزينة.

- حرفة الزجاج.

- التجارة.

- مواد التجارة.

- العلاقات التجارية للفرسانيين.

- مع الصين.

- مع الرومان.

- طرق التجارة.

- طريق التجارة البري (طريق الحرير).

- طريق التجارة البحري (طريق التوابل).

## - مرحلة الحكم المقدوني "اليوناني".

كان الإسكندر المقدوني قد ورث عن أبيه فيليب الثاني مملكة مقدونية، ورغبته في توحيد بلاد اليونان وفيادها في حرب قومية ضد الفرس، وقد أتم الإسكندر مهمة استعادة وحدة بلاد اليونان بعد ثورقا في وجهه عقب مقتل والده، وتحرك في ربيع عام 334 ق.م باتجاه آسيا الصغرى على رأس جيش لا يزيد عن خمسة وثلاثين ألفاً، لكنه بجهد وتدريب كأحسن ما تكون جيوش ذلك العصر، وحقق الإسكندر نصراً الأول في معركة حرانيكوس Granikos قرب الدردنيل، حيث التقى الإسكندر على ضفة نهر حرانيكوس حيثاً فارسياً يضم أغلب ولاة آسية الصغرى مثل فروجيه ولوبيا، وألوبنيا، وكابادوكية، بقيادة ممنون الروماني، وبعد هزيمتهم أحضى الإسكندر أغلب مدن آسيا الصغرى، ثم تقدم إلى شمالي سوريا لمواجهة داريوش الثالث<sup>(١)</sup> نفسه في موقعة ايسوس "Issos" 333ق.م، وفيها حقق الإسكندر نصراً الثاني، وأحتل سوريا ثم مصر التي غادرها باتجاه شمال العراق حيث كان الملك الفارسي قد حشد جيشه بالقرب من أربيل، وفي هذه الموقعة التي عرفت باسم "جلو جيلا" وفيها سحق الإسكندر الجيش الفارسي سنة 331 ق.م، وفر داريوش الثالث باتجاه الشرق، وفي زمن قليل سقطت بابل والعواصم الفارسية سومنه وبرسبوليس، وبازارغاده.

وقام الإسكندر بعد ذلك بمعقب آثار الملك الفارسي الفار، ومشي نحو أكبادانا "المذان"، ولكن أحد الضباط الفرس قتل الملك الفارسي داريوش لإتمام هذه الحرب،

<sup>(١)</sup> - بالغت بعض الروايات القديمة كعادتها في تعداد جيش داريوش حيث وصلت إلى رقم 100,000 مقاتل، وهو رقم نفذه المؤرخون المعاصرون على أساس أن هذا الجيش نفسه لم يكن من القرار غير جبال الأمازون في ليلة واحدة...؟ ومع ذلك يعتقد أن الجيش الفارسي كان أكثر عدداً من جيش الإسكندر ولكن ليس بكثير، انظر: العابد (مفيد): سوريا في عصر السلوقيين، دار شمال، دمشق، 1993م، ص 23، هامش رقم ٤.

فأعلن الإسكندر نفسه ملكاً على الفرس، وأخذ يكتسب عطفهم ومحبتهم، معاملته الحسنة، وتزوج أميرة فارسية، وأدخل الفرس في جيشه، وقد لرت عليه عادات الفرس وأخلاقهم فأصبح متكرراً واستسلم إلى المثير والشهوات.

وهكذا سعى الإسكندر إلى تأسيس إمبراطورية كبيرة وجمع في كيان سياسي واحد كل الشعب التي أحضّها، فقد احتفظ بالتنظيمات الفارسية السابقة فوضع إلى جانب الحكم "المرباد"، قائدًا يساعدّه أو مراقبًا مالياً، وأيقن الإسكندر كثيراً من الأمراء الوطّنيين في مقاطعاتهم شريطة أن يدفعوا الجزية، كما أنه أبقى على النظام المالي المتبقي عند الفرس، غير ذلك وزع كثيراً من الأرضي على أصحابه وأعوانه، وقد أشرك الإسكندر الفرس في الإدارة والجيش، وشجع الرواج بين اليونانيين والفرس، وقد أدت هذه السياسة إلى التقارب بين الإغريق والفرس، واستوطن كثيرون من اليونانيين البلاد الفارسية، وأدى هذا التمازج بين ثقافة وحضارة الشرق مع ثقافة وحضارة الإغريق إلى قيام حضارة جديدة هي الحضارة الملستية<sup>(١)</sup>.

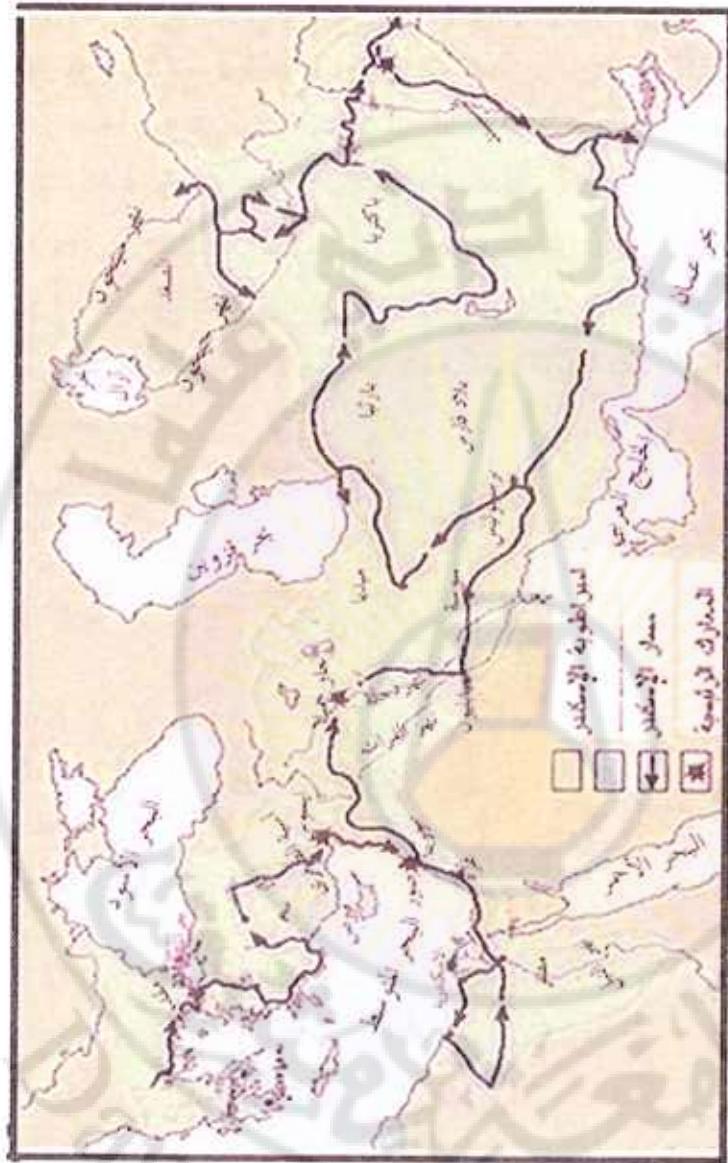
وبعد وفاة الإسكندر المفاجئة عام 323 ق.م وهو في الثالثة والثلاثين من عمره اشتد الصراع بين قادة حول من يخلف الإسكندر، وانتهى هذا الصراع إلى انقسام الإمبراطورية إلى ثلاثة ممالك:

- المملكة المقدونية في بلاد اليونان وبمحاكمها أتيغونوس.
- المملكة البطلمية في مصر وبمحاكمها بطليموس.
- المملكة السلوقية في آسيا الصغرى وسوريا والحضبة الإيرانية وبمحاكمها سلوقس.

<sup>(١)</sup> للمرزيد عن الإسكندر وحملته نحو الشرق انظر: مارة (تحليل): تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، دمشق، 2008م، ص 43 وما بعد، العايد، سوريا في عصر السلوقيين، ص 17 وما بعد.

لقد ورث السلوقيون أكبر أقسام إمبراطورية الإسكندر، وتشمل كل إمبراطورية الفرس القديمة، وقد قضى الملك السلوقيون حيالهم في التقل من مكان إلى آخر لأجل توطيد الأمان في هذه الإمبراطورية الواسعة، كما سعى هؤلاء الملوك إلى نشر الحضارة الإغريقية، في ريع هذه الإمبراطورية، عن طريق إنشاء العديد من المدن ليكون مراكز إشعاع لهذه الحضارة.

وبالرغم من كل الجهود التي بذلوها، لم يتمكنوا أن يحافظوا على دولتهم، فقد انفطر عقدها سريعاً، ففي آسيا الوسطى نشكت دولة "هيلينية — إيرانية" في باكستانية امتدت حتى شمال الهند، وفي شرق إيران بدأ الفرثيون بالاستقلال كمملكة منذ منتصف القرن الثالث قبل الميلاد وهكذا تقطعت حدود الدولة السلوقية.



الفُرَيْدَةُ

لا يعرف على وجه التحقيق أصل الفرثين الأول، وتشير أزياءهم وعاداتهم وبقائهم لغتهم إلى أئمّة كانوا من القبائل البدوية "المندو - أوربة"، وأئمّة ينتمون إلى القبيلة المسماة باري أو برني، وهؤلاء ينتمون إلى مجموعة قبائل إسكندرية واسعة اسمها داهي (Dahae)، كانت تعيش في السهوب الواقعة بين بحر قزوين وبحر آراك، وانتشرت بالخرسية والمرقب.

ويعود أقدم ذكر لـم إلى القرن السابع قبل الميلاد، حيث ذكرت الجنونيات الآشورية إيرمال حملة توغلت إلى الجنوب من بحر قزوين، حيث عادت بالأسرى من بلاد تسمى هونوكا، وهذا هو إقليم بارثوا أو فريشا، الذي نسب الفراعنة إليه، حيث انتشروا في منطقة خراسان المجاورة لبلادهم، وبالإضافة إلى ذلك ورد اسم بلادهم في نقش الملك داريوش باسم بارثافا Parthava أو بارثوا Parthwa كمقاطعة من مقاطعات الإمبراطورية الأخمينية(1).

وفي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد تمكّن الفرعون من التخلص من السيطرة السلوقيّة، وأقاموا حكمًا مختلطًا بزعامة أرشاك، زعيم إحدى قبائلهم، الذي أسس سلالة ملكية حاكمّة عرفت باسم الإرشاكية، حكمت إيران ما يقرب من خمسة قرون "249 ق.م حتى 224م".

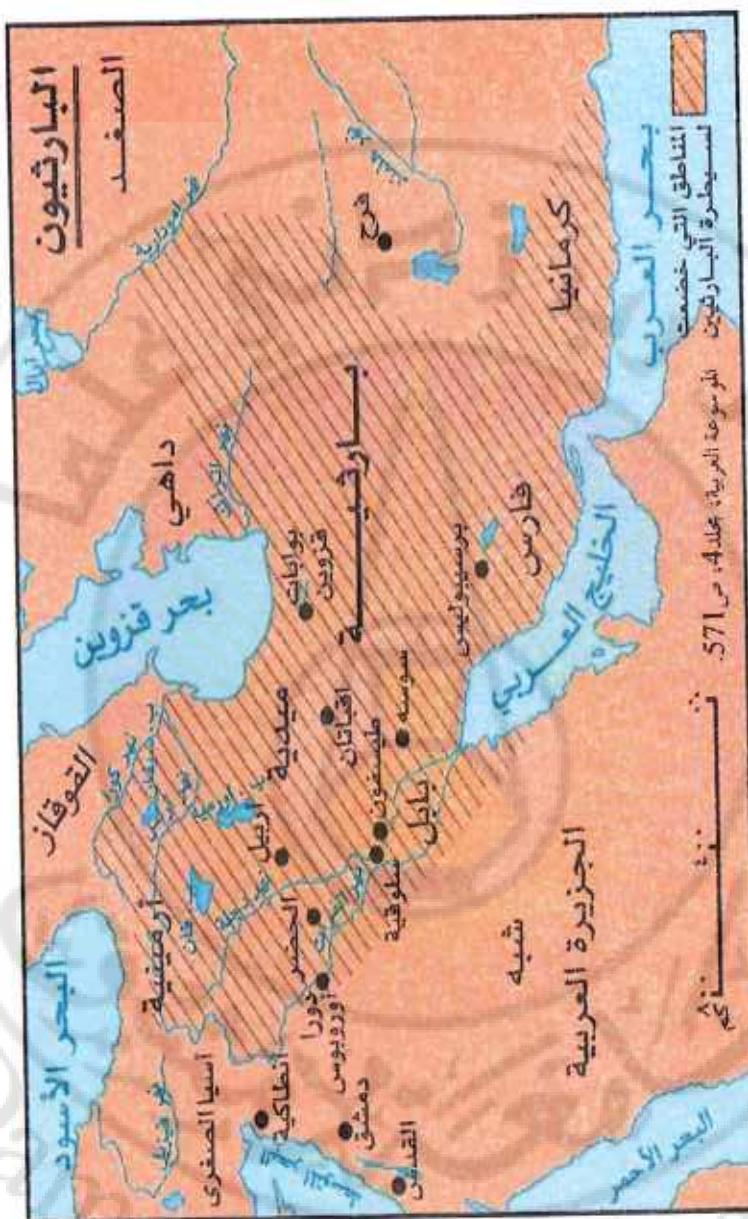
وفي عهد خلفائه استمر الصراع مع المسطوقيين سجالاً بين الطرفين، وبلغت الملكة أقصى اتساعها منه سبطر الفريزيون على كل الولايات الغربية من إيران حتى وصلوا لهر الفرات، كما امتد تفوذهم إلى أرببيه شمالاً وغطى الفريزيون عاصمتهم من

<sup>١</sup> - للمزيد عن التراث، انظر: العلان (أزداد): الممتلكات الفرعية (الإثنانية) منذ القرن الأول قبل الميلاد حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، دمشق، 2008، ص 24-25 وما بعدها.

هيكتيوم بوليس في الشرق إلى أكتاباً "هيلان"، وبعدها أسسوا مدينة طيسقون الشهيرة على دجلة، وتمثل لنا هذه العواصم مراحل توسيع الفريدين إلى الغرب، وأصبحت هذه المملكة في اتساعها وقوتها مرهوبة، لا تعادلها بين دول العالم إلا روما في غرب المتوسط، وتتمكن الفريدين من السيطرة على الطريق التجارية العظيم عبر قارة آسيا من الصين وأخذها إلى البحر المتوسط، وهي الطريق التي اشتهرت بطريق الحرير أو طريق تجارة التوابل البرية، وبعد سيطرة روما على حوض المتوسط، انقسم المشرق القديم بين الفريدين لمسطرين على المنطقة، روما من جهة، وفريدا من جهة أخرى، اللتين تواجهنا على امتداد جبهة طويلة كان الفرات وجهتها الاستراتيجية.

وشهد القرن الأول والثاني الميلادي صراعاً عنيفاً بين الفريدين والرومان، ولم تستطع الحملات الرومانية التي قادها الأباطرة مثل "تراجان وسيپيريوس" عبر الفرات ومناطق الجزيرة الفراتية وأرمينية أن تغير من ميزان القوى بين الدولتين على هذه الجبهة، رغم بعض التحاولات المحدودة، لأن الفريدين تملکوا قوة عسكرية كبيرة تحملت في جيوبهم الفخمة التي كانت تضم فرقاً وكتائب من رماة السهام ومن الفرسان الخفاف والشمال المدرعين بالزركن والمدديد.

وهكذا فشل الرومان بعد محاولات دامت قرابة قرنين ونصف في جعل إيران تابعة لهم، ولا يمكن تحاول أثر هذه الحروب على المملكة الفرثية، حيث كانت من العوامل التي أدت إلى سقوطها، والأخير يمكنا القول: إن المملكة الفرثية شغلت دوراً مهماً في التطور التاريخي والحضاري للهضبة الإيرانية، فأسهمت في الحفاظ على الشخصية الحضارية للمنطقة، وحددت من مساعي الرومان في السيطرة عليها، وطبعها بطابع حضارتهم، كما أسهمت في التطور اللاحق لإيران الذي حدث خلال حكم الأسرة الساسانية.



### الطبقة السياسية والاجتماعية

#### أولاً - البنية الاجتماعية:

تألف المجتمع الفرعي من الآرين، وينتسب على أساس اقتصادي رعوي من الوحدات التالية:

1- ننان أو دمان، وهي أسر أو قبائل، وتعد أصغر وحدة اجتماعية في المجتمع الفرعي، وتشكل إما من عائلة واحدة مع فروعها المنتشرة على مكان واحد، أو من عدة عائلات منتشرة على مكان واحد.

وهذا يدل على أن تشكيل الننان لا يقتصر على رابطة محددة تربط بين الأفراد الذين ينتمون لها كرابطة الدم مثلاً، إذ من الممكن أن تكون الننان من عدة عائلات، ولكن الشرط هو المكان، فإذا كانت العناصر التي تعيش على مكان واحد تتحد فيما بينها وتتشكل الوحدة الاجتماعية.

2- ويسن: وتكون من عدة فروع وعائلات، (نان أو دمان)، وكل ويس مستقلة تماماً ويمكن أن يعبر عنها باسم القرية.

3- زنترو: وتكون من مجموعة من الويس، والزنترو كوحدة اجتماعية أكبر من الويس، ويمكن أن يعبر عنها بأنها المدينة.

4- دهير: وتكون من الننان أو ثلاث من الزنطرو، وهي أكبر وحدة اجتماعية في العهد الفرضي، وكانت مستقلة في مختلف أمورها، والزنطرو عادة تبيع لها، ويمكن أن تعد الدهير مقاطعة أو ولاية باريسية؛ لأن تسلط الدهير على الأراضي كان يأخذ شكل المخوب والزاعمات، أو شكل الفرق السياسية السلمية.

تبين الدهيو أن الفرثين شكلوا دويلات كثيرة، إن جاز اعتبار كل ولاية دولة مستقلة تبع إسراً ملك الملوك، فليس هناك أية قرية أو مدينة تهاجم مدينة أخرى، كما أن من يهاجم الآخر يجب أن يكون لديه جيش وحكومة ورئيس دولة، وهذا يمكن أن نعد الدهيو ولاية، ومن بمجموع الدهيو تشكلت السلالة الفرثية<sup>(1)</sup>، ولأن كل حاكم للدهيو سُئِّل نفسه مذكراً لذلك وجب على ملك جميع الدهيو أن يسمى نفسه ملك الملوك<sup>(2)</sup>. وكان للعائلات السبع الفرثية دور كبير في هذه المرحلة من التاريخ حيث شكلت كل واحدة من هؤلاء الأمة تحريفاً كائناً بذلك، وإن تسمية ملوك التي أطلقها عليهم لم تأت من فراغ لأن هؤلاء كانوا يتمتعون بكل ما ينتمي به الملك، من قوة وجيش وأملاك.

يعتقد أن هذه الأمة التي أحاطت هؤلاء وتشكلن الدويلات الخاصة بهم، كانت الدافع للمؤرخين العرب الذين أطلقوا اسم ملوك الطوائف على هذه المرحلة من تاريخ الفضة الإيرانية، ولعلهم قد صدوا بذلك الطائفة حاكماً المقاطعة المستقلة في إدارة شؤونها، والتابعة لملك الملوك الفرثي.

ورثت هذه الأسر السبع ملكية الأرضي الواسعة، وإمتيازات القوة الناظمية، أو الجيش، ومن المرجح أن حكام المقاطعات امتلكوا قيادة العائلات السبع أيضاً، وكان لكلا الطرفين دور مهم في انتخاب ملك الملك<sup>(3)</sup>.

ولم يحافظ هؤلاء الولاة "الملوك" على ولائهم الدائم لملك، ذكرنا ما شاركوا في خلع الملك عندما رفضوا سياسته، وحكمه للبلاد، ومن هؤلاء قادة الجيش في الري، وجرجان وسستان.

<sup>1</sup> - رضائي، گنجیده تاریخ ایران، جلد ششم، ص 652، شعبان، مرجع سابق، ص 101 - 102.

<sup>2</sup> - رضائي، گنجیده تاریخ ایران، جلد ششم، ص 652.

وأجرت عادة الملوك للحفاظ على هدوء أتباعهم، والتخلص من الفوضى والاضطرابات التي قد يشرونها، أن يأخذ الملك أبناءهم الذكور (أبناء العائلات المالكة والبلاد وحكام الولايات) كرهائن لضمان ولاء آبائهم، حتى لا يشكلوا عثراً على العرش الملكي، وكان ذلك إجراءً وقائياً لعلاج أحوالات قبل وفاتها. وعلى الرغم من ذلك، قادت مجموعة من التمردات ساعدت عليها سمعة الملكة الفرنسية وزرافي أطرافيها، وقد لها للمرة الثانية التي تجعل منها واحدة سياسية متৎسة<sup>(1)</sup>.

وبالانتقال إلى حياة الملوك التابعين للملك، فقد كان هؤلاء نماذج مصغرة عن الملك، فامتلكوا كل عناصر القوة والامتيازات الخاصة، كالملائقة والخدم والجيش الخاص<sup>(2)</sup>. وخير مثال على ذلك سورينا الذي لا يجد شخصاً عادياً؛ فهو الرجل الثاني في المملكة، وكان لديه ألف جمل تحمل مئات، ومنتها عربة خطيباته، وألف رجل خدمته، كما كان لديه على الأقل عشرة آلاف خيال، بالإضافة إلى خدمه وحاشيته. وهو من حارب كراسوس وأعاد الشرف للعائلة المالكة<sup>(3)</sup>. وكان منصب حكم الولايات أعلى منصب في المملكة الفرنسية بعد ذلك، وذلك لتمتع هؤلاء بحرية كاملة في إدارة ولاياتهم. وكان الفريزيون ذوي طبع حسنه، ومستعدين دائماً لأي عمل في البلاد أو خارج نطاقها، ومن طباعهم أفهم قليلاً الكلام، وبالتالي يغطي الصمت بمحاجتهم، وكذلك

Rawlinson, op, cit, Volume III, p122.<sup>1</sup>

<sup>2</sup> - شعبان، المرجع السابق، ص 104-81.

Wolski, J., L'aristocratie fonciere et l'organisation de l'armee parthe, Klio 63,

1981, pp56-60.

Rawlinson, op, cit, Volume III, pp99-101.<sup>3</sup>

إختلافاتهم، ولما امتازوا به أيضاً طاعة أمرائهم، ليس بسبب التواضع بل بسبب الخوف<sup>(1)</sup>.  
ويترعرع على قمة الفرم الاجتماعي قبيلة الفرثين، ولا يحق لأحد من غير أبناءها أن يعتلي عرش  
المملكة الفرثية، وكذلك أحد أبناء هذه القبيلة عروش الممالك التابعة والخاضعة، وكانت هناك مرتبة  
دقيقة لعرش المنطقة حسب أهميتها، كما كانت سلطة الملك المطلقة نظرياً مفيدة عملياً بطالقها من  
النوجهات والتقييد التقليدي<sup>(2)</sup>.

ثاني بعد قبيلة الفرثين، قبيلة العزاة الأبارقة، المتشتمل لقبيلة بارني، أي إلها جزء من القبيلة التي  
يتبعها الفرثيون، وهم الموصوفون بالمفروضة، وهذه بدورها تقسم إلى قسمين الأول يضم الوجهاء  
والعسكريين، من أبناء شيخ العشاور وأفخاذ الأبارقة، وتحتكر هذه الفتنة السلطة السياسية والعسكرية  
في المملكة، ويقر ذلك القانون أو على الأقل الأعراف الشائعة لديهم، ويشمل الثاني بقية أفراد القبيلة.  
ويشكل الوجهاء نواة الجيش في المملكة الفرثية، فهم الفرسان حملة السلاح الثقيل، وكان  
أساس سلطتهم وأهميتها، بالإضافة إلى دورهم العسكري، امتلاكهم للمساحات الواسعة من  
الأراضي، ومن بينهم بروز العائلات النسب الكبيرة، ولا تختلف سلطتهم في تلك الأرضي عن سلطة  
الملوك.

بالإضافة لذلك فقد تبع هؤلاء الوجهاء سلطة كبيرة على أبناء عشائرهم، وعامة أبناء أفخاذ  
الأبارقة، ومن هنا جاء الاعتقاد أن الأحرار قليلون والعبيدين كثیر، ذلك

<sup>1</sup> Justin, Op,cit, Book, XLI -

<sup>2</sup> - بونقارد - ليغين: المراجع السابقة، ص 423. فدبليان (عباس): تاريخ فرهنگ و غدن ایران در دوره سلوکیان  
و اشکانیان، انتشارات فرهنگ مکتب، کتابخانه ملی ایران، تهران، چاپ اول، 1383، ص 168-169.

أن الوجهاء فقط عدوا من وجهة نظر المؤرخين اليونان خاصة أحراراً، أما البقية فهم عبيد.  
إن هذه الحالة المردودة تعكس خاصية المجتمع القرطي، بوصفه مجتمعاً تركت الفرسروات أثراً  
شديداً في بنائه الاجتماعية، فالمجاهلة الذين هم من الغرابة يختلفون عن السواد الأعظم للشعب الخلسي  
المغلوب، وفي الوقت نفسه يتبع هؤلاء إلى الوجهاء، فهم يوضعهم هذا ممثلون للمفهوم المهيمنة، ومن هنا  
شنعوا دوراً كبيراً في جيش الدولة، حيث شكلوا أغلبية، أي جمهور المجلة المحققة ورماة السهام.  
وكانت بقية أفراد الشعب منظمة في طوائف ويدعون بحقوق خاصة، ويدبرون شؤونهم  
الاقتصادية، ومن الحصول لهم عمراً عبيداً نظراً لخضوعهم للبارثين، حسب التصور المتلازم للعام القديم  
التقالي إن أموال وحياة المغلوب تعود بالكامل للغالب.

#### ثانياً: الطبقات الاجتماعية:

قام المجتمع القرطي بمحمومعه على أساس قبلي، وشكل القاعدة الأساسية لطبقة الأحرار المالك  
لالمليون، والنبلاة، والفرسان وعائلاً لهم. وُجِدَ في المدن فروع صغيرة للنبلاء، والتجار، وفروع واسعة  
وكبيرة للذوي المهن، أما المقاضعات والقرى المرتبطة بالأرض فقد عمل فيها الفلاحون وحكمت مسنه  
قبل المالك، وكذلك وجد العبيد، فمن هم هؤلاء العبيد؟ ومن أين جاءوا ما داموا ليسوا من الشعب  
الأصلي للملكة؟.

لقد نظر الفريثيون إلى الشعوب المغلوبة على أنها عبيد<sup>(١)</sup>، ومن هنا وجد هذا العدد الضخم  
للعبيد في المملكة القرطية، وهم في الحقيقة ليسوا إلا الأحرار الذين احتل الفريثيون بلادهم. وهذا يحلل  
أيضاً سبب تبني العبيد بمكانة جيدة في المملكة القرطية.

<sup>(١)</sup> - موسوعة المعرفة الإيرانية، القسم القديم؛ كلية الحقوق، مرتبط بمجموعة وستا آر، ص 210.

وسيطر الفرثيون على مناطق واسعة في الغرب حيث كان يعيش فيها الأراميون الذين يعودون إلى أصول عربية سامية، على ضفاف الأنهار إلى جانب الباليين وانتشروا غرباً في الباادية السورية حيث أماكن العرب الذين سيطروا على مناطق العبور من غرب التبرات إلى شرقه.

أما اليونانيون فقد غلبت أماكن سكthem في مدن مستعمراتهم التي بدأت بالظهور في المنطقة منذ غزوارات الإسكندر، وكانت هذه المدن في بداية العهد الفرثي أبيبته، حتى أشير إلى سكانها على أنفسهم فئة من سكان المجتمع الفرثي<sup>(١)</sup>. ولم يتعرض الفرثيون لهم بل عملوا على كسب صداقتهم، ومن هنا لقب بعض ملوك الفرثيين بأفهم أصدقاء اليونان، فهذا بيشراداتيس الشهان، يحمل لقب صديق اليونان "Phil-Hellene" وينفذ على عمله<sup>(٢)</sup>.

يبدو أن الفرثيين سعوا بكل جهودهم للعمل على التوفيق بين العناصر التي شكلتها مجتمعهم، وعملوا على توفير كل احتياجاتهم، وإلا لماذا يقيم هؤلاء في مجتمع لا يوفر لهم أسباب الراحة، والتعاون؟ أو في مجتمع يضطهدتهم، وهناك من يوفر لهم الراحة والأمان كالأمبراطورية الرومانية مثلاً، إن الطبقة الاجتماعية معقدة جداً، ولا بد من الخوض في تفاصيلها لأجل توضيحها.

Sellwood, David, Parthian Coins, in Yarshater, E. (ed.), The Cambridge History of Iran, The Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge,

1983, Vol 3, pp282-292.

<sup>2</sup> فريان، المرجع السابق، ص 175.

Ghirshman, op. cit, p246. Rawlinson, op. cit, Volume III, p59. Sellwood, op. cit, Vol 3, pp 282-292.

## - الملك

يشغل الملك المركز الأول في المجتمع، وينتشر بقدسيّة كبيرة، ويُكرم بتعظيم اسمه بعد المسوت، ويُعد تقديرٍ واحترامٍ شخصيةً للملك إشارةً من إشارات احترامه، وهذا بدوره احترامٌ لقيمٍ ولمبادئٍ الأخلاقية الاجتماعية الأذربيجانية. وتغيرت مكانة الملك في نظر الأجياع والمرأة له، نتيجةً للتاثير بالمجتمعات الخبيثة، فعندما تسميم الملك واحدٍ من الظواهر المنشورة في العصر الفرئي، وخاصةً بعد الحسروب من الرومان، ودخول الجواري الرومانيات للبلاد الفرئي؛ وعلى سبيل المثال لا الحصر ما فعلته الجاريسية الرومية موزا Musa، حيث قُتلت الملك فراتيس الرابع بالسم، ليصبح ابنها ملكاً مملوكاً.

وتنبع الملك بسلطاتٍ كبيرةٍ فهو يستطيع تحاكمة أي شخصٍ في مملكته، ولا يستطيع أحدٌ أن يسأل الملك، عن ذلك حتى في الحالات المخصصة كمجلس مجلس مغستان مثلاً، ومثال ذلك ما فعله فراتيس الرابع حيث قتل نحو ثلاثة من أخوه مستفيداً من قوته كملك. ومن بين المهام الكثيرة للملك حلسوه للقضاء، كما كان للملك عيون وأذان منتشرة في كل أرجاء البلاد مهمتهم لرسال الأخبار للملك.

وكان لباس الملك ثياباً وجيلاً، ويصل أحياها إلى أطراف الركبة، وعادةً يلبس الملك عباءة طويلة، وتصل هذه العباءة إلى أسفل القدم، وكانت تعطي وتلف كاملاً للجسد، وينبض الملك تحتها سترة وسروراً أو مخزيراً أو الصوف، أما رأس الملك فقد إزدان بناكيل يغطي كامل الرأس في أعلى الأحيان، كما يلبس تاجاً مرصعاً باللآلئ والمجوهرات، وأحياناً يضع الملك على رأسه خوذة، كما يزين رقبته باثنين أو ثلاثة سلاسل من العقود، ولم يكفي الملك بكل هذا بل ووصلت الرقبة إلى أدنيه حيث زينها بالأقراط، وما تحدّد الإشارة إليه أن العباءة لم تكن من صفات العصر الفرئي، فقد

ارتفاعها المليدين من قبل، كما أن الخودة كانت نتيجة نتائج فتاوى السكتب في المجتمع الفرنسي، وليس من مبتكراته<sup>(1)</sup>.

وسكن الملك في قصر قسمت غرفه إلى قسمين الأول للرجال والثاني للنساء، وكانت أروقةه محاطة على أعمدة مزدادة أحواز منها بالفضة، والأجزاء الأخرى بالأقمشة المطرزة بالذهب، وبعض الأجزاء رصعت بالذهب الخالص، بالإضافة إلى ذلك ازدانت الحدران بالصور. وحملت تلك الموضوعات نماذج لانتصارات الملوك الأخميين على اليونان، وصور الطبيعة والأهار وأشجار، إن هذه الموضوعات تثلج قدرة الحضارة الفرنسية على استيعاب القدم والجديد من حولها، فتأثرت باليونان واستفادت منهم، كما أنها ينبع اهتمام الفرنسيين بالطبيعة، وتعلقهم بها.

وبالانتقال إلى لقب الملك فقد لقب الملك في بداية المملكة الفرنسية بالملك الفرنسي، ثم نعت بالملك الكبير، وفي عهد ميراديس الأول تبدل اللقب إلى ملك الملوك، حيث نُفسِّر اللقب الجديد على المسكونيات الفرنسية، بعد أن كان مقتضياً على الملوك الأخميين، أما ملك آشور ومساد والمنسوخ اليونانيون، فلم تكن هذه الصفة من صفاتهم<sup>(2)</sup>.

وبالإضافة إلى ذلك لقب الملوك الفرنسيون بالألقاب أخرى مثل ملك الآريين، وأنحس الشمس والقمر، كما وجد لقب الخالق أو الرب، ومن الألقاب الأخرى التي وصف بها الملوك الفرنسيون، العادل والرحيم والحسن.

تسم هذه الصفات بصفات الآلهة التي يعبدوها الفرنسيون، فهل نظر الفرنسيون إلى الملك على أنه الإله؟ أم هل كان الملك الوسيط بين الآلهة والبشر؟

Curtiss, op, cit, p61. Rawlinson, op, cit, Volume III, p60 - <sup>1</sup>

Rawlinson, op, cit, Volume III, p58 - <sup>2</sup>

من المهم أن هذه الصفات حملت معنىًّا أوسع من ذلك، وهو الإيمان بوجود إله خالق للجميع، وقتله الملك عن الأرض، ومن هنا جاز له أن يتصف بصفاته، وذلك للحصول على رهبة أكبر في نفوس أتباعه الذين كانوا يخشون غضب رب عبادهم، ويسعون لكسب رضاه ببذل الغالي والغالي له، ومن هنا أيضًا كان الاعتداء على شخص الملك من المحرمات.

أما زوجات الملك فقد كان للملك نساء كثير غير الملكة<sup>(1)</sup>، فصورة الملكة كانت للزوجة الأولى فقط، أما بقية نساء الملك فكنّ غير دامت ومحظيات عن بعضهن بعضًا، كما حصرن لكل واحدة منها مكان خاص بها، وهكذا حفظ الملك حقوق الملكة والنساء، وضمنوا عدم تدخلهن في شؤون عميلهم، وكل ذلك خصالية غير مطلقة لحفظ البلاط الفرثي من الصعوبات التي قد تسببها وسائل النساء، وبذلك كان الفرثيون موفقين أكثر من أسلفهم الأخمينيين وخلفائهم الساسانيين مما ساعد على بقاء واستمرار الحكومة الفرثية.

#### - ولـ العهد:

جربت العادة في العهد الفرثي أن يكون الأبن الأكبر ولـ العهد، ولكن لم يجع الجميع هذا النهج؛ إذ كان ذكاء واسعـداد بعض الأبناء الآخرين وعلاقتهم بأبيهم تدفع الأب ليغير ولـ العهد من الأبن الأول إلى الآخرين؛ وكان الملك يتغىـر من أبنائه من يحبه أكثر ويمنحه لقب ملك في حياته، بالإضافة لذلك قد يشكل حب الملك لأمرأه الثانية عقبة في وصول الأبناء للحكم، فيتـخـبـ أبنـه الأصغر ولـ العهد. وكان التـرـد على هذه القاعدة واحدـاً من أسـبابـ المـناـزعـاتـ إذ مـساـ إن يـمـوتـ الملكـ حتىـ يـتوـسـلـ ولـ

Justin, op,cit ,Book, XII. Marcellinus, Ammianus Marcellinus History, - 1

translated by J. Rolfe, Harvard University Press, Cambridge, 1963, 23,6.

العهد الأول إلى إحدى الدول المعاونة، وبأي تجيش من خارج البلاد، وبسفك الدماء الكثيرة حتى يتوج نفسه ملكاً.

وكان مجلس الشورى الحكومي مغستان "miegistanes" يبذل قصارى جهوده لتعيين ولـي العهد، وللتوفيق بين القواعد الفرثية ورغبات الملك، ولا يوفـقون الملك على خالفة القواعد الفرثـية إلا بضـعـوية. ويـزـكـدـ ذلكـ ماـ حدـثـ فيـ عـهـدـ فـرـاتـيسـ الأولـ،ـ الـذـيـ كـانـ لـدـيهـ مـجـمـوعـةـ أـبـنـاءـ،ـ وـلـأـنـ يـرـيدـ أنـ لاـ تـقـعـ الدـوـلـةـ الفـرـثـيـةـ فيـ يـدـ شـابـ قـلـيلـ الـخـبـرـةـ وـالـتـحـرـيـةـ،ـ اـتـخـبـ أـشـاهـ مـيـثـرـادـاتـيسـ الأولـ لـلـمـلـكـةـ،ـ وـعـنـدـمـاـ اـتـقـعـ أـعـضـاءـ الـمـلـسـ بـلـكـ وـاقـفـواـ الـمـلـكـ فيـ رـغـبـةـ<sup>(٩)</sup>.

دور الملكة

كان الملك ينتخب الملكة من بين نساء الفريئين، وفي أغلب الأحيان من بين بنات الملوك الفريئين، وكانت أكثر النساء احتراماً زوجة الملك ونساء ملوك المملكة، أما باقي النساء فكن خطيبات، أو مغنيات، أو مطربات، وفي وقت الحرب تبقى الملكة في المنزل، ويرافقها الباقةون الجسيش، وكان الملوك يحبون رشاقة وجمال المطربات والمغنيات؛ لدرجة أن بعضهن وصلن لمنصب الملكة، وكانت النساء عادة مقصولات عن الرجال، ولا يجذبن في مجالس الرجال، وكان الملك الفريئون على خلاف الملوك الأخيهين؛ إذ لم يسمحوا للنساء بالتدخل في شؤونهم، ولكن لكل قاعدة شرطًا فهناك موزاً، أم فريئس الخامس، تعد مثالاً واضحاً عن دخول النساء في شؤون البلاد.

<sup>1</sup> - اعتماد السلطة، ترجمة المسابق، ص 86.

## - النيلاء:

تمنع النيلاء الفريبيون بعقلة كبيرة، فهم ليسوا فقط ملوكاً تابعين بل هم ملوك شبه مستقلين، وملكيتهم ورائية، وشكلوا مجلس مقستان الذي كان غير قابل للإلغاء، وكان من بين احصاصاتهم انتخاب الملك حسب الأصول، ولا يستطيع الملك أن يتمادي عليهم بسبب قوتهم، لذلك سعى دائماً لتعمل على احترامهم وإرضائهم، فكان هؤلاء أصحاب الامتيازات الكثيرة التي مكتسبهم في بعض الأحيان من السيطرة على الملك<sup>(١)</sup>.

وشغل النيلاء مكانة مهمة، ووجب على الملك احترام امتيازاتهم، ونكونوا من عدة عائلات نبيلة، وامتلكوا أصولات الانتخاب في المجالس الملكية، وامتازت عائلة سوربا من بين جميع العائلات النبيلة الأخرى بحق تعيين الملك.

بالإضافة لذلك وقف النيلاء على رأس قوة كبيرة إذ امتلكوا الأرضي، وكان عليهم تحهير الجيوش وقت الحرب، مما دعم امتيازاتهم، وعلى رغم ذلك كان الملك على استعداد دائم للسيطرة عليهم، من خلال استعداد بعضهم ضد البعض الآخر، وبالتالي العكس صحيح فإذا تعاون النيلاء ضد الملك تمكروا من عزله وتنحيه عن العرش.

وكان طبقة النيلاء الفريبيون أكثر استغلالية بكثير من السلاطات السابقة كالأخمينيين مثلاً، فقد مارس النيلاء سيطرة حقيقة على الملك في بعض الأحيان. وبالإضافة إلى ذلك كان هناك عادة فروق بين النيلاء نبلاء الميرية الأولى كانوا إلى جانب الملك، كرتبة مشير للملك، وكان هذا المنصب وراثياً لعائلة بعينها، وهي العائلة

<sup>١</sup> - اعتناد السلطة، المراجع السابق، ص 190. - بنش (أحمد تاج): تاريخ مختصر تمدن وفرهنگ ایران قبل آغاز اسلام، كتاباته ملي ایران، نورث، چاپ اول، 1381، ص 239. عدادیان، المراجع السابق، جلد دوم، ص 1299 - 1300. قیدیان، المراجع السابق، ص 168. Rawlinson, op. cit, Volume III, p57.

التي تأتي ثروتها بالدرجة الثانية بعد الملك. ويستطيع رأس هذه العائلة أن يجند عشرة آلاف جندي وعبد لخدمة الملك.

أما المرتبة الثانية من النبلاء فهم النبلاء الذين يعيشون في ممتلكاتهم وأراضيهم، ولكن عند الحرب يجندون القاتلين عليها لخدمة الحرب والملك، ويقتلون على رأس أتباعهم، وكان من بين هؤلاء الحكام، أعضاء مجلس الملكي، وكانت ثروة هذا الصنف عظيمة جداً، ولكن أقل من ثروة الملك والمرتبة الأولى من النبلاء.

إن في ذلك إشارة واضحة إلى أن للقيمة المادية درجة كبيرة في تحديد مكانة النبيل، فكما زادت ثروته، أصبح من المقربين أكثر إلى الملك. ومن هنا لابد أن النبلاء معوا بكل ما أوتوا من قوة لزيادة ممتلكاتهم، وبالتالي زيادة مكانتهم ومكتسباتهم.

وفي الحرب كان النبلاء قادة الفرق العسكرية، وكانت الحرب مجيبة لهم لأنها تزيد في ثروتهم وأموالهم نتيجة مكافأة الملك لهم، وكل ذلك كان يزيد من ثروة هؤلاء حتى إنهم كانوا ينافسون الملوك الشعاف في قوتهم ونور ذمم<sup>(1)</sup>. وفي وقت السلم، كان هؤلاء يحضورون مع آبائهم في موكب الملك، لتنفيذ رغباته، ويزداد تنفيذ هذه الرغبات بزيادة قوته وثروته هؤلاء النبلاء. وعادة كان الملك يأخذ أبناء النبلاء رهائن كعربون وفاء من آبائهم، أو يضعهم عنده أو يرسلهم إلى أيادطرة الرومان.

ويعتقد أن الزراع بين النبلاء كان واحداً من الأسباب التي ساعدت في القضاء على المملكة الفرعية، فالخروب الداخلي ساعدت على الانقسامات، وهدرت إمكانات المملكة، التي كان من المفترض أن توظف لصالح القضاء على العصاميين في البلاد، كما أنها ساعدت على إضعاف مختلف الأطراف المتنازعة، وبالتالي سمحت لبعض النبلاء الأفريقياء بالتمرد، والتأثير على مصير الدولة، وسائل ذلك تم رد أردوشير السادس، الذي

<sup>1</sup> - شعبان، ترجمة السابق، ص 98. قدامي، ترجمة السابق، ص 168-169.

استغل الضعف الداخلي والتهديد الخارجي، فحقق انتصاراً على المملكة الفرعية، وأعلن قيام سلالة حاكمة جديدة.

- الفلاحون والعيبد:

- الفلاحون:

شكل الفلاحون طبقة اجتماعية متميزة في المجتمع الفرعى؛ ذلك أنهم ذرّبوا بالأرض وعمل الفلاحون بالزراعة وكانت على أشكال متعددة، فمنهم من زرع في أراضي المالك الكبار، ومنهم من استأجر الأراضى على أن يدفع للملك ما يعادل ثقى إنتاج أرضه أو يقدم له في نهاية الموسم ثلثى الإنتاج، وكانت الملكية الفردية في هذا المجال تشمل الأرضي الزراعية والعقارات والحيوانات والعبيد والمواد الزراعية والمعادن. وكانت ملكية الأرض تشمل ما عليها من أدوات ومن عليها من عبيد، حيث كان هؤلاء يتقلدون مع الأرض بيعا ورهنا<sup>(1)</sup>. وسُمح للفلاحين بالانتقال من مكان إلى آخر كييفما شاؤوه، ولكن إذا امتهوا عن العمل بالزراعة فعلبهم التعريض لليمالك.

و عملت المرأة في القرى والأرياف إلى جانب الرجل، وخاصة المسارعين منهم، وارتدى الفلاحون لباساً نبيلاً من القنب، على شكل بنطال وقميص طويل، وكانوا طربلية الشعر واللحية، وبالمقابل ارتدى نساوهم الثياب الفضفاضة والطويلة. وشكل الفلاحون والعاملون في الأرض الجزء الرئيسي من الجيش، لذلك وجب على الملك أن ينهي الحرب بسرعة لكي يعود هؤلاء إلى أعمالهم.

---

King, L.W., and Hall, H.R., History Of Egypt, Chaldaea, Syria, Babylonia, -<sup>1</sup>  
And Assyria In The Light Of Recent Discovery, Produced by David Widger,  
London, 2005, Vellum 1, pp 450-455.

وعان الفلاحون في المملكة الفرثية من كثرة فرض الضرائب ونعسف جباها، بالإضافة إلى العقوبات التي كانت تفرض بحق من لا يدفع ما وجب عليه من الضرائب، كما عانوا من أعمال المسخرة التي فرضت عليهم وعلى عائلاتهم، وكانت هذه الأعمال تتعلق بطبيعة أعمالهم الزراعية، كشح الأفقي، وتنظيفها، والعمل على صيانتها بشكل دوري، بالإضافة إلى العمل في أراضي الملك والعابد<sup>(١)</sup>.

— العبيد :

هم الطبقة السداسية والأخيرة ، وهم ملك لأسبابهم ، ووصلوا إلى هذا الأمر إما عن طريق الأسر في المحرر أو الشراء، ولقد أنسحب هؤلء تفاصيل الأعمال الشاقة والمهن الروضية. واحتلّت وضع العبيد في المملكة الفرثية عن وضعهم في أغلب المجتمعات القديمة. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن طبقة العبيد في المملكة الفرثية كانت تكون من سكان البلاد الوطنيين بالإضافة إلى القليل من الأجانب. وكان العرف في المملكة الفرثية أن الأطفال المسلمين يولدون من حاربة السيد يتحققون بقوّة القانون هم وأمهem بعد وفاة أبيهم. أما الأطفال الذين يولدون من أبوين رقبيين فيصبحون مثلهم.

هذا عن الرق بالولادة، أما عن الرق لأسباب أخرى غير الولادة فقد عدت المحرر أهم هذه الأسباب. فالأسير يصبح عبداً لمن أسره من الجيش المتصر.

وفيما يتعلق بالجندي الذي يقع أسيراً خارج البلاد، ومن ثم يصبح عبداً لسيده أجنبي، فإذا عاد هذا الجندي إلى وطنه بعد افتدائه، فإنه يعود حرراً يشرط أن يقدم خدية إلى من افتداه.

King, Hall, op,cit, vol 2, pp 150-155,173. -<sup>١</sup>

Marcellinus, op, cit, 23.6.

أما بالنسبة لحالات عنق العيد، فقد كان يجوز للسيد بإرادته أن يعنق عيده وذلك عرّج، عقد خاص أو أمام القضاء، و مع ذلك يشير بعض الباحثين إلى أن المعنق يظل مرتبطًا بعض الالتزامات تجاه سيده القديم خلال حياته، ومن جهة أخرى فإنه يجوز للعيد أن يشتري حرفيه *باليه*، ما دام قادرًا على امتلاك الأموال، ويحق له أن يستعين من غيره لشراء حرفيه، على أن يسدّد دينه لدائنه بعد ذلك، ولذا يحذر الإشارة إليه وجود العيد البارعين في فنون ركوب الخيل والرمي بالقوس.

لم يعمل العيد بالأراضي الزراعية كما هو مأمور في الشرقي القديم، بل كانت أكثر أعمالهم الخدمة في المنازل، وفليّل منهم من عمل في الأرض، كما شاركوا في الجيش، وقد استخدم الفرسان أسلوبًا حسنًا في التعامل مع العيد، ويشهد على ذلك نقوش تحت جمشيد<sup>(١)</sup> التي امتناع بالإشارات لدفع روابع العيد الفائمين على العمل في النبي، وهذا يدل على تحسن وضع العيد في المملكة الفرثية مقارنة بالدولة البوذية.

### ثالثاً - الجيش:

#### - الجيش الفوشي:

ثبتت الحروب البوذية - الفارسية، أن القوات خفية السلاح لا يمكنها الصعود في وجه القوات التقنية والمدرية، وخاصة عند تقسيم هذه الجيوش إلى كتائب، ولكن من جهة أخرى يمكن من إصلاح الفرسان الحقيق أن يثير الفرضي والاضطراب في صفوف فرسان السلاح التقليدي، عندما يهاجم النشاط الضيقية فيه، وهذا هو الأسلوب الذي

<sup>١</sup> - تحت جمشيد: هي مدينة برسوليس، تقع على مسافة (٥) كم شمال شرق مدينة شيراز، كانت عاصمة الأchaemenians وبروك حكمهم لاحتلها الإسكندر مطلع عام 330 ق.م، إسماعيل (فاروق): برسوليس، الموسوعة العربية، دمشق، ط١، 2004م، مجلد ٤، من 861-862.

استخدمه الفرسون في المعركة ضد اليونان، وكان مجالاً للتعرف إلى وسائل واستراتيجية الحرب الجديدة.

ولتحقيق ذلك عمل الفرسون على تأسيس جيش قوي؛ يعتمد بالدرجة الأولى على الفرسان، إلى جانب إبقاء التنظيم البوتاني للمشاة، مما مكّن الفرسون من تحقيق معظم انتصاراتهم.

وقد تطور تنظيم جيش المشاة في عهد ميراداتيس الثاني، حيث تخلى عن التكتيك البوتاني، واستخدم من جديد الطرق القديمة، حيث شكل سلاح الفرسان القوة الأساسية في المعركة. ولكن الأمر الأكثر أهمية هو افتقار الملكة الفرنسية إلى الجيش النظامي – إن جاز التعبير – فقد قام الجيش الفرسي على أساس حاميات البلدان والمحصون، بالإضافة إلى القسم المخصص لحماية الملك، وجيش رؤساء العشائر، وجند ملوك الأرضي.

ومن هنا كان الجيش الفرسي مشروطاً بجند ملوك الأرضي، فكلما دعت الحاجة للجند كان ذلك ينافي جند ملوك الأرضي، ورؤساء العشائر جمع ما يترتب عليهم جمّة من الجند، وكان على ملوك الأرضي أن يجهزوا جندهم بالأسلحة، والمعدات، ثم يحضر وهم في الوقت المعين إلى المكان المحدد، وعندما يكون عدد الجيش قليلاً كان الملك يكمله من الجنود المأجورين (المرتزقة)، وما تدلّ الإشارة إليه هنا أن هذه الجيش كان يبع ألوامر قادته الخيليين أكثر من ألوامر الملك، الأمر الذي أثر على الجيش وعلى تنفيذ مهامه<sup>(1)</sup>.

Ball, op, cit , p14. Debevoise, op,cit, n, 38, p78. Rawlinson, op, cit, -  
Volume III, p256. Isidore of Charax, Parthian Stations, an Account of the Overland Trade Route, Between the Levant and India, in the First Century B.C, the Greek Text with a Translation and Commentary, by Wilfred. H, Schoff, Transcribed from the Original London Edition, 1914, Parallel, Passages From the Chinese Annals, Quoted from Hirth, China and the

وكان لدى الفرسين جيش من المشاة ولكن المهمتهم في تقسم الفساد والعلاج للمصابين، وتنمية خدمات سلاح الفرسان، وحماية وحراسة المعسكر الملكي.

كما أن الحرب في المناطق الجبلية والوعرة من الهمام التي أوركت إلى المشاة، حيث تصعب حركة الفرسان، وتقل أهمية مشاركتهم، كما كان لهم مهمات أخرى، في المناطق السهلية، ولأنه من أين جاء رماة الرماح الفرثيون المشهورون؟ من غير المقبول أن يكون سلاح الفرسان كل شيء، ومن المرجح أن المشاة شكلوا ركيزاً أساسياً في الجيش الفرثي، وإن قللت المصادر التاريخية المتراغنة من أهمية هؤلاء.

وقسم سلاح الفرسان إلى فسمين: قسم ذوي الأسلحة الثقيلة، وقسم ذوي الأسلحة الخفيفة. كان الأول يخوض المواجهة مع العدو، ولديه أسلحة حمامة ودفاع، وكانت أسلحة الدفاع عبارة عن درع طوبيل تصل إلى الركبة، وقبعة من الحديد، أو الفولاذ توضع على الرأس، وبنطال جلدي واسع يصل إلى أسفل القدم، ولم تقتصر دروع الحماية على الفرسان بل طافت خيولهم أيضاً<sup>١</sup>.

و كانت أسلحة الحرب حرية طويلة ومتينة وقوساً وسيفها، أما مهاراتهم فكالنوا بارعون في الرسم ، وقد تبه الفرثيون للحرب في المناطق الجبلية، وفي المناطق السهلية والمرتفعة الأطراف حيث برعوا في كل هذه الأنواع.

Roman Orient, Shih-chich written about 91 B.C, p123. Plutarch, op, cit, p

46.

<sup>١</sup> - اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص 199. يخشى، المرجع السابق، ص 274-275. فدیانی، المرجع السابق، ص 163..

وأما جيش الفرسان ذو السلاح الخفيف فلم يكن لديه قبعة ولا درع، وكانت أسلحة الحرب مخصوصة بالأقواس والرماح، بالإضافة إلى السيف وعناصر رماة السهام؛ وجهز هذا الفرع ليكون خفيف الحمل وسريعاً ورشيقاً، خاصة في الكر والفر، إذ لم يكن هناك عناصر في هذا الجيش مسلحة بأسلحة أخرى، خاصة أن الفرسين لم يستخدموا العربات الخفيفة في الجوش، وعليه طالت أسلحة الحصابة وال الحرب عناصر جيش الفرسان بفرعيه.

كما حافظ الفرسيون على حفة حر كة قراهم وسرعتها، لذلك ليس من مصلحتهم ترويسي المفارس بلباس أو سلاح يعيق حركته، ويدعم هذا الرأي أسلوهم القائم على الكر والفر، وأظهرت التجربة أن سلاح الفرسان الخفيف المسلح بقوس ورمم وسهم وسيف، كان مناسباً جداً للمناورات، لسهولة الحركة، أما في المعارك القرية، فكان هناك سلاح الفرسان التقيل للزود بأسلحة المسابقة التي تساعد على الوقاية من الضربات القرية<sup>(١)</sup>.

ونقادى الفرسيون نقص سلاح الفرسان الذي كان من أهم مشكلات أسلوهم الأخبيين من خلال حمل كعبات كبيرة من السهام لاستخدامها في المعركة، عندما تفقد الذخيرة التي يحملها الفرسان، وخاصة النبال لأن الأساس في معارك الفرسين كان رمي النبال الكثيرة على العدو لإرباكه، ومن ثم مهاجمته بالرماح لتحقيق النصر، وكان مثل هذا التكتيك أثر كبير؛ إذ سرعان ما تندى نبال العدو بسرعة ويغى الفرسيون في مأمن من هذا الموقف الخطير.

بالإضافة لذلك كان الجيش القرشى مدعوماً بالجمال، الحيوان الذى يمكن أن يتحمل تحمل المبارى ودرعه، وساعد ارتقاوه على الرمي من مكان مرتفع كما ساعد

<sup>1</sup> Rawlinson, op, cit, Volume III, pp257-258. ..

على إصابة الهدف، وإعاقة أهداف العدو، ناهيك عن القدرة الكبيرة للحمل على التحول.

وكانت وسيلة الفربين في الحرب مضادة العدو، وذلك من خلال الكفر والغدر، واستخدموها طريقة تكتيكية أكثر فاعلية تقوم على مبدأ المبالغة حيث يتظاهرون بالتراجع ثم يطوقون العدو المتقدم خلفهم ويوقعون به الفزعة، لكن هذه الطريقة لم تكن مناسبة للبلدان والمحصون والمدن، كما أن هنالك نوع من السلاح والتكتيكي المخفي لا يحتوي على ملامح طوبية خاصة في المشاه، لأنهم يقتربون إلى أدوات الخصلار<sup>(١)</sup>.

#### - الحياة الدينية:

تنوعت المعتقدات الدينية في الفترة الفرعية وتدل المعلومات القليلة إلى استمرار وجود العبادات القديمة، المتمثلة بعبادة آلهة الطبيعة على اختلاف أشكالها، وإلى انتشار الزرادشتية، بالإضافة إلى المسيحية التي استفادت من صحة النصائح الدينية التي اتبعها الفربين مع أتباعهم، لا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة وهي وجود تماثيل للألهة، والأفراد العائلة المالكة.

وبدل ذلك إلى انتشار المعتقدات الأذرية القديمة وعبادة الأجداد وعبادة ميرزا وكل هذه العقائد كانت سائدة في العصر الأخميني السابق، وتنظر تسميات ميرزا المختلفة كثرة المهام التي تسب إلىه، فكان للعدل والحب والثور، والقسم والمداواة وغيرها، ولذلك شاعت الأسماء المشتقة من ميرزا، كميراداتس وفي هذا دليل واضح على المكانة الكبيرة لميرزا في المجتمع الفرثي<sup>(٢)</sup>.

<sup>1</sup> - اعتماد السلطة، المرجع السابق، ص 199-201. قديان، المرجع السابق، ص 187. Rawlinson, op,

cit, Volume III, pp258-259.

<sup>2</sup> - زيهير، المرجع السابق، ص 126-128.

## - الزرادشتية:

استمر انتشار الدين الزرادشتية في العصر الفرثي، وزادت أهميته بشكل كبير وما يدل على استمراره وإذهاره ظهور معابد النار والأول مرة في إيران وذلك لأن مبادئ الزرادشتية قبل العصر الفرثي كانت تنص على أن الله موجود في كل مكان ويمكن التوجه إليه بالصلوة في أي مكان، فكانت الصلوات تقام في البيوت أو في أماكن مخصصة للعبادة في الهواء العلوي ومزودة بمقد للنار المقدسة، الرمز الأساسي للزرادشتية. ومن المعابد الفرثية المكتشفة معبد في سلوفاكيا دجلة، ومعبد دورا أوروپوس Doura - Europos بالإضافة إلى ثلاثة معابد في الوركاء، ومعبد في نبور وأخسر في الفضـر<sup>(٤)</sup>.

وتحتفظ رجال الدين الزرادشتيون في الفترة الفرثية بمحكمة جيدة، بالرغم من وجود ديانات مختلفة في المملكة الفرثية، حيث تمنع أتباعها بحرية المعتقد، وملائسة طقوسهم دون حرف، غير أن ذلك لا يعني أن بعض الملوك الفرثيين كان على الدين الزرادشتية، وشجعوا بناء المعابد لعبادة النار، والحفاظ عليها متقدة.

وتحتفظ الزرادشتية خلال القرنين الأولين بعد الميلاد، بمعناية خاصة من الحكم الملكي الفرثي. ومن ناحية أخرى، أوجد الفرسون مرحلة انتقالية تحيط من التعدد، والتعابير المتساوي والمتنازع بين الثقافات الإيزارية واليونانية وكان هذا الدور الأساسي للإيزاريين في المشهد السياسي لغرب آسيا.

وتبين هذه التطورات التي طرأت على الزرادشتية، تقدمها على كل المعتقدات الأخرى الموجودة في المملكة الفرثية، وسعيها لإنفراط، كما تدل على انتشار المسيحية

<sup>٤</sup> - إيماعيل، البارثيون، مجلد ٤، ص ٥٧١-٥٧٢.

التي أخذت تُقْنَى رجال الدين الرِّوادُشِيُّ، الذين يدُرُّونَ يفكُّرونَ بتحديد انتشار المسيحية في بلادهم.

#### - البوذية:

نشأت هذه الديانة في الهند في الفترتين السادس والخامس قبل الميلاد على يد بودا الذي يعتقد أنه عاش بين 563-483ق.م)، وانطلقت من هناك إلى المناطق المجاورة. وتتلخص مبادئها بالتسلخ، والروحانية فلم يتعرض البوذية للألوهية لا بالتفى ولا بالتأكيد، وكانت فكرتها خلقيّة صرفة لا تهم بالشعائر أو الطقوس الدينية، وعليه لم يدع بودا الألوهية، ولم يوجد آية آلهة في عقيدته<sup>(١)</sup>.

ولم يتعرض الفريزيون للبوذيين، ولم يكن طوابع دور ذو شأن في الحياة الاجتماعية الفريزية مقارنة بمعتقدى اليهودية أو المسيحية، وقد استفادوا من التسامح الديني الذي اتباه الملوك الفريزيون في حكم أتباعهم، فمارسوا معندهم بعيداً عن قيادة الدولة، ونظراً لقلة عددهم لم يكن وجودهم يزعج أتباع آية ثلاثة أخرى، لذلك اتسم وجودهم بالهدوء العام والابتعاد عن التدخل في شؤون البلاد.

ربما كان للمبادئ التي نادت بها البوذية دور في عدم ظهور هؤلاء على مسرح الحياة السياسية أو الاجتماعية، فهو ذات نفسه لم يدع للألوهية، ولم ينال لنشر عقيدته، بل كل ما سعى له هو إنسان أتباعه يباديه الداعية إلى السمو بالروح الإنسانية بعيداً عن المال والثروة والاجاه، فلا فرق بين شخص واحد على أساس الثروة، أو النسب، بل يكمن الفرق بالmorality والقدرة على العمل.

#### - المسيحية:

<sup>1</sup> - حميد، المرجع السابق، ص 193-198.

إن الفترة الفرثية جزءٌ مهمٌ من التاريخ الإبراني، اهتمت بميزاتٍ خاصةً قبلًا ما نجدها في الفترات الأخرى؛ إذ تمعن الطوائف الدينية بحرية ممارسة الشعائر الدينية، فانتشرت العقائد كالبرادشية، واليهودية، واليسوعية، وغيرها، وتعتَّبُ أتباعها بممارسة حرمة لعتقداتهم.

و ترافق انتشار المسيحية ضمن الأراضي الفرثية مع انتشار التبشير للمسيحيين في المناطق الأخرى للعالم<sup>(1)</sup>. و حتى لحظة اكتسابها موقعها الخاص كدين خالٍ، كانت صورة المسيحية مهمة في المملكة الفرثية وكذلك في العالم الروماني.

و لم يعامل الدين الجديد من قبل الإمبراطورية الرومانية والملكة الفرثية، كدين مستقل، ولم تتمتّع المسيحية في مرحلتها الأولى بصلاحية تأسيس قوّة دينية كطائفة جديدة ضمن مجتمع حديث، وكان الوضع الاجتماعي للمسيحيين في الإمبراطورية الرومانية سلبيًا ، بينما كان وضعهم مختلفًا في المملكة الفرثية.

وتتلخص المعلومات عن انتشار المسيحية بين السكان الإفرانيين في الفرون الأولى. وكان على المسيحية أن تراعي أماكن انتشارها، يدفعها لذلك الموقف الروماني الرافض لانتشارها بين الرومان، والطبيعة الخفافية والسياسية للملكة الفرثية، حيث تمعن بعض المناطق باستقلال شبه كامل، تأهيل عن عدم تدخل الملوك الفرثيين في الشؤون الدينية.

و حملت مدينة أدبسا أولى الإشارات حول وجود المسيحية في هذه المنطقة . وكانت مناطق أدابس و خسرون ومناطق الفرات مراكز انتشار المسيحي في الحضبة

<sup>1</sup> Brown, P, The World of Late Antiquity, London, 1971 -rep 1989, pp 163-165.

الإيرانية<sup>(1)</sup>، حيث كانت هذه المناطق سبب التزاع بين الرومان والفرس، نظراً لأهمية المتعلقة الكبيرة للتجارة والفعاليات الاقتصادية في ذلك الوقت، وشكلت الأهمية الإستراتيجية لوقع أديسا وأريسل السيطرة على نقل البضائع من الشرق إلى الغرب وبالعكس.

وأدرك المسيحيون ضرورة تكثير جهودهم للتثمير بذاتهم في المراكز الحضرية المهمة، وخاصة عندما لمسوا تأثير قوة الدين في المناطق الحدودية<sup>(2)</sup> وعملوا على كسب الانتصار بطريقة سرية تامة.

لا توضح مصادر الفتوح الأولى بعد الميلاد هذه المسألة لكن نصوص سير القديسين للعصر الساماني تقدم صورة حيادة من الممارسات التي تتعلق بمحاب الأعضاء الجدد، فقد تضمنت عفيدة الدين المسيحي كل شكل إنساني، وكانت سمة الشائع للدين الجديد فيما يتعلق بالأديان السابقة تعطي دفعاً لزيادة شعبيتها وجاذبيتها للأعضاء الجدد.

وارداد المسيحيون في المملكة الفرثية تدريجياً، وكان عليهم أن يتحملوا الموقف الاسي لالأديان الأخرى، وخصوصاً رجال الدين الزرادشتي، وعلى رغم أن التأثير السياسي للكهنة لم يكن خطيراً، فقد كان بزيادة بشكل تدريجي، أضعف لذلك شعور المسيحيين الأوائل باحتضانها إلا بتطورية الرومانية، وعلى رغم صعوبة انتشار المسيحية في المملكة الفرثية، غير أن الحالة كانت أصعب في الإمبراطورية الرومانية، لذلك ساهم

Labour, Le Christianisme dans l'Empire Perse sous la dynastie sassanide, - 1

Paris, 1904, p 18.

Bosworth, The Coming of Islam to Afghanistan, Islam in Asia 1, South -<sup>2</sup>

Asia, ed. Y. Friedman, Jerusalem 1984, pp 7-8.

الحكم الغربي بسياسة المدينة المسماة فليلاً في إزدهار وتطور الطوائف المسيحية على أرضه<sup>(٤)</sup>. وعلى أية حال فإن المعلومات حول التشاري المسيحي في هذه الفترة المبكرة نادرة، وكسان اعتناق الملك أكيار الثامن Abgat ملك أدبيا للدين المسيحي العامل الأساسي الذي جعل أدبيا المركز المسيحي الأكثر أهمية في منطقة السجوم الغربية الرومانية.

وتشير الدلائل إلى أن طوائف بلاد الشهرين أسمت بشكل منظم منذ السنوات الأولى للفرسن الثاني الملادي<sup>(2)</sup>، لكن هذا لا يعني أن المسميين كلُّهم كثيرون في ذلك الوقت، لكن الموقف الإيجابي للتسامع للسمكة الفرعية سمح بازدياد عدد المسميين؛ فأسسوا الأسقفية التي أعطت صفة رسمية لوجودهم وأصبحت الوسيلة النظامية للاتصال بالسلطات الفرعية الرسمية.

انتشرت اليهودية أبداً في المملكة الفربية، وخاصة في الجزء الغربي منها، حيث سكوا في مدن مثل التلوجوم كشمال بابل والجزيرة وفي سوريا وساقية دجلة، بالإضافة إلى جمادات أخرى سكنت

Kidd, B. J., A History of the Church to 461 A.D., at the Clarendon Press, -<sup>1</sup>  
Oxford, 1922, vol I, 477.

Bundy, Davidm The Life of Abercrombie New York and London, Garland Publishing, 1999, PP 243-256.

وتعود بدايات وصولهم إلى هذه المناطق إلى زمن السبي الآشوري لبعض سكان مملكة إسرائيل زمن سر حون الثاني (722-705ق.م)<sup>(١)</sup>، حيث عملوا بالزراعة والتجارة، وغيرها من الحرف المعروفة آنذاك، غير أن اشتغالهم بالزراعة فاق كل أعمالهم، وذلك لأن مراكز استقرارهم تقع في مناطق خصبة كثيرة المياه، لذلك زرعوا الحبوب كالقمح والشعير، واليقوس والخضار والأشجار الثمرة كالنخيل والرمان، كما عملوا على تربية الماشي والطيور الداجنة وصيد الأimals.

ولم يقتصر عمل الجماعات اليهودية على الزراعة فعملوا بالحرف حيث أعملوا الآلات السينية لتمثيلهم في العمل الزراعي، مما ساعد على تنشيط الحركة الاقتصادية، ومن الحرف التي أجادوها حرفة تصنيع الخمر من التمر، وكانتوا يشربونه ويتجرون به، ومن الحرف الأخرى صناعة الفنaf والجرار، والحرف الخشبية كالأبواب والأثاث، والمعدنية كالفنوس والخارات والمناجل، بالإضافة إلى حرفة تشكيل الخلي من الذهب والنحاس والجواهر وذلك على شكل أساور وعقود وخواتم وغيرها.

وشنغلت التجارة مكانة بين الأعمال التي مارسها هؤلاء، فوجدت مصنوعاتهم الخشبية والمعدنية والذهبية مكاناً لها في الأسواق، وكذلك كان لوجودهم في مناطق التخوم دور في ممارسة التجارة، ومنذ القرن الأول الميلادي نظمو أنفسهم ضمن جماعات، واعترف بذلك لهم كجماعة لها شيء من الاستقلال، وكان لديهم مسؤول يدير شؤونهم وينظم أمورهم، فعليه جمع الضرائب التي تبين الوضع القانوني لهم كأتباع لمملكة الفرنية<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> - درادكه (صالح): العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط١، 1992م، ص 54، سر حون الثاني: هو ملك كين ملك آشور، غير على يقانة قصره في دور شارو كين (خور ساياد الحديثة). غير حال المراجع السابقات، ج ١، ص 977.

<sup>(٢)</sup> - كريستنسن، المراجع السابقات، ص 24-25.

## - الفن الفرثي

مع سقوط الأchaemenians وانتصار الإسكندر المقدوني، تعرض الفن الإيراني للاقتکاس في البدء، ثم انتهى إلى فن يمكن أن نسميه الفن اليوناني الإيراني. وبدل هذا الفن على تراجع كبير بالنسبة إلى الفن الأchaemenian. ولكن نلمس هذا الوضع حتى بمحىء ميراداوس الثاني (123-87 ق.م) الذي أقام المذكورة الفرثية حولاً ليها إلى قوة عالمية كبيرة. ولكن نواجه في هذه الفترة الرومنية ثلاثة أساليب فنية في إيران:

1. الفن المقلد عن اليونان، 2. الفن اليوناني – الإيراني، 3. الفن الإيراني. ورغم أن الفن الإيراني تراجع إلى أساليب أكثر بدائية، ولكنه افترن مع بعض الجهود والتحول، وابعثت الحياة من جديد في الفن الإيراني دون الامتناع بالعناصر الأجنبية. وتعد العودة إلى صناعة الوجوه الكاملة والتي وجدت مرة أخرى استخداماً واسعاً وشاملاً في الفن الفرثي، التمودج الواضح لهذه المركبة الفنية التي تند حذورها في الفن الإيراني القديم، ولا يمكن بأي شكل نسبة إلى الفن اليوناني. ويمكن من خلال هذه الرؤية دراسة جميع فروع الفن الفرثي. ففي بناء المدن، تقول بناؤها إلى التصاميم الدائرية الشكل أي التصميم الرسمي لبناء المدن على الطريقة الفرثية. وقد كان للاعتبارات الدفاعية دور أساسى في هذا التصميم.

وتحدد أول مظاهر الفن المعماري الفرثي في نسا أول عاصمة للفرسين (أو «أشك آباد» على مسافة بضعة كيلومترات من مدينة «عشق آباد» الجديدة العاصمة الحالية لمملكة إمبراطورية تركمانستان، حيث حررت تقنياتها الأثرية على يد علماء الآثار الروس. فرغم أن قصر نسا الملكي تأثر من حيث التزيين إلى حد ما بالفن اليوناني (مثل تماثيل أجداد الملوك الفرثيين والتي تحنت من الطين، وأكتسبت هنرية إلهية على الأسلوب اليوناني)، ولكن البناء نفسه يشتمل على تصميم ذي أربعة أروابين حول قنطرة وهو

التصميم الذي بدأ من نسما الفرينة ومايزال يعرف باعتباره التصميم الرسغي «النحليدي لإيران»،  
وانتشر حتى إلى خارج إيران وبلاد ما بين النهرين.

إن انتشار الآثار المعمارية الفرعية التي تبدأ في الشرق من أي حاتم وسرخ كتل ونساء، تشمل في داخل إيران اليوم بقایا مدينة صد دروازه (دلمغان)، كوه حواچه (سيستان)، بردہ تشاہدہ (جوزستان) ومعبد آناهیتا (كىگاور)، وتنتمر حتى قصر آشور (العراق) وبالمروا (سوريا)، من جهة، والقتصار لكتيبات الأثرية على المدن الاشكانية من جهة أخرى، كل ذلك لا يورتني بعلوماتنا إلى الحد المطلوب فيما يتعلق بالعصر الفرثي الذي امتد إلى ما يقرب من 500 سنة. وتشمل أنواع الإنشائية في هذا العصر بشكل رئيس اللبن، الأجر، الحجر غير المنحوت والمنحوت. ومن خصوصيات هذا العصر استخدام ملاط الحص وشيوخ الطبقات الملاطية والأوابين وخاصة الأوابين الثلاثية التي يكون فيها قوس الأبراج المركزي أكبر من الأبراج الجانبية. ومن العناصر الإيرانية الخالصة الأخرى تزيين الواجهة الخارجية وخاصة في الأبنية المسندة من الحجر المنحوت - كما نرى في المختبر - ، مع الأقواف الخجربة المنحوطة التي تظليل الوجه حتى الذقن.

وقد شاع استخدام التزيينات الجلدية لأول مرة في الفنون المرتبطة بالعمارة، في قصور المغاربة في بلاد ما بين النهرين ، وبلغ غاية الدقة في أسلية كوه خواجه في سيمستان. وأما التزيين الآخر الذي كان شائعاً في العمارة الفرعية فهو النقش الحذاري وما يشهد على انتشار هذا الفن في العمارة الفرعية فنون جدران قصر كوه خواجه والطقوس الدينية في معبد الألهة التدمريين في دورا وقصور آشور. نلاحظ اتباع الأساليب الأخيجية في التمايل المتحركة والنقوش الحجرية على الجبال. وتكشف دراسة النقوش الحجرية لمثير أدانس الثاني في بيستون ونقوش سرورك وشيرش، عن تأثير المذهب الفرعي على التمايل والنقوش الحجرية في تدمر وغمود داغ ودورا.

وما يلفت النظر أن الفنين الفرثيين المتمثلين في التقوش الجدارية والتقوش البارزة في القسم الغربي من المملكة الفرثية مثل حران وتلدر، يغدا على حافتها في المراحل التي أخذ فيها الفن الروماني ينتشر في منطقة إقليم المتوسط ولكن الأطرف من ذلك أن الفن اليوناني والروماني فتح في الفرثيين الأول والثاني أبوابه على التقوش الشرقية الفرثية ويمكن رؤية استمراريتها حتى العصر الساساني.

وقد كانت النتيجة أن السلوقيين الذين ورثوا فسماً كبيراً من الإمبراطورية الأخمينية، سعوا كثيراً كي يخلوا الحضارة والثقافة اليونانية في مملكتهم محل الحضارة الإيرانية، إلا أن مقاومة الإيرانيين القومية أفشلتهم مساعيهم حتى خلال الفترة التي كانوا يحكمون فيها أجزاء من إيران. ومن الأدلة الواضحة على هذا التنشل ظهور فن نسا الجديد في شرق إيران وفن كوماجن وغيره داع في (الغرب<sup>(1)</sup>).

#### - الحياة الاقتصادية

#### - الزراعة:

تشكل الأرضي الزراعي الركن الأساسي لتوزع السكان في الحضارة الإيرانية وقد امتدت هذه الأرضي على أجزاء مختلفة منها كالسهول الخصبة بساحل بحر قزوين الذي ينحدر في شريط ضيق بين جبال البرز والبحر، وتنشر هنا أيضاً الغابات، وتعد هذه المنطقة الأكثر أمطاراً في المنطقة، وهناك سهل خوزستان، بالإضافة إلى سهول الرافدين الممتدة بين وادي دجلة والفرات ومحولها، وهي الأكثر صلابة للنشاط الاقتصادي، وسيطر الفرثيون على هذه المنطقة وانتشروا فيها ومارسوا نشاطهم البشري فيها، لما يزيد عن أربعة قرون.

<sup>1</sup> - حمسار (محمد حسن)، إيران، الموسوعة الإسلامية الكبرى، المشرف العام السيد كاظم الموسوي البجنوردي، مركز الموسوعة الإسلامية الكبرى، طهران، 1989، الجزء 10 ، ص 632 - 631.

وكان توافر المياه والتربة الخصبة في بعض أراضي المملكة دوراً في ازدهار الزراعة، ومن الصعب تحديد أشكال الملكية الزراعية في قارس أيام ندرة المصادر وصمت بعضها الآخر عن هذه الناحية، لكن من المرجح أنها كانت على عدة أنواع منها أملاك العائلة المالكة، والبلاء، والأحرار.

وقد وزعت الأراضي وفق ثلاثة محاور هي: أراضي الملك، وأراضي المعابد، وأراضي الأحرار<sup>(1)</sup>.

وكانت الحرية الاقتصادية في الأعمال الزراعية محدودة نسبياً، والأملاك الشخصية مخصوصة وغير قابلة للتوسيع. ويعود سبب الخسار الملكية الفردية، إلى نظام الضرائب الجائر، وإلى تفود كبار الملاكين الذين ازدادت قوتهم بفضل دعم الملك لهم، فضغطوا على صغار الملاكين، الذين اضطروا إلى رفع الحيف عنهم لأن يضعوا أنفسهم تحت حماية الملك الكبار؛ ليحموهم من تعسف جباة الضرائب<sup>(2)</sup>.

وقد عمل الفرس على تنظيم الأراضي الزراعية حيث حسبت بدقة وأعيد توزيعها، فأتمم أفضل الأجزاء الملك، والمعابد، وأقيمت عليها أماكن سكن النخبة العسكرية والموظفين الحكوميين ومسري في المعابد، وأفراد العائلة الملكية، وكان التعليل المقنع لمثل هذا التصرف أن الملك عد نفسه إله الملك الوحيد لكل الأراضي معارضًا بذلك كل الدلائل التي تشير إلى ملكية أرض ما الشخص ما.

Dandamaev, M, and Lakonin, V. G, The Culture and Social Institutions –<sup>t</sup>  
of Ancient Iran, Cambridge, p130.

<sup>2</sup> - التجار (سعيد): تاريخ الفكر الاقتصادي، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص 19.

وكان نفقة التغيرات المناخية أثر كبير في ازدهار الزراعة وتوزع متحالها، وتدجين أنواع مختلفة من الحيوانات، بالإضافة لتلك ساعد الاستقرار السياسي على ثبوتها وتقديمها، كما ساعد على زيادة عدد السكان<sup>(٤)</sup>.

وقام تلك ورجال الدين باستئجار العمال وال فلاحين للعمل في أراضيهم، وكان هذا الاستئجار على نوعين: الأول يتم في فترة الحصاد فقط، والثاني يقوم على العمل طوال العام<sup>(٥)</sup>. أما ذوي الملكية الخاصة فقد اعتمدوا بشكل رئيسي على قدراتهم مع عائلاتهم، واستعنوا بالعبيد في بعض الأحيان، واستئجار العمال اقتصر لديهم على فرات الحصاد.

بالإضافة إلى عمل الأحرار على الأرضи التابعة للوجهاء، وتلك، عمل العبيد أيضاً على هذه الأرض، ولكنهم لم يشكلوا القوة الأساسية للإنتاج الزراعي، بل أسهموا فقط في قسم قليل منه. وكان العمل الزراعي من أفضل الأعمال، وخاصة أن الديانة الزرادشتية حضرت عليه، وجعلته مفضلاً، ويدل على ذلك ما ورد في الديانة الزرادشتية من تعاليم تدل على أهمية الزراعة في حياة الإنسان الفارسي<sup>(٦)</sup>.

---

Adams, R. M., Heartland of Cities, Surveys of Ancient Settlement and Land Use on the Central Floodplain of the Euphrates, Chicago, 1981, pp 205-209.

Driver, G. R., and Miles, J. C., The Babylonian Laws, Oxford, 1968, Vol - 2, Paragraphs L-V, pp 100-112. Hallock, R. T., Persepolis Fortification Tablets, Chicago, 1969, pp88-90.

<sup>3</sup> ... كليادا (س، أ): تعاليم زرادشت وفلسفه الديانة الزرادشتية، ترجمة وتقديم خالد جعفر، لصكت للطباعة والنشر، حلب، سوريا، ط 1، 2004م، ص 87.

### - الري:

اهتم الفرس بالري فقاموا بناء العديد من الأقنية لحر الماء إلى المناطق الزراعية فليلة الماء، وبشهد على ذلك بقايا تلك الأقنية التي حفروها تحت الأرض لحر المياه من المناطق المرتفعة إلى المناطق السهلية المنخفضة، والمدف من ذلك كان زيادة مساحة الأراضي الزراعية ب توفير المياه التي تعد عصب العمل الزراعي.

أما ملكية هذه القنوات فتعود إما للملك أو للمعبد، وأحياناً لبعض الشفدين، وقاموا بناء السدود على الأنهار المتجورة في بلادهم، فكانوا يفتحون السدود في وقت الفيضان، وعند نهاية الفيضان ينفرونها، وربما كان ذلك للحفاظ على منسوب المياه في النهر، الذي ربما استخدم لغابات أخرى غير الزراعة، وكانت أعمال حفر الأقنية وبناء السدود منوطه بجموعات من السكان وتحت إشراف الحكام لتأمين مياه الشرب للمدن أو لتأمين المياه للزراعة<sup>(١)</sup>، وعلى رغم كل هذه الأعمال سادت الفوضى في الحياة الزراعية بين حين وآخر، بسبب الحروب وعدم الاستقرار السياسي.

### - أشكال الزراعة وأنواعها

زرع الفرسون أراضيهم على شكلين: الأول هو الزراعة البدالية، ومثلاً زراعة القمح والشعير، والثاني: هو الزراعة المروبة ومنها زراعة الأرز والخضروات، وسفكت من التباعي والأهار والقنوات، وكانت الزراعة الشكل الاقتصادي السائد في أغنية أراضي المملكة، حتى أهل المدن عملوا في الزراعة مما يدفع القول: إن المدن الإيرانية تحلى طابعاً زراعياً.

Tafazzoli, A, A List of Trades and Crafts in the Sassanian Period, Tehran, - ١

1974, pp 191-96

أما أنواع المزروعات فقد زرع الفريتون القمح والشعير والأرز والفوائس والخضروات، فتضمنت المحاصيل الحبوب كالدحن، والعدس، والحمص، والعلف كالبرسيم، والنباتات الصناعية كالكتان، والقنب، والقطن، والأشجار المثمرة كالعنب، والتين، والبن دق)، بالإضافة إلى الخضار، أما المشمش وأشجار الزيتون ربما قدما نسبياً في فترة متأخرة<sup>(1)</sup>.

وشكلت الخضروات والفوائس مصدراً رئيسياً للغذاء في إيران حيث زرع الفريتون البصل وال الخيار والتفاح والرمان والمشمش. وما يؤكد هذا الاتجاه وجود أماكن لتصنيع الخل والتبيدة، حيث استهلكت هذه الأشياء إلى جانب الشعير في الغذاء اليومي<sup>(2)</sup>.

#### - الضربات:

لقد تشابه النظام الضريبي عند اليونانيين والفرثين، ومن المرجح أن الفرثين تأثروا بنظام اليونانيين الضريبي ووجدوه مناسباً لبلادهم فاعتسلوه.

ومن الضرائب التي وجدت في فارس ضريبة انتقال الملكية الزراعية من شخص إلى آخر، وضريبة على عائدات الأرض، وما تعلمه من محاصيل، وكانت موارد الفريتون من عائدات الأراضي الزراعية كبيرة جداً، وكذلك فرضوا ضريبة الرأس وهي ضريبة شخصية؛ ولا تعرف نسبتها ولا نوعية المحاصيل لها، كما أنها تتخلل عدة تسميات، لكنها بالحقيقة تعطي المعنى نفسه كضريبة النسوس أو الأشخاص أو الرأس<sup>(3)</sup>.

أما عن كيفية جمع الضرائب السابقة، فكان عن طريق الجباة المكلفين بمحليات الولايات وورد في أحد التفوص ذكر جایين كانوا يتلقيان تعليمات ملكية، ولا شك

<sup>1</sup> - رضابي، گستاخنه تاریخ ایران ، جلد ششم، ص 601. سایکس، المرجع السابق، جلد اول، ص 456.

<sup>2</sup> - Rawlinson, op. cit, Volume III, p10.

<sup>3</sup> - دیاکونوف، بیلشیتس، المرجع السابق، ص 106، 111.

أقما موظفان ملكيان، وأضافة إلى هؤلاء الموظفين الملكيين كانت الجباية أيضاً بوساطة متعهدين، وكانتوا يكلفون الجباية بمراقبة الإنتاج، وتحديد حصة الدولة والمحبد، وذلك حفاظاً على حقوق كل من الفلاحين والدولة، وعليه كان معظم الجباة يعانون من طرف رجال الدين، وراغبوا حالة الخاصلين السنوية، فخفت الضرائب في السنوات العجاف، وزادت في السنوات الخيرية، وكانت جباية الضرائب عن طريق الموظفين الملكيين أفضل بكثير من نظام التعهد، فالموظف الملكي كان من جانب رجال الدين، وهذا ما ينخفض فيه الواقع على الفلاح، أما نظام التعهد فيقوم على أن يدفع أحد المتنفذين الضرائب للدولة، ويقوم هو بجبايتها، وهذا بدوره يؤدي لوضع الضريبة التي يريد لها المتنفذ، وبالتالي تتضاعف الضريبة ويكون الفلاح ضحيتها، لأن المتنفذ يحصل الضريبة التي دفعها، والأموال التي يريد جمعها.

ومن بين الضرائب قسمٌ من الإنتاج الذي تنتجه الأرض، وترارحت قيمتها بين العشر والعشر ونصف، وذلك حسب خصوصية الأراضي، وبهذه الطريقة لم يُعْطَ أحدٌ من الضريبة<sup>(3)</sup>. وإذا أضفنا للسنوات العجاف إجحاف مأمورى الضرائب في جبايتها، يلاحظ أن ذلك يشكل ضغطاً إضافياً على الفلاحين خاصة، وزاد الأمر سوءاً عدم مُكِن المزارع من الحصول على حصته من الإنتاج، فبأن يأخذ الملك حصته، كل ذلك أدى لعدم اكتثار الفلاح بالعمل أمام عدم زيادة الدخل، وعندما وصل السياسيون للحكم لسواء المشكلة، وعملوا على وضع حل مناسب لها، كإصلاح نظام الضرائب.

<sup>(3)</sup> - دافش بزوره، المصدر السابق، ص 328. ذكر الفردوسي إن الضريبة كانت قبل عهد قياد الأول تصل إلى الثلث والربع. الفردوسي، المصدر السابق، ج 2، ص 123.

### - تربية الحيوان:

ربى الفريون الأغنام والماعز والأبقار والخنازير والخيول والجمال، والمدواجن والأسمدة أيضاً، ولم تكن تربية الماشي مخصوصة بالوجهاء من المجتمع الفرثي بل يمكن من تربيتها الأحرار أيضاً. وما يجدر ذكره هنا هو أن الثروة الحيوانية كانت قلقة أساساً مهمأ في الحياة الاقتصادية عدداً أهميتها في الشؤون الزراعية والمواصلات. ولكن مع ذلك لم يكن لشحاذها دور رئيسي في نظام الغذاء، ولا تقنطر أهمية الحيوانات الأليفة (الثيران، والخراف، والدجاج، والبط، والإوز، والنعام)، على الغذاء من خلال توفير اللحم، واللحم، حيث استهلك الفريون لحم الخراف أكثر من غيره، بل قدمت مواداً أولية للحرف كمواد لتصنيع المسوجات<sup>(٤)</sup>.

وقد تركت تربية الماشية في المروج وعلى السفوح الجبلية، وأحياناً كانت ترعى في حظائر، وتغذى على العلف، كالحبوب. وقد شغلت تربية الحيوان حيزاً كبيراً من اهتمامهم، حيث ربواها في المنطقة الشمالية الشرقية، نظراً لطبيعة البلاد المساعدة على ذلك، وتوارثوا تربيتها عن الآباء والأجداد، وذلك بفضل الخدمات الكثيرة التي تقدمها لهم، سواء في الحرب والحمل والنقل والصيد والزراعة والدفاع.

### - الحرف

ازدهرت الحرف إلى جانب الزراعة والتجارة، بفضل الاستقرار الذي ساد في البلاد، بالإضافة إلى الرعاء الذي عم كل جوانب الحياة. وزراء قنة المعلومات الخاصة بالحرف في فارس، فليس بالإمكان توضيح النظم التي قامت عليها الحرف، إلا من خلال العموميات التي نقلتها بعض المصادر، وما وجلته العادات التقنية الأثرية التي

<sup>(٤)</sup> - اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص 256. خداديان، المرجع السابق، ج 2، ص 1184.

أجريت في بعض المناطق الخاضعة لهم، والتي ينت فيام العديد من الحرف وازدهارها، كما ينبع توزع هذه الحرف ومدى نظرتها.

ويمكن تقسيم الحرف في فارس إلى قسمين: الأول؛ ما يمكن تسميته بالحرف الثقيلة كحرف التعدين، والثاني؛ الحرف الخفيفة التي تعتمد على المنتجات الزراعية والحيوانية، ويشدرج في بند مهنة الحرف الغذائية والنسيجية وغيرها.

كنتيجة حتمية لسعة البلاد، وتعدد مراكزها، وبالتالي، حاجة سكان هذه المراكز والمناطق الخيمية لها إلى بعض المنتجات الحرفية الخفيفة، واستبعاد استيراد هذه المنتجات، ولو كان مستوراً داخلياً لصعوبة هذه العملية نتيجة تراخي هذه المراكز والأقصاع، فقد كان من الصعب على الدولة أن تمارس سيطرة معينة على الحرف، باستثناء بعض الحرف التي كانت تختص بها منطقه بعينها دون غيرها مثل حرفة الأواني الزجاجية، حيث أوجد القطاع الملكي ورشات كبيرة للإنتاج، في فارس وبابل.

كل ذلك يدفع للاعتقاد أن الدولة لم تشجع بعض الحرف وتغني بعضها من منافسة الفضائع المستوردة فقط، بل سمحت لعظم الحرف الخفيفة أن تكون حرة في معظم مراكز المملكة، ولكن تحت رقابتها ضماناً لحقها في تحصيل الضرائب الواجب أداؤها على أرباب الورشات والحرف.

#### - أهم الحرف:

تنوعت الحرف في فارس، اعتمد بعضها على المنتجات الزراعية كالحرف الغذائية والنسيج، في حين اعتمد بعضها الآخر على المعادن كالأسلحة والأواني الفولاذية ومواد الزيادة، تاهيلك عن استخدام الفخار على نطاق واسع في إرجاء البلاد.

وقد انتَجتْ بلاد إيران الذهبَ، والفضةَ، والنحاسَ، والجواهرَ النادرةَ، والموادَ الثمينةَ، وتسجَّل صناعَ إيرانَ تسيِّجُ الصناعَ الحربيَّ والأقمشةَ الصوفيةَ والسجادَ وغيرها، إذ كان السجادُ اليابليُّ من أهُمُّ الموادَ التي رغبتُ الصينُ باستيرادها من إيران<sup>(1)</sup>.

وما ساعدَ على ازدهارِ الصناعةِ أنه كان من عادةِ الفرسِ عند استبدالِهم على مدينةِ ماء، أن يحملُوا معهم مهارةَ الصناعَ والحرفيينَ إلى بلادِهم، حيثُ يسكنُ هؤلاءُ في مواقعٍ مخصوصةٍ لهم، مما أسهمَ في تطوير بعضِ الصناعاتِ كصناعةِ المزفِّ والرجاجِ والحريرِ وغيرها<sup>(2)</sup>.

#### — الفخار:

استخدمَ الإنسانُ الفخارَ منذ أقدمِ العصورِ وصنعَ منه أدواتَ المختلفة، وقد غيرَ كل مجتمعٍ نوعَ خاصَّ من هذهِ الحرفة، واختلفَتْ في النوعية، والخبرة، والشكل، ومطريقةِ الصنع.

والفخارُ مادةٌ غير قابلةٍ للتحللِ كالخشبِ والمنسوجاتِ والجلد، ومن هنا يتبادرُ دورهُ في الكشفِ عن التسلسلِ التاريخيِّ للحضارات، بالإضافةِ لذلك يُعدُّ وسيلةً لمعرفةِ علاقَةِ المتشعّباتِ بعضها البعض، عن طريقِ انتشارِهِ ومدىِ تأثيرِهِ بأساليبِ المناطقِ المجاورة.

ومن الثابتِ تاريخياً أنَّ الفرسَ كغيرِهم من الأممِ استخدموه نظراً لتوافرِ الموادِ الأوليةِ الازمةِ له، وإن تداوَلتْ جودته ونوعيته فهذا يعودُ إلى الخبرةِ والمعرفةِ، وكذلكَ يعكسُ درجةَ تحضرِ المجتمعِ.

<sup>1</sup> - كريستنسن، المرجعُ السابق، ص 115-117.

<sup>2</sup> - كريستنسن، المرجعُ السابق، ص 115، مغيرش، المرجعُ السابق، ص 409، هايد (ف)؛ تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمةُ أمجد محمد رضا، مراجعةُ عز الدين فرود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م، ج 1، ص 34-35.

وكان طبيعياً أن يترتب على الاهتمام بحرف النبض، والخل، والأكلان، تنشيط حرف الأراني الفخارية لتعيشهما وحفظها. لذلك فإن جانباً من حرف القديمة التي لم تكتف بإنتاج ما ألقته من أنواع الآنية الفخارية المختلفة نشأت مراكز جديدة لصناعته.

وتتنوعت أشكال وأنواع الفخار المستخدم في تلك الفترة فظهر الفخار الأحمر الذي وجد في التقبيلات التي أحيرت في نسائين، وظهرت أنواع أخرى مزوجة بماء آخر غير الطين الفخاري، كالرمل مثلاً وبعض القش، وربما كان ذلك لزيادة ملائتها، وبالإضافة إلى ذلك فقد بُرِزَت على شكل الآنية الفخارية بعض المحواف الخاصة، وذلك لكي تساعده على سكب ما تحتويه من مواد غذائية.

#### — ملك النقود

سُكّ النقود في فارس من المعادن على اختلاف أنواعها فوجدت النقود النحاسية والفضية والذهبية، وكانت سلسلة إنتاج العملات المعدنية، وللميداليات المصوّعة من الذهب والفضة، التي وجدت في الحفريات الأثرية لمدينة الري وتعود للفترة الفرعونية. و نقش عليها صورة الملوك، والأمساك وأحياناً وجدت عليها صور للألة البيوتانية، التي ربما يعود مسيبها إلى أن الفراعنة على سُكّ النقود كانوا من اليونان.

وسيت وحدة النقود الفرعونية الدراخا وهي كلمة يونانية الأصل، وكان وزن الدراخا لدبيهم يعادل أكثر من أربعة غرامات، وكان على هذتين أربعة غرامات والغرام الواحد<sup>(١)</sup>.

وبعد أن سُكّ ميراداتيس الأول النقد ورسم عليه صورته، أمر بسك نقود جديدة كتب على أحد وجهيها باليونانية الكلمة محب الهيلينيين، وعلى الوجه الآخر

<sup>(١)</sup> — اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص 151. بيروت، ابن بستان، جلد سوم، ص 2675. بيروت، تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد السادس، ص 217.

نقش أحد الآلهة اليونانية، وبعد عهده ميراداتيس الأول وجدت رسومات وكتابات مختلفة على النقود الفرعية، كملك الفريدين العظيم، أو الكبير، ولذلك العادل وغير ذلك من ألقابه.

ومن العبارات التي نقشت على النقود العائدة لعهد أرمانوس الأول العبارة التالية "أرشاك الملك الكبير، محب الهيلينيين"<sup>1</sup>، وفي عهد ميراداتيس الثاني تجد لقب "الملك العادل، والكبير والمشهور، وصاحب الخبر" (ا).

كما ظهر الناج على النقود كالنقد العائد لميراداتيس الثاني، ووجد الكثير من النقود في المغريات الأخرى لبلاد ما بين النهرين والري، وهي ذات نقوش مختلفة.

وقد وجدت دور لسلك النقد في مختلف المدن الفرعية كأقيانان، وطيسفون وغيرهما. وبدل انتشار مراكز النقد على استقلالية الولايات الاقتصادية كما يدل على اعتماد النقد كأساس التعامل الاقتصادي. وتعد النقد من أفضل الوسائل لمعرفة تسلسل المؤوك، ومعرفة ألقابهم، وذلك لأنها صنعت من مواد مقاومة للتلف.

<sup>1</sup> - الله (حبيب الله آيت)؛ تاريخ هنر، مركز مطالعات فرهنگی - بين الملل، سازمان فرهنگ و ارتباطات اسلامی، انتشارات بين الملل المدى، قم، چساب اول، 1380، ص120، 1380، بخش، المرجع السابق، ص261.



مراكز سك القواد في المملكة الفرثية

<http://www.gutenberg.org/files/16166/>

## س الأسلحة:

ما لا شك فيه أن حرف إنتاج الأسلحة وخاصة الثقيلة منها، وما تطليه من حرف تعديته تستلزم بذل الكثير من المال والجهد من أجل تحقيق تقدم ملحوظ في تطورها، يجعل من المستبعد قيام حرف حرة لصناعة الأسلحة الثقيلة، لكن يمكن ترجيح فكرة قيام الدولة أو الملك بإنشاء ورشات لإنتاج هذا النوع من المنتجات.

استخدم الإبراهيون خلال عصورهم التاريخية المختلفة، أنواعاً مختلفة من الأسلحة والدروع في المعارك والغزوات، أو في الحالات العادمة. وقد أثبتت التقييمات الأثرية في المناطق الشمالية، وكذلك التقييمات في المنطقة الجنوبية الغربية وجود عدد كبير وتشكيله واسعة من الأسلحة البرونزية كالخناجر والسيوف، وبعض قطع الدروع.

وتشير الدلائل إلى استخدام هذه الأسلحة منذ العصر الأكديين إذ عثر على سيف وخداجر تعود لتصفيف الألف الأول قبل الميلاد، وهناك حجر مقوس، وخداجر ذو حدين وسكسين ذو حد واحد، وأيضاً الرماح وغيرها من الأسلحة التي استخدمت آنذاك، وما يمدد الإشارة إليه أن هذه الأسلحة كانت مزينة بالرسوم، وبعضاً موشى بالذهب أو الفضة، وحمل بعضها زينة كالكرة، وأيضاً عثر على ما يسمى الصواريخ، على هيئة العصا أو الكرة، كما برزت صواريخات إنسانية أو حيوانية الرأس. بالإضافة إلى ذلك عثر على الكثير من الفرسان والدروع المختلفة التي استخدمت لحماية الإنسان وصنيعت من الفولاذ.

وقد قسمت الدروع إلى عدة أقسام منها لليد، والذراع، والخوذة، والساقي، وحامي الركبة، وحامي الساق، وغيرها من أجزاء الدروع التي وجدت في تلك الفترة، ناهيك عن الأفراش وخاصة المركبة التي شكلت هي الأخرى عدة أجزاء كالخشب والوتر. ولم تقتصر الدروع على الفرسان بل امتدت لتطال الخيول أيضاً حيث صنعت دروع خاصة لهم لتقديم السهام والرماح.

وزيت هذه الأسلحة بالشعارات والرسوم، فهناك شعار للأسد وللشمس وللثور، ومن المرجح أن كل شعار من هذه الشعارات قد حمل معنى معيناً، ولم تصبح كل تلك الأسلحة من الحديد بل وجدت أسلحة من المعادن الخفينة، كالمخادر الفضية والذهبية<sup>(١)</sup>.

#### - الأواني المزinkle.

شكفت الأواني المعدنية نسبة من الأواني التي استخدمتها الفرس في حيائهم اليومية، كالقدر والأطباق، والسكاكين، ومقابض الأواني والأقداح، وكانت هذه الأواني بمعظمها تصنع من البرونز والنحاس والخدييد. كما ساد استخدام الأواني الفخارية التي كانت على درجات متفاوتة، منها المصنوع بمهارة عالية والذرين يرسمون جبلة، ومنها البسيط، كما تفرعت أنواعها فكانت على شكل قدر وطبق، وجرار.

وبالإضافة إلى ذلك وجدت الأواني التي تصنع من الذهب والفضة، وكانت للطينة الغنية مسن المجنح، وعلى رغم عدم العثور على بعض المتحاجات منها لكن هذا ليس دليلاً على عدم وجودها<sup>(٢)</sup>.

#### - أدوات الزيينة:

شغلت أدوات الزيينة حيزاً جيداً في فارس، وإن كانت عملية التزيين مقتصرة في معظم الحضارات على النساء، فقد امتدت لتشمل الرجال والنساء معاً، فوجدت الزيينة للنساء وخاصة تلك التي تعنى بحمل العنق والأذنين والرأس فطوقت النساء أعنافهن بالعقود الجميلة وزينت آذافهن بالأقراط.

<sup>١</sup> .. اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص 204 - 205.

<sup>2</sup> - التعبير، المرجع السابق، ص 172.

ولم تقتصر الزينة على البشر بل امتدت لتطال البيوت التي زيدت بتحف فنية تستحق كل التقدير، فقد عثر على بعض الكووس بأحجام مختلفة، وتحتفظ بفنية فائقة الدقة في الصياغة؛ الأمر الذي يدل على فنية كبيرة وذوق رفيع.

#### - حرفه الرجاج :

الرجاج من الحرف المشتركة في المراكز الحضارية، وقد أكدت المخريفات وجود القطع الزجاجية، في المراكز التي أحرست فيها التقنيات، وقد شكل الرجاج مادة جيدة وجميلة للحلبي، فأوجدوا منها الأساور والأقراط، والخواتم، والحرز وغيرها من مواد الزينة التي كانت تصنع خصيصاً للنساء.

وكان لبابل شهرة خاصة في حرفه الرجاج منذ أمد بعيد وانتشرت أكثر، وظهرت مراكز جديدة لهذه الحرفة، إلى جانب مراكزها القديمة، فصنعت أنواع جديدة من الآنية الزجاجية، ونستدل على ذلك بما وجد من بقايا أثرية في طيسفون، وذلك خلال التنقيبات التي كشفت أدوات المطبخ التي استخدمت آنذاك.

وكان أحد هذه الأنواع يمتاز بأن كرومه وأطباقيه موشاة بالفضة، وتعلم الشيء القليل عن تفاصيل النسخ على الرجاج، هذا الفن الذي يعدّ استمراراً لتقليد الفنانين الإيرانيين المشهورين في العالم القديم، وكان لهم أثر في تطور فن النسخ.

ومن المهم أن مركز عمل هؤلاء الفنانين كان سوريا وأرمطية أو باكتريا، حيث وجدت منتجات معينة من فن النسخ على الرجاج، فقد وجدت بعض الكووس الفضية والنحاسية في سيبيريا، مستوردة من إيران<sup>(1)</sup>.

Rostovtzeff, Social and Economic History of Hellenistic World, p 539- ..<sup>1</sup>

540.

وقد زخرفت معظم المصنوعات الزجاجية بزخارف تتم على ذوق رفيع، ومعرفة دقيقة بهذه الحرفة.  
وهكذا حفظت هذه الحرفة خطوط كبيرة من التقدم، وزودت العالم بالسلع الممتازة و بشكل  
عام يمكن القول ، إن المؤسسات الخزفية قد وصلت إلى درجة من الاتساع والتطور لم نعهد لها مثيل .

#### - التجارة:

شكلت التجارة مصدراً، مهماً من مصادر الدخل في إيران القديمة، وكان لها علاقات تجارية مع  
بلاد الهند والصين في الشرق، ومع الرومان في الغرب. وأدى الموقع المتوسط للهضبة الإيرانية بين  
الرومان في الغرب، والصين والهند في الشرق، إلى تبوئها دوراً رئيسياً في التجارة وتبادل المنتجات،  
وهذا ما جعل منها مركزاً تجارياً مهماً، دفع بالدول المجاورة إلى كسب ودها، والحفاظ على علاقات  
حسنة معها. وكان للعداء المتواتر بين الإيرانيين والغربيين بالتوسيع غرباً واليونان والرومان والغربيين  
بالتوسيع شرقاً، دور في دفع الجانبين للعمل إما لاستغلال الطرف الآخر، أو للحد من الأرباح التي  
يجهزها، لذلك حاول الرومان الوصول إلى الشرق دون وساطة الفرس.

#### - مواد التجارة:

كان الحرير من البضائع التجارية الصينية الأكثر أهمية، إضافة إلى ذلك، كما كانت بضائع  
الهند على أهمية كبيرة، فجاج منها العطر والمقلقل والمعدن والصياغ والمستحضرات الطبية.  
وكانت خيوط الحرير تمثل مورداً مهماً من موارد الثروة، حيث تُحيط أصناف متعددة  
ومتنوعة من الحرير الطبيعي الجميل تلدن. وبقيت شعوب الشرق الأقصى

تحتكر صناعة الحرير وتصدره لتجني الأرباح الطائلة من بمحارته، حتى نعرف الشعوب الأخرى إلى طرق للوصول إليه في مرحلة متاخرة من التاريخ<sup>(1)</sup>.

وتميز الحرير بلونه الأبيض الصارب إلى الصفرة، وخصائصه المتميزة العديدة من نعومة ومتانة وشفافية جذابة وجميلة، ولكل ذلك حرص الأغبياء على شراءه للظهور به عظيمه السرف والغنى والجمال.

استخدم الحرير في صناعة الملابس الحريرية التي كانت مطلوبة في روما، منذ القرن الأول للميلادي ليس فقط للنساء بل للرجال أيضاً، حيث ارتدوها للظهور بمعظمه العظمة والجلال وإنسارة شعور التقدير والإعجاب في نفوس الآخرين وقد استخدم منذ الصيف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، في الصين، وكانت ندرة الحرير وارتفاع ثمنه يجعل دون حياكة الملابس من الحرير الصافي، فلنجعل الآشكون إلى مزاجه بخط آخرى أكثر توافقاً وأرخص مما كان يحيط الكتابة على سبيل المثال، وكثيراً ما كانوا يضطرون إلى إعادة استخدام الخيوط الحريرية أكثر من مرة. وكانت التجارة مع الصين من أهم العوامل التي ساعدت على تطور حرفة المسيح<sup>(2)</sup>.

لم تقتصر التجارة على الحرير فقط، بل كانت هناك مواد بخارية أخرى إلى جانبها في التبادل التجاري كالأحجار الكريمة ومنها البشب، أو الجلات، الذي كان يوجد

<sup>1</sup> - دياكوفوف، المراجع السابق، ص 96 - 97. غيل (أرنست)، ثدر وطريق الحرير، ترجمة إيمان سنهان، مجلة المجلدات الأثرية العربية السورية، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية حول ثدر وطريق الحرير، المديرية العامة للأثار والمتاحف، دمشق، سوريا، 1996م، العدد 42، ص 94.

<sup>2</sup> - عبطة (محمد وحيد)، علاقات ثدر الخارجية بخارياً ودينياً، مجلة المجلدات الأثرية العربية السورية، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية حول ثدر وطريق الحرير، المديرية العامة للأثار والمتاحف، دمشق، سوريا، 1996م، العدد 42، ص 164 - 165.

بكثرة في الحافة الغربية لضفاف حوض نهر تاريم، وكذلك الأصداف والودع، التي كان مصدرها على الأرجح من الاتصال بملاحي المحيط الهندي، غير جزر ملديف.

واستورد الحرير من الصين، وكان اليشب من خوطان، والسجاد من كشمير وفارس، والعاج والناس من الهند، كما استوردوا من الشرق القرفة والقلفل وجلود التمور والعنبر والبخور والأحجار الكريمة والرقيق، وصدروا إليه الأبنوس والزجاج والفحار والظفر والذهب والأقمشة.

إن مقارنة الصادرات والواردات تبين بشكل واضح أنها انحصرت على البضائع غالبة الشمن، وخفيفة الحمل، وكذلك البضائع النادرة في المناطق المتقدمة إليها، فحملوا للشرق ما يحتاجه، وتقلروا للغرب التوابيل والحرير وزينة الشرق.

وكان الطلب على البخور واللبان والطيرب مبدأً لازدهار تجارة بين الغرب والشرق، ونظرًا لحاجة الكنيسة المترامية إلى في الطقوس الدينية، وكانت أحواله تجمع في جنوب شبه الجزيرة العربية، عند موقع قمع Thomna ، لتجه شمالي نحو الشراء حيث تفرع إلى فرعين الأول يتجه شرقاً إلى تدمر، والثاني غرباً إلى غزة على مargins المتوسط، أما اللبان فقد استخدم في الطب بشكل كبير.

وفي هذا دلالة واضحة على المكانة الكبيرة التي استحوذت عليها المعتمدات الدينية، ودلالة غير مباشرة على تطور الطب في تلك المرحلة، وتتنوع مواد العلاج.

وكان من الطبيعي أن تحيط تجارة المنسوجات بأهمية بالغة وذلك بسبب سهولة نقلها من جهة، وخفتها وزنها وال الحاجة الملحة لها من جهة أخرى، فمن غير المستغرب أن تحمل هذه التجارة مركزاً رياضياً غير مسافات شاسعة امتدت من الصين إلى فارس، حيث قام الفرس بنقل المنسوجات إلى مراكز التجارة في الغرب مثل دوراً أوروبيوس وتدمر. كما شكلت المنسوجات المدخلة بالسلب والفضة، والأقمشة والألبسة الحريرية، وريش الطير والصبراعات والجلود، جزءاً رئيسياً من صادرات إيران، بالإضافة إلى الياقوت الإيراني.

ومرjan البحر الأخر، ويدأ يظهر تمايز بين التجاري أنفسهم، فهناك التجار الذي يصدر والتجار السلي  
يعمل في السوق الداخلية، مما ساعد على زيادة عدد المسافرة.

وكان التبادل التجاري مرتبطة بالفقر في الداخليه للغرس، والإمبراطورية الرومانية، وكذلك  
دولة الصين، وكانت الحروب أكثر العوامل تأثيراً عليها، فقد أدت لاضماع وتيرة التبادل التجاري،  
وذلك لأن الجيوش تستلك الطريق التجارية نفسها، لذلك ضعفت عمليات التبادل التجاري في فرات  
الاضطرابات، والثورات الداخلية التي شهدتها الدول القائمة على طريق التجارة<sup>(1)</sup>.

وقد دفع تطور التجارة الملوكي إلى زيادة بناء الطرق وتوسيع فيها، كما توسعوا في بناء  
الخانات، والمستودعات، وخزانات المياه. كل ذلك فرض وجود أشخاص للقيام بذلك هذه الأعمال،  
كما فرض رقابة شديدة على الخطاب التجارية الحدودية والموانئ البحريه، كما أسهم في إيجاد مراكز  
تجارية في المناطق البعيدة، فقدت سواحل البحر الأسود مراكز لاستقرار التجار وتبادل البضائع.

#### - العلاقات التجارية للفربين:

#### - مع الصين:

نظراً لأهمية بحارة الحرير سعى الصينيون إلى العمل وتوسيع نحو المناطق الشمالية التي يكثر فيها  
شجر التوت ودوحة الفرج، وذلك للحصول على الخيوط ونسجها

<sup>1</sup> - رضائي، گستاخیه تاريخ بلزان، جلد ششم، ص(109)، فرزات، المرجع السابق، العدد 39-40، ص102-103.  
شعث (مشوق)، طرق البحور والحرير، مجلة المويات الأكاديمية للغربية السورية، عدد خاص بمقاييس المدن  
الدولية حول تدمير وطريق الحرير، المديرية العامة للأثار والتاريخ، دمشق، سوريا، 1996، ص152.  
عبد الوهاب (لغفي نجوى)، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة، 1990م، ص111.

وتصديرها، بالإضافة إلى ذلك، رغبتهم بالدفع عن هذه الأماكن وإقامة التحصينات حولها لمنع انتشارها إلى الآخرين.

وبعد أن سيطر الصينيون على شمال البلاد بدؤوا بالتوسيع خارج حدودهم، فتوسعوا نحو الغرب وأخضعوا مملكة كوتشا (كوشان)، وسيطروا على ثغرات هضبة يامير التي اعترف أمراؤها بالسيطرة الصينية على بلادهم، وبذلك أصبح الصينيون على تواصل مباشر مع الفتنين، وأصبحوا أكثر قرباً من الغرب الروماني، حيث أرسلوا بعثة دبلوماسية إلى الرومان لإقامة علاقات تجارية معها في الوقت نفسه كانت روما تتلمس طريقاً للوصول للشرق.

وكانت العلاقات الرومانية مع الصين حسنة لدرجة أن إمبراطور الرومان نهى إرسال بعثة إلى الصين، ولكن ما الذي منعه من إرسالهم؟ إذا كان إمبراطور الرومان لا يستطيع أن يحقق أمبته، فهذا يدل على وجود أسباب جوهرية مثل هذا المنهى؟ نعم لقد كان الفتنيون يشكلون عقبة أساسية في تطور العلاقات التجارية الصينية الرومانية، إذ سعوا دوماً للسيطرة على طرق التحصار والاستثمار بتجارة الحرير إن جاز التعبير<sup>(١)</sup>.

وكان منيراً أن يتطلع الصينيون للاتصال بحضارة البحر الأبيض المتوسط، ولكن على ما يبدو ساورت الفتنيين الشكوك حول تحالف يمكن أن يحصرهم ضمن فكي كمامشة إذا ما تم أي اتصال دبلوماسي بين الصين التي أصبحت على حدودهم الشرقية، والرومان الذين كانوا يواجهونهم على الجهة الغربية، وهذا يدلوا قصارى جهودهم لمنع دخول أي وسيط آخر سواهم على طريق الحرير البرية.

وأقام التجار الفرس علاقات تجارية مهمة مع الصين في لواحر القرن الثاني قبل الميلاد، وتعززت تلك العلاقات بالسفارات التجارية القادمة من فارس والحملة بالهدايا

<sup>1</sup> - أبو عساف (علي)، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، مجلة دراسات تاريخية، عدد عاصي طريق الحرير - طريق الحوار، دمشق، كانون الأول، ١٩٩١م، العدد ٣٩-٤٠، ص ٧٧.

التبغية، إلى البلاط الملكي الصيني، وبالمقارنة مع العلاقات التجارية الفارسية الهندية، التي لم تكن على سوية واحدة كالعلاقات مع الصين، فقد حافظ الفرسون على عبور الطرق التجارية البحرية، عبر الخليج العربي والطرق البرية عبر بلخ، حيث وصل هذان الطريقان إلى مصب نهر السندي.

لقد استغلوا موقع بلادهم المتوسط بين الرومان والصين، فناجروا بالحرير الصيني القادم من الشرق، وبالبلور الروماني، والكتان، والمنسوجات الذهبية، والفضية، والأواني الفخارية المتجهة إلى الشرق، وبذلك جنوا الكثير من الأموال والذهب، حيث لزم على طرق التجارة التي تربط الشرق بالغرب المرور عبر الأرضي الفربغة، وهذا ما مكّنهم من السيطرة والتحكم بالتجارة.

وهكذا كان الفرسون صلة الوصل بين الشرق والغرب، ولم تكن فرقتهم هي السبب؛ بل كان موقع بلادهم المتوسط بين الطرفين دور باز في سيطرتهم على التجارة، كذلك فإن امتداد بلادهم إلى الجنوب نحو الخطيب الهندي جعل إمكانية تجاوزهم أمراً صعب المثال، ولذلك كانوا الوسطاء بفضل موقع بلادهم.

وسعي الفرس دوماً للبقاء على دور الوسيط بين الشرق والغرب، وذلك لضمان استغلال الطرفين، وجعلهم يقتعنون بالأسعار التي يفرضونها عليهم، كما أن التجارة تأثرت كثيراً بالعلاقات الفربغية الرومانية التي غالباً ما انتبهت بطابع الحرب والمعارك، وهنا تأثرت طرق التجارة كثيراً بسبب انعدام الأمن، وحق المنظم منها لم يكن أمناً فالعكس ذلك على جميع الأطراف بما فيها بلاد فارس.

وتحيزت المدن التجارية على هذه الطرق بالمعنى والازدهار، ويشهد على ذلك بقايا تلك الأبيات التي ما زالت شاهداً على عظمة البناء وروعته وفحامته.

## - مع الرومان:

كما كان هناك تبادل تجاري بين فارس ورومان، حيث استوردت فارس المعادن المختلفة من روما، وصدرت لها الأكسجة والترايل، وكانت بابل مصدر إنتاج النسيج الرئيسي، والذي شمل الحرير الذي يُعرف بالألوان المختلفة، والسبحاد الملون، بالإضافة إلى العطور والترايل التي كانت تستخدم بشكل كبير من قبل السيدات الرومانيات، وتشكل رمزاً من رموز الطيبة الرفيعة في المجتمع الروماني.

وكان روما ترسل المصنوعات المعدنية والزجاج، والزجاج الملون، الذي يشمل جميع الأوصي والزجاج المنقوش والقلائد، وكانت العلاقات التجارية مع الرومان تقوم على سياسة حذقة مع الفريجين الذين عملوا للحصول على أكبر كمية ممكنة من الذهب الروماني لمحفهم البصائع القادمة من الشرق غير بلادهم، مع الأخذ بعين الاعتبار أن كمية الواردات من الرومان لا تتواءى مع كمية الصادرات القادمة إليها من فارس<sup>(1)</sup>.

وتحرك الرومان للاتصال بالشرق الأقصى منذ أن وطئت أقدامهم منطقة الشرق في القرن الأول قبل الميلاد، فحاول الرومان أن يرثوا التقاليد التجارية لدول المعلقة، ولا سيما البطالمة السذين كسانوا يتعاملون مع المالك التجارية العربية وعلى رأسها الأنباط واليمن، ومن هنا حاولت روما وضع يدها على التجارة البحرية القادمة من الشرق عبر المحيط الهندي إلى البحر الأحمر وذلك لتسامن وصول الترايل والعطور والأقمشة النقيسة من الهند والشرق الأقصى ، وكان التجار العرب والهند يحتكرون بتجارة هذه البصائع كل في منطقة نفوذه، لكن ذلك أراد الرومان السيطرة عليها وبنالوا الذهب والنفطة في سبيل ذلك، وقد حاول الرومان السيطرة على طرق التجارة، وحرمان الفريجين منها، ولذلك قرروا

في عام 52 قبل الميلاد استعمال القوة ضدهم، فكانت المعركة

<sup>1</sup> - دياكونوف، المرجع السابق، ص 96-97.

الفاصلة بينهما في حربان، حيث النصر الفرثيون على جيش الرومان انتصاراً باهراً، وأعادوا جيشهم وقتلوا قائده كراسوس<sup>(١)</sup>.

#### - طرق التجارة:

##### - طريق التجارة البري (طريق الحرير):

بعد الاستطلاعات والتنقيبات التي أجريت في كثير من المواقع التاريخية والأثرية في آسيا، يمكن الباحثون من تحديد طريق القوافل التجارية القديمة المعروفة بـطريق الحرير، التي كانت تصل بين الصين في الشرق الأقصى، وحوض البحر الأبيض المتوسط، مروراً ببلاد فارس، خلال فرون عديدة امتدت من القرن الثاني قبل الميلاد، وحتى القرن الرابع عشر الميلادي.

وكان دور العالى الأكبر أهمية للتجارة الدولية في العالم القديم يمتد من الشرق إلى الغرب، ويليه في الأهمية دور آخر يسير بعكسه من الغرب إلى الشرق، وقد نقلت التجارة المتداولة في طريق هذين الحدودين على طريق بري، وبخريطة أطلق عليها بعض الباحثين مسمى طريق الحرير نسبة إلى الحرير الصيني الذي كان بعد أنفس سلعة ينقلها التجار على هذه الطرق.

وكان لطرق الحرير المتوجهة من الصين شرقاً مساران رئيسيان: أحدهما شمالي وهي طريق الحرير البري الذي يجتاز هضبة بامير ومراتها وصولاً إلى سيرقند ومنها إلى مرو فنسا القديمة مروراً بشاهرود إلى الري، وتنطلق منها إلى همدان قمدن الحدود الفوئية الرومانية، حيث تفرع إلى فرعين الأول: يتجه إلى تلمر في سوريا، حتى يصل إلى الرومان. وهذه

<sup>(١)</sup> - حربان (نعمان حمود)، محاولات التغلب السيطرة على طريق الحرير، مجلة دراسات تاريخية، عدد خاص طريق الحرير طريق الحوار، دمشق، كانون الأول، ١٩٩١م، العدد ٣٩ - ٤٠، ص ١٣٨ - ١٤٠. رضائي، گنجینه تاریخ ایران ، جلد ششم، ص ٦٠٦. فرزات، المراجع السابعة، العدد ٣٩ - ٤٠، ص ١٠١ - ١٠٢.

هي طريق القرات التي كانت تصل بين بلاد الرافدين، وحوض البحار الأبيض المتوسط، وكانت هذه الطريق تمر بالراzier الكبير في بلاد الرافدين، وبابل القديمة، والثاني يتجه جنوباً إلى سلوبية دجلة.

وينفرع عنده عند مرو وفرغان: الأول يتجه إلى الجنوب حيث يمر بمدينة هرآة ومنها إلى كرمان ثم يصل إلى اصطخر (برسبوليس)، فيعودها ليحطط الرجال في موقع أبلة على الخليج العربي. في حين تتجه الطريق الأخرى من مرو إلى افستان ثم إلى دورا أوروس على القرارات ليكمل نحو تدمر وأنطاكية على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، حيث تواصل بعراً إلى أوروبا، وتقع على هذه الطريق سلسلة كبيرة من المدن والعراسيم العريقة استفادت من وجودها على مسارها، فكانت مراكز تجارية، وحضارية مهمة أسهمت في التواصل الاقتصادي، والتقارب بين الشعوب على مر التاريخ<sup>(4)</sup>.

أما المسار الآخر فيعرف بالمسار الجنوبي، وهي طريق التوابيل التي تبدأ من ميناء كانتون بالصين، وتغدو بحر الصين، ثم تلتف حول سواحل شبه القارة الهندية، لتدخل في البحر الخطيط بالجزيرة العربية، حيث تفرع إلى فرعين: أحدهما يتجه شمالاً في مياه الخليج العربي، لتصل إلى بلاد فارس، وبلاط ماين، الهررين، وفرع آخر يتجه غرباً إلى سواحل اليمن، والحبشة، ثم يسلك البحر الأحمر ليصل إلى سواحل المحاجز، ودول حوض البحر الأبيض المتوسط، ويتوجه غرباً إلى أوروبا، وشمال أفريقيا، وهذه هي الطريقة التي حاولت روما السيطرة عليه لتنافس الفراعنة.

وتتفرع من هذين المسارين الرئيسيين طرق فرعية كثيرة تذهب في جميع الاتجاهات، فتصل إلى الأقصى الواقعة إلى الشرق من الصين، وإلى أقصى شمال أوروبا، وأدغال أفريقيا، وعلى هذه الطرق كانت تتسلق إلى جانب البضائع الثقافات والأفكار والدعاية والرحلة والكتشفون والمتغرون والباحثون عن الحقيقة، ولذلك فإن طرق الحرير

<sup>4</sup> - برانتون، فرانك، الترجمة المسانقة، ص 44.

هي في حقيقتها طرق التجارة الدولية، والخوار الحضاري بين الشعوب، ذلك لأن القوافل لم تغسل البضائع التجارية فقط، بل نقلت أيضاً الثقافات والعادات والتقاليد، وبذلك كانت طريق البحير وطريق التوابيل طرفاً تجارية وحضارية معاً.

#### - طريق التجارة البحري (طريق التوابيل):

لم تقتصر الطرق التجارية على الطريق البحري، بل وجدت طريق بحرية ساهمت في نقل التجارة من الشرق إلى الغرب، خاصة بعد أن عرف الرومان سر الرياح الموسمية في مطلع القرن الأول قبل الميلاد، حيث اخترقت عباب البحر السفن التي زادت حمولتها على 500 طن، بحراً عبر المحيط الهندي لتصل إلى الشواطئ الهندية.

فطريق التجارة البحري، — وهي طريق التوابيل — بعد عبورها بحر الصين، والمحيط الهندي تصل إلى الخليج العربي حيث تفرع إلى فرعين الأول: عبر الخليج العربي، والثاني: إلى خليج عدن، حيث يقوم التجار الرومان بشراء البضائع الصينية والهندية، ويعبرون بها البحر الأحمر إلى ميناء الإسكندرية، في البحر الأبيض المتوسط.

وبعد استيلاء الرومان على مصر وسوريا سيطروا على الطريق البحري للتواصل والبحير، فسيطروا على البحر الأحمر وبحر العرب، وهكذا تمكنوا من الحصول على منتجات الشرق من الجنوب بدل الشمال، وهنا في الجنوب كان التجار العرب يسيطرؤن على التجارة بين الخليج العربي وخليج عدن، وبعد وصولها إلى الخليج العربي تحمل البضائع من موقع جوها إلى تاج ومنها إلى دومة الجندل فالبتراء، أو تصل إلى اليمن حيث بناء عدن ومنها تفرع إلى فرعين الأول بحري عبر البحر الأحمر حيث تصل إلى ميناء أيلة، والثاني بري عبر قامة إلى الشمال.

وعن طريق التوابيل بمحاذاتها فاقت في أهميتها الطريق البحري، فهي بدون شك أقصر وأقل تكاليف وضرائب ورسوماً، وتستغرق الطريق البحري إلى الهند قرابة أربعين يوماً.

و عمل الامبراطور أوكتافيوس على الاستيلاء على شبه الجزيرة العربية وعلى البحار المحيطة بها ولكن فشل في تحقيق ذلك الحلم، وشغل نفسه بالشائعات التي تتردد منذ القدم، بأن العرب قوم واسعو الثراء، وأنهم يستبدلون الفضة والذهب بعطرهم وحجارتهم الكريمة، دون أن ينفقوا على الغرباء ما يحصلون عليه، ولذلك جهز القوصي في نهاية عام 25-24 ق.م، حملة بقيادة حاكمه على مصر اليهودية غالوس، دخلت شبه الجزيرة العربية من شامها الغربي، وسارت برأ حتى سواحل البحر الأآخر الجنوبي، وكان نصيتها في نهاية المطاف الإخفاقي، ولكن هذا الإخفاق دفع القوصي إلى تشجيع الملايين الرومان على ارتياح البحار العربية، والوصول إلى الهند مباشرةً واستبعاد الوساطة العربية في تجارة الهند، والصين، فزاد عدد السفن التي تسافر سنويًا إلى الهند في عهده إلى مائة وعشرين سفينة.

- الفصل الخامس.

- السادسون.

- الحضارة السياسية.

- الحياة الاجتماعية.

- الحياة الدينية.

- الحياة الفنية.

- الحياة الاقتصادية.



## - الساسانيون:

ينسب الساسانيون إلى ساسان جد هذه الأسرة، الذي كان كاهناً لعبد النار في مدينة اصطخر، ثم عهد بوظيفته إلى ابنه بابل الذي توسط بيده لدى الملك الفرثي ليعين ابنه أردشير قائداً عسكرياً في إقليم فارس. استفاد بابل من قوة ابنه العسكرية فهاجم الوالي وقتله وسيطر على الإقليم. ثم حاول بابل أن يحصل على موافقة الملك الفرثي ل Gripian الخامس "أردوان" لتعيين ابنه وإليه على إقليم فارس، لكن الملك رفض ذلك وأتهم بابل بالعصيان والتمرد وسر الجيوش خارقه.

مات بابل في هذه الحقبة وقام أردشير بادعاء الملكية، وهاجم الأقاليم والمناطق المجاورة خاصة أن قوته العسكرية أصبحت تفوق قوة الملك الفرثي الذي سير إليه الجيوش وانتبه معه في معركة في وادي هرم زدجان، انتصر فيها أردشير وقتل الملك الفرثي لـ Gripian الخامس، وبعد هذه المعركة، دخل أردشير طيسخون سنة 224 م ظافراً بمنبره ورثث الفرثيين.

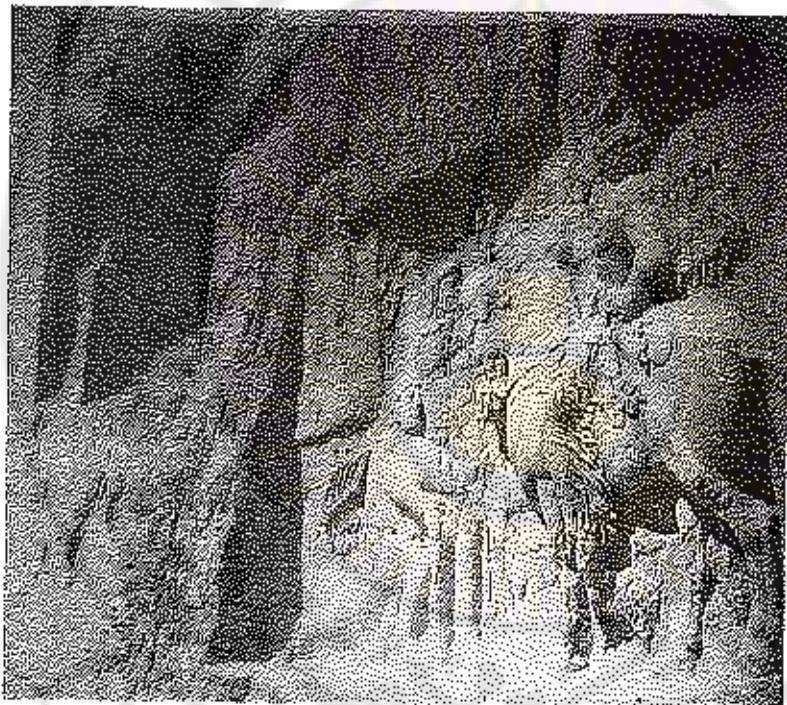
وفي السنين التالية أخضع أردشير Media و همدان و حاضر مدينة الحضر، كما هاجم أذربيجان وأرمينية، ويبدو أن هذه المناطق صمدت أمام زحف أردشير ولم يستطع السيطرة عليها إلا بعد قتال عنيفة. ثم مد سلطانه على الأقاليم الشرقية فأخضع سجستان وإقليم خراسان وغورازم، ووصلت رسائل ملك الكوشيين ومكران وتوران إلى أردشير معترفين بسيادته.

ونصف المصادر العربية والفارسية كالطبرى والتعالى والأصفهانى والفردوسي<sup>(1)</sup>، أردشير بالرجل الحكيم والقوى، حيث استطاع في سنوات قليلة إخضاع كل إيران الفرثية وبابل والمناطق الشرقية، وجعلها تحت سيطرته مباشرة، كما

<sup>1</sup> - التعالى، غير أخبار ملوك الفرس والعرب، من 479-480، الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، طبعة لبنان، ج 1، ص 821. الفردوسى، الشاهزادة، ص 49.

يُنسب لأردشير بناءً عدّ كثير من المدن والمعابد التي حملت اسم الملك العظيم، كمؤسس للدولة ال sassanide.

ثم تولى شاهور الأول الحكم "241-273م" وعمل بحزم على تدعيم أركان المملكة ونجح في تحقيق سلسلة من الانتصارات، توجّت بوصول جيشه إلى إنطاكية وانتصاره الخامس في المعركة التي وقعت قرب "أرها" أديسا عام 260م والتي هزم فيها الرومان، وسفّط فيها الإمبراطور الروماني فاليريانيوس أسيراً مع أكثر من خمسين ألفاً من جنوده، وقد عدل هذا الانتصار برسمه على الصخور.



(٤)

<sup>١</sup>- زيهير، المرجع السابق، ص XVII.

وهكذا بينما كانت الإمبراطورية الرومانية، تعاني من التخبّط والانقسام والأزمات كان العالم الإبراني يتجه نحو إنشاء إمبراطورية قوية.

في القرن الرابع الميلادي، ثم تعزّيز أركان الدولة زمن شابور الثاني "ذو الأكاف" 309 - 379م الذي حكم مدة طویلة، فقد تمكن من السيطرة على بلاد الكوشان وأوقف غزو قبائل الهون الذين تحركوا من آسيا الوسطى، وصد الهجوم الذي قاده الإمبراطور الروماني يوليانوس عام 363م، وقام بحملة ضد العرب فقتل هم، وأسر منهم خلقاً كثيراً، وتذكر المصادر العربية أنه اتبع سياسة قاسية في معاملته للعرب، فلم يقبل منهم قدية، ولم يأخذ غنائم بل كان نه سفك الدماء (التشكيل بهم وخلع أكتافهم)، ولذلك سمي (شابر ذي الأكاف) (١).

وهكذا بلغت الدولة درجة كبيرة من القوّة، ولكن الحدود الشرقيّة بقيت مصدرأً للقلق، ولم تكن الحكومة التركية على قدر كاف لإدارة إمبراطورية متراوحة الأطراfs، ثم ماتحت الاختطارات الداخلية " داخل الأسرة الخاكمـة: خلال القرنين الخامس وبـداية السادس على ترك البلاد تحت رحمة محـمات قبـائل أهـون المـتكـرـرة.

وبعد أن مرت البلاد في مرحلة حرجة من الصراع الفكري — الدينـي بين الزرادـشتـية وغـيرـها من الديـنـات الأخرى المشـقة عـنـها كـالمـارـبةـ، والمـزـدـكـيـةـ التي ظـهـرـت أيامـ الملكـ قـيـازـ ماـ بين 488 - 531مـ وما نـجـمـعـهـ عنـها منـ أـحـدـاثـ سـيـاسـيـةـ وـ اـقـتصـادـيـةـ وـ اـجـتـمـاعـيـةـ، شـهـدـتـ الدـوـلـةـ السـاسـانـيـةـ فـضـةـ جديدةـ علىـ يـدـ كـسـرـيـ أـنـوـشـروـانـ " ذـيـ النـفـسـ الـخـالـدـةـ، ذـيـ الرـوـحـ الـخـالـدـةـ"ـ، الـذـيـ اـمـتدـ حـكـمـهـ حـوـالـيـ نـصـفـ قـرنـ " 531 - 579مـ".

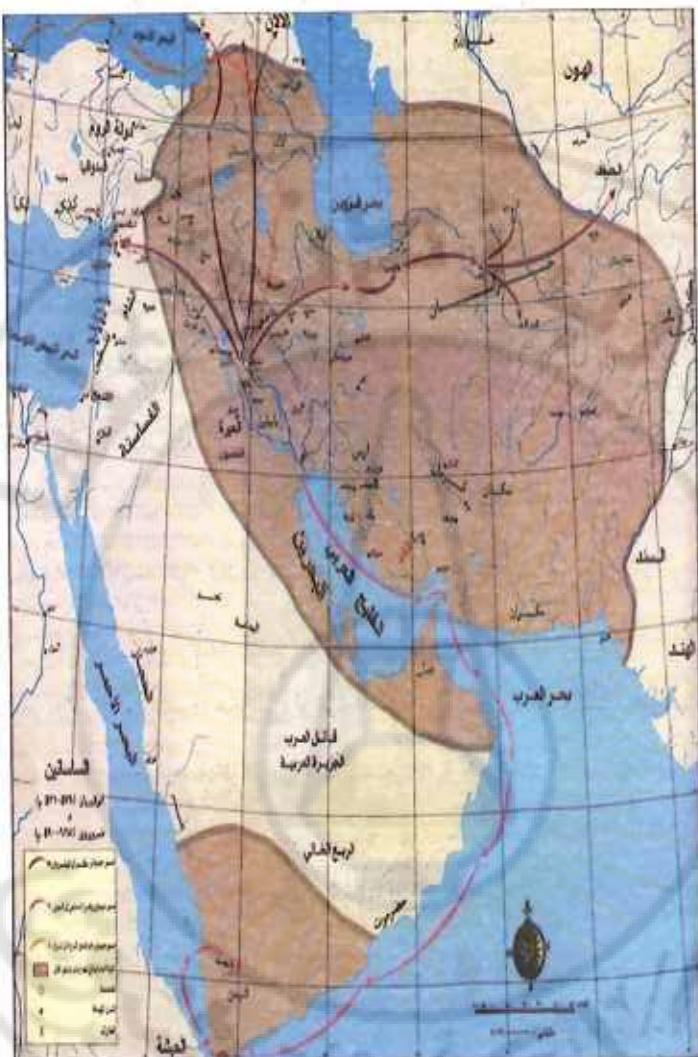
<sup>١</sup> الشعالي، خـرـجـارـ مـلـوكـ الـفـرسـ وـالـعـربـ، صـ518ـ، الطـبـريـ، المـصـدرـ السـابـقـ، جـ1ـ، صـ838ـ-839ـ.

ويعد كسرى أنوشروان من أعظم ملوك الفرس، وتعد فترة أزهى فترات الدولة الساسانية، حيث تكمن من القيام بسلسلة من التدابير والإصلاحات الداخلية التي أدت إلى رأس الصدوع في البنيان الاجتماعية التي تحملت عن الدعوة المزدكية، فرد الأموال المنهوبة إلى أصحابها، وأعاد المساء إلى بيتهن، كما أمر بإعادة إعمار المساكن والقرى والشروع والجسور والأقبية، وخفف من وطأة الضرائب على الأرض، وأعاد تنظيم الجيش بشكل مكثف من القضاء على خطر المهاطلة في الشمال والشرق، كما نجح في حملاته ضد البيزنطيين من انتزاع الكثير من التنازلات منهم بالإضافة إلى عقد معاهدات حصل فيها الفرس على الكثير من الذهب البيزنطي<sup>(1)</sup>.

كما نجح الفرس في عهد كسرى أنوشروان لأول مرة في مد نفوذهم على سواحل الجزيرة العربية، واستطاعوا دخول اليمن وطرد الأحباش منها، وهكذا تحول الجنوب العربي إلى ولاية ساسانية، استمرت حتى ظهور الإسلام.

وتسهب المصادر العربية والفارسية في الحديث عن هذا الملك العادل الذي رعى الآداب والفنون والعلوم والفنون، وأفسح المجال لنقل ثقافات الهند والصين واليونان إلى معارف الفرس.

<sup>1</sup> - للمزيد عن الاتفاقيات التي عقدت بين بيزنطة وفارس ، النظر، العربي (السيد الهنري): الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م، ص 98 وما بعدها. فرج (تعجم): تاريخ بيزنطة، مطبعة جامعة دمشق، 2003/2004م، ص 110 وما بعدها.



جبلان كسرى أو شروان

عبدة والقين، أطلس تاريخ بورن، طبعة أولى، شيراز 1378، ص 49.

وبعد وفاته سنة 579م تعرض كيان الدولة لشريح كبير حيث قام نزاع بين أحد كبار الضباط الذي ادعى بأنه ورث الأسرة الفرعونية السابقة، وأدى هذا النزاع إلى إسقاط ابنه هرمز الرابع "579-590م" ثم طرد حفيده حسرو الثاني "كسرى أبوريز" 591-628م الذي التحا إلى الإمبراطور البيزنطي موريس "602-582م" طالباً منه المساعدة، وقد تحكت القوات البيزنطية التي أرسلت لمساعدة كسرى أبوريز من الاتّهاب على جيش هرام جوين الذي هرب إلى عاصمة الترك، فقتل هناك، وأعيد كسرى أبوريز إلى عرش فارس.

وبعد تسلمه السلطة حاول كسرى استرضاء الجميع، فأعاد القوات البيزنطية محملة بالغنائم والهدايا، أرضاء للإمبراطور البيزنطي موريس صديقه، كما حاول التقرب من رجال الدين الورادشبي الذين لم يكونوا راضين عن زواجه من شيرين النصرانية، التي كان لها تأثير عليه.

وهكذا فإن الأزمة التي عانت منها البلاد كانت مؤقتة، وعندما اغتيل الإمبراطور البيزنطي موريس سنة 602م، اخذ كسرى الثاني من حادث الاغتيال ذريعة لبدء حرب جديدة ضد بيزنطة، بمحنة الانتقام للإمبراطور المقتول موريس، وحيثما سقط حكم فركانس ونصب هرقل إمبراطوراً سنة 610م، كانت القوات الفارسية تتوغل في آسيا الصغرى، وتکاد تدق أبواب العاصمة البيزنطية، ولم تكن لدى بيزنطة قوات عسكرية قادرة على التصدي للهجوم الفارسي، فحاول هرقل في البداية تحذيب التصادم مع الفرس، فلکب إلى كسرى الثاني بمجرد بالتعصاف الذي أثر له بقوافل، ويطلب منه إعادة السلام بين بيزنطة وفارس، لكن ملك الفرس لم يرغب بالسلام، فاستغل ضعف بيزنطة وأمر قواته بقتاله في الأراضي البيزنطية.

تقدعت القوات الفارسية بقيادة شهر براز نحو أنطاكيَا فاحتلتها سنة 611م، ثم انتهت نحو مدیني حمص ودمشق سنة 613م، وفي سنة 614م تابع الفرس زحفهم

باتجاه بيت المقدس في فلسطين فحاصرها شهر برأس لمدة عشرين يوماً، سقطت المدينة بعدها واستباح الفرس المدينة المقدسة واستولوا على الصليب المقدس، وأرسلوه إلى العاصمة الفارسية، وفي سنة 619م جدد الفرس نشاطهم الحربي، فأرسلوا جيشاً على مصر، فانتصر على القوات البيزنطية المرابطة هناك، فسقطت الإسكندرية بيد الفرس، ثم خضعت بقية المدن المصرية الأخرى<sup>(1)</sup>

ووهكذا بدأ من هذه الاتصالات الكبيرة كأفهم يستعيدون أحاجي الإمبراطورية الأخمينية القديمة، كما أطلق كسرى على نفسه لقب "أبيروز" ويعني المظفر، وكان لهذه التطورات دوي في الشرق القدم أشار إليه القرآن الكريم في سورة الروم. لكن هذه الفرة الجديدة كانت مزععة ومهددة بالانهيار بأسرع مما كان منصوراً فقد تغيرت موازين القوى، وتحالف هرقل مع خان الخزر الذي قدم له دعماً عسكرياً كبيراً في قتاله على جهة أرمينية، ثم زحف هرقل بقواته من أرمينية نحو الجنوب، فدخل الأراضي الفارسية ونهاز معركة حاسمة انتهت بهزيمة الفرس في موقع قريب من أطلال مدينة نبوى سنة 628م، وتلاطت الهزائم الفارسية مما أدى إلى تأزم الوضع الداخلي وإزداد استياء الفرس من حكم الملك كسرى الثاني أبيروز بسبب فشله في الحرب مع البيزنطيين، فعيّن معاوية ضاده انتهت بفشه وتتصيب ابنه قياد شيرويه ملكاً على العرش الفارسي، وطالب الانقلابيون الملك الفارسي الجديد بإنهاء الحرب مع البيزنطيين، فكتب قياد شيرويه رسالة إلى هرقل يعرض عليه الصلح، فصالحة بشرط أمهما:

- 1— جلاء القوات الفارسية عن كل الأراضي التي احتلتها في مصر وسوريا وأسيا الصغرى أي العودة إلى الحدود القديمة بين الدولتين.
- 2— إطلاق سراح كل الأسرى من كلا الطرفين.
- 3— إعادة الصليب المقدس الذي أخذته الفرس من بيت المقدس.

<sup>1</sup> ... فرج، تاريخ بيزنطية، ص 147.

وهذا الصليع انتهت المخرب الفارسية البيزنطية التي أهلكت الدولتين، وسحقت مواردهم، وزعزعت كيان الدولتين العظميين معها، وهذا مما ساعد العرب المسلمين على تحقيق نصر حاسم على الفرس والبيزنطيين؛ فبعد عدة سنين استولى العرب المسلمين على إيران بعد انتصارهم على الفرس في معركة القادسية قرب الحيرة سنة 37 هـ، ثم احتلوا المدائن، وانتصروا ثانية في جملاء على حدود فارس، وتوجهوا انتصارهم في معركة نهادن بالقرب من موقع "أق bian، هذان" عام 641 هـ، وقاومت بعض المناطق حتى قتل الملك يزدجرد الثالث آخر ملوك الدولة الساسانية من قبل أحد أتباعه في عام 651 هـ، وهكذا انتهت الدولة الساسانية، وأصبحت إيران جزءاً من الدولة العربية الإسلامية.

- المضاربة السياسية.

- الحياة الاجتماعية:

- طبقات المجتمع:

كان المجتمع السياسي مقسماً إلى عدة طبقات، موزعة على الشكل التسللي طبقة الملوك والإقطاعيين ثم رجال الدين، وفي المرتبة الثالثة رجال الحرب وتدرج بعد ذلك طبقات الكتساب والفلاحين ..... إلخ، وتأخذ هذه الطبقات بالإضافة عدداً وبالنسبة لتفوّده كلما نبعنا عن قمة الهرم إلى القاعدة.

تغير الإيرانيون بأكم عاشوا حياة طبقية تظهر بشكل جلي في اللباس، فتغير لباس الملوك بأحذية قصيرة حمراء وسرويل زرقاء وأغطية لرأسه، وارتدى الرجال العمامات والسرويل أمّا النساء فقد ارتدن قمصاناً واسعة وسرويل قصيرة، وهكذا كان لباس أهل

كُل طبقةٍ خاصَّةً بها لا يلبِسُ أحدٌ ممَّن في غير تلك الطبقةِ فإذا وصلَ رجلٌ للمُشكِّع عُرِفَ  
بِواسطةِ لباسِ الطبقةِ التي هو منها<sup>(1)</sup>  
**1- الطبقة الأولى.**

وتشمل ملك الملوك "الشاهنشاه" وكل من يحمل لقب ملك من الأمراء الساسعين الذين يحكمون في أطراف الدولة وحكام الإمارات التي كانت خاصةً لخديعية إيران وللملك مكانةً ساميةً في النقوس يكتسبها من مكانة الأسرة الساسانية، ومن اعتقاد الناس بحق الملوك الإلهي في الحكم، ويظهر للشعب عادةً في أيام الأعياد وخاصةً في عيد المهرجان فيسمى الشكاري، كما يظهر في المبادرات العامة التي يجتمع فيها الناس في بعض المناسبات الخاصة، أما الزيارات الخاصة فلا تتأتَّح إلا لكيان رجال القصر أو كبار القبائل، ولهما مراسم وقواعد دقيقة جدًا.

ويدخل ضمن الطبقة الأولى أيضًا أمراء السلالة المحاكمة، الذين عُهِدَ إليهم إدارة الحكومة في الولايات الكبيرة مثل إقليم سistan وكرمان وغيرهما، كالولايات الكبرى التي ضمت بالفتح إلى الدولة الساسانية، وقد قُلَّ في هذه الحقيقة عدد حكام الولايات الذين يتمتعون بغير الأمرة المحاكمة (الساسانية)، خاصةً في أطراف الدولة التي كانت وظيفتهم حماية الحدود الساسانية، أي إنهم كانوا يشكلون خط الدفاع الأول ضد أعداء الدولة.

يلى الأمراء الكبار في السُّلُّمِ الاجتماعيِّ رؤساء الأسر السبع، وهي أسرٌ إيرانية نبيلةٌ لها أملاك واسعة واقطاعات كبيرة وظلَّ عددها وامتيازاتها متواترةً من المعهد

<sup>(1)</sup> - جشنرف، نامة تصر، ترجمة ابن استنبولار، تحقيق مجتبى ميرزى، مطبعة مجلس، قم، 1311هـ، ص 19.  
الجهشينوى (أبو عبد الله محمد بن عيسى): الرزراء، الكتاب، تحقيق مصطفى السقا، دار الفكر الحديث، بيروت، 1988م، ص 3.  
الخطاب (مجىء): النساء وأختصار بين العربية والفارسية، معهد البحوث والدراسات العربية، 1969م، ص 19.

الأخبي، وقد ورثه الساسانيون ومن وظائفها الوراثية رئاسة الشؤون العسكرية ورياسة الفرسان وإدارة بعض المقاطعات، وغير ذلك. وهناك صنف آخر من النبلاء يصح أن نطلق عليه اسم الوجهاء أو الأشراف، وكانتوا عثابة القوة المعادلة للأسرى المسجعين القيمة الكبيرة، ويشمل هذا الصنف كبار موظفي الدولة والوزراء ورؤساء الإدارة وبعض قادة الجيش.

- الملك:

يشغل الملك مركز الأول في المجتمع، ويتمتع بقدسية كبيرة، ويكرم بتعظيم اسمه بعد الموت، وإن جانب الحرب، كان الصيد من الأعمال الحبية للملك، وكان أفضل أنواع الرياضة التي عارضها الملك. وكان لباس الملك ثياباً وجباباً، ويصل أحياناً إلى أطراف الركبة، وعادة يلبس الملك عباءة طويلة، ونصل هذه العباءة إلى أسفل القدم، وكانت تغطي وتلف كاملاً الجسم، ويلبس الملك ثيابها سترة وسروراً من الحرير أو الصوف، أما رأس الملك فقد إزدان ياكيل بخطي كامل الرأس في أعلى الأحيان، كما يلبس تاجاً مرصعاً باللآلئ والمجوهرات، وأحياناً يضع الملك على رأسه خوذة<sup>(١)</sup>.

وسكن الملك في قصر حملت أروقه على أعمدة مزدادة أجزاء منها بالفضة، والأجزاء الأخرى بالأقمشة المطرزة بالذهب، وبعض الأجزاء وُصبت بالذهب الخالص، بالإضافة إلى ذلك مزدانت الجدران بالصور، وحملت تلك الموضوعات غاذج لانتصارات الملك على الأعداء، وصور الطبيعة والأنهار والأشجار..

ولقب الملك بألقاب كثيرة منها الملك الكبير، وملك الملوك، وملك الآرين، وأخر الشمس والقمر، كما وجد لقب الخالق أو ارب، ومن الألقاب الأخرى العادل والرحيم والحسن.

Curtiss, op, cit, p61. Rawlinson, op, cit, Volume III, p60. - ^

## - رئيس الوزارة :

هو رئيس الإدارة المركزية ولقب في البداية — هزاربـد أو هزارـسـايـ — Hazarpati Hazarpd وتعني فالـد الأـلـف رـجـلـ، وـعـدـ أولـ موـظـفـ في الـدوـلـةـ فـقـدـ كانـ مـكـلـفـ بـإـدـارـةـ شـؤـونـ الـدوـلـةـ، وـقـدـ بـنـوـبـ عـنـ الـمـلـكـ عـنـدـمـاـ يـغـيـبـ فيـ الرـحـلـاتـ أوـ الـحـرـوبـ، كـمـاـ أـنـهـ يـفـارـضـ السـفـراءـ وـالـمـبـعـوـثـينـ، وـقـدـ يـتـولـ بـنـفـسـهـ قـيـادـةـ الـجـيـوشـ، لـذـلـكـ تـعـلـلـ مـنـهـ مـقـدـرـةـ إـدـارـةـ وـنـفـاقـةـ وـلـيـاقـةـ لـكـيـ يـسـطـعـ إـرـضـاءـ الـمـلـكـ وـالـشـعـبـ.

وـحدـدـتـ سـلـطـةـ الـوـزـيرـ فيـ نـقـاطـ ثـلـاثـ: الـأـوـلـىـ لمـ يـكـنـ باـسـطـاعـهـ أـنـ يـخـافـ عـلـىـهـ أـرـمـنـ يـقـوـمـ مـقـامـهـ، وـالـثـالـثـةـ لـاـ يـجـوزـ لـهـ أـنـ يـطـلـبـ إـقـائـمـهـ مـنـ الشـعـبـ، لـأـنـهـ يـتـصـرفـ بـاسـمـ الـمـلـكـ لـاـ باـسـمـ الشـعـبـ، وـالـثـالـثـةـ لـاـ يـسـطـعـ أـنـ يـعـزـلـ أـوـ يـقـلـلـ الـمـوـظـفـينـ الـذـيـنـ عـيـنـوـ بـنـاءـ عـلـىـ أـمـرـ مـلـكـيـ دونـ اـسـعـدـانـ الـمـلـكـ. وـبـالـغـمـ مـنـ ذـلـكـ كـانـتـ الـعـلـاقـةـ حـمـيـةـ بـيـنـ الـمـلـكـ وـوـزـيـرـهـ، وـكـانـ مـلـوـكـ إـلـاـنـ يـمـجـدـونـ وـزـرـاءـهـ أـكـثـرـ مـنـ أـيـ مـلـكـ آخـرـ، وـكـانـوـ يـقـولـونـ: إـنـ الـوـزـيرـ هـوـ مـنـظـمـ أـعـمـالـنـاـ وـزـيـنةـ دـوـلـتـنـاـ، وـإـنـ لـسـانـاـ الـذـيـ نـعـبـرـ بـهـ وـسـلـاحـنـاـ الـذـيـ لـتـابـ لـهـ أـنـ نـضـرـبـ بـهـ أـعـدـاءـنـاـ فـيـ الـبـلـادـ الـبـعـدـةـ.

## - الـوـزـراءـ:

كـانـ الـوـزـراءـ فـيـ فـارـسـ يـشـكـلـونـ عـمـادـ الـمـحـلـسـ الـاسـتـشـارـيـ لـلـمـلـكـ الـذـيـ كـانـ يـأـعـذـ رـأـيـهـ. وـقدـ كـانـ مـلـوـكـ آـلـ سـاسـانـ يـمـجـدـونـ وـزـرـاءـهـ، لـأـنـهـمـ يـشـكـلـونـ السـنـدـ لـلـدـوـلـةـ، وـبـدـافـعـونـ عـنـهـاـ فـيـ الـبـلـادـ الـبـعـدـةـ، كـماـ كـانـ الـوـزـراءـ يـرـاقـقـونـ الـمـلـوكـ فـيـ رـحـلـاتـ الصـيدـ حـيـثـ يـقـفـ لـهـ الـوـزـيرـ يـرـجـهـهـ مـشـأـةـ صـرـحاـعـاـ عـنـ ذـلـكـ.

لـمـ يـكـنـ فـيـ فـارـسـ تـعـصـصـ لـلـوـزـراءـ كـمـاـ يـلـاحـظـ الـيـوـمـ، أـوـ جـلـالـ الـعـهـودـ الـإـسـلـامـيـةـ، وـجـلـ ماـ ذـكـرـ عـنـ نـشـاطـ هـنـلـاءـ هـوـ مـهـامـ رـئـيـسـ الـوـزـراءـ وـبعـضـ مـاـ كـانـ يـقـوـمـ بـهـ الـوـزـراءـ، فـقـدـ ثـبـعـ الـوـزـراءـ بـقـوـةـ عـظـيمـةـ، إـذـ كـانـ الـمـلـكـ يـعـتمـدـ عـلـيـهـمـ وـيـسـلـمـهـمـ كـلـ أـمـورـ الـبـلـادـ، وـكـانـتـ تـرـدـادـ سـلـطـهـمـ وـتـقـوـيـ شـوـكـتـهـمـ عـنـدـمـاـ يـكـونـ الـمـلـكـ مـنـ ذـوـيـ الـمـلـذـاتـ

والشرب والصيد. وكان الوزير مسؤولاً عند حصول المخل في شؤون الدولة إذ كان هو أول شخص يسأل الملك عن سبب الاضطراب وسوء أحوال الرعية<sup>(1)</sup>.

لم يساور الملك ملوك إيران ضد وزرائهم، إذ كان هؤلاء يتمتعون بثقة كبيرة من قبل الملك. ففي ذكر عن كسرى أنو شروان أنه كان لا يأمن على غلائه إلا وزير مهيد وولديه. ولكن أحياناً كان الناس والإغراء بالملك يدفعه للشك بوزيره، أو أن أصحاب الشأن الذين يضرهم وجود أحد الوزراء يسعون للإيقاع به. وهذا ما حصل مع الوزير مهيد نفسه وولديه حيث تمكّن أحد المحرّر من أن يعيش اللبن المحضر لغذاء الملك من قبل الوزير وولديه، وبسمة فلما ذاق ولداه اللبن فتلا في الحال ونكّب كسرى أنو شروان بوزيره وفُسبَّ بيته<sup>(2)</sup>.

#### - ولـي العهد:

جرت العادة في فارس أن يكون الأبن الأكبر ولـي العهد، ولكن لم يتبع الجميع هذا النهج؛ إذ كان ذكاء واستعداد بعض الأبناء الآخرين وعلاقتهم بأبيهم تدفع الآب ليغير ولـي العهد من الأبن الأول إلى الآخرين، وكان الملك ينتقي من أبنائه من يحبه أكثر ويمنحه لقب ملك في حياته، بالإضافة لذلك قد يشكل حب الملك لأمرأته الثانية عقبة في وصول الأبناء للحكم، فيتسلّب ابنه الأصغر وليس العهد. وكان التمرد على هذه القاعدة واحداً من أسباب المازاعات؛ إذ ما إن موت الملك حتى يتسلّل ولـي العهد

<sup>1</sup> - الطروسي (نظام الملك): سياست نامق(سير الملك): ترجمة يوسف حسين بكاري، دار الفناس، بيروت، ص 53-54.

الفردوسي (منصور بن فخر الدين): الشاعرname، ترجمة الفتح بن علي البنداري، قارئاً وأكمل ترجمتها عبد الوهاب غرام،

دار سعاد الصباح، الكويت، ط 2، 1993م، ج 2، ص 157.

<sup>2</sup> - الفردوسي، المنصوري السابق، ج 2و ص 137 - ص 138.

الأول إلى إحدى الدول المجاورة، ويأتي بجيش من خارج البلاد، ويسفك الدماء الكثيرة حتى ينوج نفسه ملوكاً.

## 2- طبقة رجال الدين:

تأتي طبقة رجال الدين في الدرجة الثانية في السلم الاجتماعي ويسمون بالملائكة، وهم بالأصل طبقة عاصفة لهم امتيازات الرئاسة الروحية، وكان الرؤساء الروحانيون يختارون منهم وقد تزايد عددهم مع مرور الزمن.

ينسب رجال الدين أنفسهم إلى التاريخ الخراقي الجيد لإيران وذلك ليتساواً مع الأسر النبيلة الكبيرة، فالساسانون مثلاً يرثون أنفسهم إلى الأسرة الألهية إلى كاوي وبشتباس (كتشاسب) حامي زرادشت، ومعظم الأسر النبيلة الأخرى تنسّب نفسها إلى أصل مجيد، لهذا نسب رجال الدين أنفسهم إلى جدهم الخراقي موخترا الذي يعود ينسبة إلى أسرة برذاتا الخراقية.

أصبغت السلطة الروحية على حياة الناس طابعها المقدس، وكانت تدخل في حياة كل فرد وفي كل أمير منهم، فقد كان لرجال الدين دور مهم ومكانة كبيرة فهم أقرب رجال الدولة إلى الملك وبعدون أنفسهم مع طبقة الملوك وقد جعلتهم الأفستاناً أول طبقة من المجتمع الإيراني القديم، وكان نفوذهم مستمدًا من دورهم في الحياة وما لديهم من أملاك كبيرة وكان لهم تنظيم دقيق ومناسب مندرجة.

تقسم طبقة رجال الدين إلى فئتين: الأولى وتشكل طبقة رجال الدين الصغار ويكتب فيها رؤساء المحابيد (يسـ م Hasan معـ). والثانية الطبقة العليا منهم وتشمل الوابدة، وكانت الدولة كلها مقسمة إلى مراكز دينية على رأس كل مركز موبيه يدير شؤونها<sup>(4)</sup>.

<sup>(4)</sup>- بيرنيا(حسن): تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد السادس، ترجمة محمد تور الدين عبد المعمم المساعي محمد المساعي، مراجعة وتلخيص بخي الشتاب، دار الثقافة، التجلالة، مصر، طـ2، 1992م، صـ302. خريفات، المرجع السابق، صـ139.

#### - الموابدة:

هم رؤساء المراكز الدينية في الولايات الدولة ورؤسهم جميعاً "المويدان موبذ" وهو كثيرون رجال الدين، وله السلطة العليا في المسائل الدينية، إذ يرجع إليه الفصل في المسائل النظرية في الأصول والفروع، وهو الذي يفتني في المسائل العلمية، والسياسية والروحية، كما يرجع لـه تعين وعزل الوظيفين الدينيين.

أضاف إلى ذلك أنه يشارك في تكوين هيئات محكمة الفتوى، وخاصة في الأقاليم التي يشتد فيها العداء للدين، ومن الممكن أن يكون له تأثير قوي في جميع شؤون الدولة بوصفه الرائد الخلفي، والمرشد والمسير الروحي للملك.

#### - المراقبة:

هم الذين يديرون المراسيم الدينية في المعابد أي خدمة معابد النار، وينطلب منهم ذلك معارف خاصة وخبرة عظيمة وهم المسئون أثثرابيقي Aethetra Paitti في الأقسا. ورئيسهم الأعلى يُسمى المويدان هربة وبعد من أعظم الشخصيات الدينية بعد المويدان موبذ، وكان المراقبة يصدرون أحكاماً بوصفهم قضاة<sup>(1)</sup>.

من الوظائف الدينية الأخرى وظيفة وردهد أي أستاذ العمل، ودستور الذي كان خصيصاً بالمسائل الدينية، وهو رجل دين وشريع ينها الناس إليه خسبي القضايا المشتبه بها.

#### - مهام رجال الدين:

بعد القضاء وعقود الزواج وشهادات الميلاد أهم الوظائف التي أنيطت برجال الدين، ولكن لا تتحضر مهامهم هنا بل امتدت إلى أراضيهم التي يملكونها، وإلى مواردهم التي يجبرونها منس الغرامات الدينية والطبات. وربط هولاء بالجمهور وظائف عددة

<sup>1</sup> - المحاسب، المرجع السابق، ص 17. كريستمن، المرجع السابق، ص 107.

كإجزاءً أحكم الطهارة، والاعتراف، والغفران، والحكم بالغرامة بعد الإقرار بالذنب، بالإضافة للمراسيم العادلة للمعوالم والجنائز والأعياد الدينية، كما توجب على رجال الدين توجيه الشعب أخلاقياً<sup>(1)</sup>.

## 2- طبقة رجال الحرب:

تولى قيادة الجيش السياسي قائد واحد هو إبراهيم سعيد أو الأصبهين، الذي شافت مهامه أو كأنها ثلاثة أساسية، هي شؤون الحرب وقيادة الجيش العليا، والقيام بمحفاظات الصلح مع العدو. كان قائد الجيش من أعضاء مجلس الاستشاري للملك، مما يدل على دوره الكبير في تنظيم الجيش وتدبير أموره، كما كان مستقلأ إلى حد ما في عهد الملك لضعاف المسلمين، وذلك لأن الملك كان يتدخل في معظم الأوقات في المسائل المتعلقة بالحرب. هذا بالإضافة إلى تدخل كبير الوزراء في إطار عمله أيضاً<sup>(2)</sup>.

## 3- طبقة الكتاب (ديوان).

ظهرت طبقة الكتاب في العهد السياسي، وكان لأعضائها دور كبير في الدولة السياسية ومكانة عظيمة، ذلك أن السياسيين كانوا يعتنون بالشكل عملية كبيرة. فالوثائق الرسمية ومراسلات الأفراد يبيّني أن تصاغ صوغًا أنيقاً مع مراعاة الفروق الطبقية بين المرسل والمرسل إليه. ينبغي أن يكون الكاتب كريم الأصل، شريف العرق، دقيق النظر، عميق الفكر، وأن يتسلل الخط الأوفر من الأدب، كما ينبغي أن يكون حسن الخط، وقد استخدم هؤلاء في البلاط الملكي وفي الأئمّة.

<sup>1</sup>- خريسان، المرجع السابق، ص 139. كريستنسن، المراجع السابق، ص 108 - ص 110.

<sup>2</sup>- كريستنسن، المراجع السابق، ص 119.

كان رئيس الكتاب يُلقب بـ (بهران ديريد)، وكان يعني أجيالاً من حاشية الملوك. كان الكتاب يسيطر على سلطة تامة على مراسلات الدولة، ذلك لأن الوثائق المهمة، هم الذين يحتفظون بها ويرسلونها، وهم الذين يصيغون الأوامر الملكية وينظمون قوائم الضرائب وحسابات الدولة.

قسم الكتاب إلى عدة فئات كلُّ فئة مسؤولة عن جانبٍ من المراسلات، فهناك كتاب الأحكام، والخراج، وحسابات دارِ الملك، والخزائن، والاصطبلات، وحسابات بيوت البيران والأوقاف. إضافةً لذلك وُجدَ في ديوان الملك كاتبٌ خاصٌ بالشجون العربية<sup>(1)</sup>. وارتبطت وظيفة الكتاب بالتعليم، واقتصر على أبناء الأشراف والعبيقات العثى من المجتمع

#### - طبقة الأحرار.

يصنف الأحرار في أسفلِ السلم الاجتماعي، وهم أفراد العائلات الصغيرة ذاتُ الأصولِ أو أصحابِ القرى الذين كانوا صلة الوصل بين الفلاحين والحكومة المركزية، التي كانوا عملاً لها. هؤلاء الأحرار الصغار كانوا أكثرَ فئات الشعب عدداً، وهم أحرارٌ من الوجهة القانونية، ولكن عملياً كانوا عبيداً مرتبطين بالأرض، حيث يمدون مع الأرضي والقرى<sup>(2)</sup>.

- الفلاحون: شكل الفلاحون طبقة اجتماعية متميزة في المجتمع الفارسي؛ ذلك أنهم ارتبطوا بالأرض والعمل فيها، وعمل الفلاحون بالزراعة التي كانت على أشكال متعددة، فمنهم من زرع في أراضي الملاك الكبار، ومنهم من استأجر الأرض على أن يدفع للملك ما يعادل ثلثي إنتاج أرضه أو يقدم له في نهاية الموسم ثلثي الإنتاج. وكانت الملكية الفردية في هذا المجال تشمل الأرضي الزراعية والعقارات والحيوانات

<sup>1</sup> - جشنسف، المصادر السابقة، ص 12، كريستنسن، المراجع السابقة، ص 124.

<sup>2</sup> - مغير غرين، المراجع السابقة، ص 373.

والبعيد وللزروعية والمعادن، وكانت ملكية الأرض تشمل ما عليها من أدوات ومن عليها من عبيد، حيث كان هؤلاء يتقلون مع الأرض يعاورها<sup>(١)</sup>. وسمح لل فلاحين بالانتقال من مكان إلى آخر كيما شاؤوا، ولكن إذا امتنعوا عن العمل بالزراعة فعلتهم التعريض للملك.

و عملت المرأة في القرى والأرياف إلى جانب الرجل، وخاصة المزارعين منهم، وارتدى الفلاحون لباساً نيلياً من القنب، على شكل بنطال وقميص طويل، وكانوا طويلاً الشعر واللحية، و بالمقابل ارتدت نساؤهم الثياب الخضراء والطويلة. وشكل الفلاحون والعاملون في الأرض الخضراء الرئيسي من الخيش، لذلك وجب على الملك أن ينهي الحرب بسرعة لكي يعود هؤلاء إلى أعمالهم<sup>(٢)</sup>.

وعان الفلاحون من كثرة فرض الضرائب وتعسف جباها، بالإضافة إلى العقوبات التي كانت تفرض بحق من لا يدفع ما وجب عليه من الضرائب، كما عانوا من أعمال السخرة التي فرضت عليهم وعلى عائلاتهم، وكانت هذه الأعمال تتعلق بطبيعة أعماظ الزراعية، كشق الأفقي، وتنظيمها، والعمل على صيانتها بشكل دوري، بالإضافة إلى العمل في أراضي الملك والمعابد.

---

King, L.W, and Hall, H.R, History Of Egypt, Chaldaea, Syria, Babylonia, -<sup>1</sup>  
And Assyria In The Light Of Recent Discovery, Produced by David Widger,  
London, 2005, Vellum 1, pp 450-455.

Wolski, Les relations de Justin et de Plutarque sur les esclaves et la -<sup>2</sup>  
population dépendante dans l'empire Parthe, Iranica Antigua 18, 1938, p  
148.

- طبقة العبيد : هم الطبقة الدنيا والأخيرة ، وهم ملك لأسيادهم ، ووصلوا إلى هذا الأمر إما عن طريق الأسر في الحسروب أو الشراء ، ولقد أنتبهم تقبيل الأعمال الشاقة والمهن الوضعية . وكان العرف في قارس أن الأطفال الذين يولدون من جزية السيد يعفوسون بقوة القانون هم وأمهن بعد وفاة أبيهم . أما الأطفال الذين يولدون من أبوين رقيقين فيصبحون مثلهم . هذا عن الرق بالولادة ، أما عن الرق لأسباب أخرى غير الولادة فقد عدت الحرب أهم هذه الأسباب . فالأسير يصبح عبداً لمن أسره من الجيش المتصدر .

وعلى رغم أن المقررة المدنية للعبد لم تصل إلى حد إلغاء جميع مظاهر شخصيته القانونية ، فقد كان في إمكان العبد في القانون أن يكون أسرة ، وبالتالي أن يعقد زواجاً . وكان يمكن له أن يتزوج من حرة ويكون أرلاده في هذه الحالة من الأحرار . بل كان يجوز للعبد أن يمتلك الأموال التي تثلج بالنسبة له حوزة مالية خاصة ، وسمح له بالتقاضي أمام المحاكم وممارسة الحرفة التي تتفق مع قدراته . أما بالنسبة الحالات عتيق العبد ، فقد كان يجوز للسيد بإرادته أن يعتق عبده وذلك بموجب عقد خاص أو أمام القضاء . ومع ذلك يشير بعض الباحثين إلى أن المعتق يظل مرتبطاً ببعض الالتزامات تجاه سيده القديم خلال حياته . ومن جهة أخرى فإنه يجوز للعبد أن يشتري حرفيه بماليه ، ما دام قادرًا على امتلاك الأموال ، وبعده أن يستدرين من غيره لشراء حرفيه ، على أن يسددها له دائمًا بعد ذلك . وما يحدى الإشارة إليه وجود العبد بالزارعين في قتون وركوب الخيل والرمي بالقوس .

لم يعمل العبيد بالأراضي الزراعية كما هو مأمور في الشرق القديم ، بل كانت أكثر أعمالهم الخدمة في المنازل ، وقليل منهم من عمل في الأرض ، كما شاركوا في الجيش . وقد استخدم الفرسون أسلوبًا حسناً في التعامل مع العبيد ، ويشهد على ذلك

نقوش تحت جمشيد التي امتنأءات بالإشارات لدفع روابط العبيد الفالمين على العمل في المين، وهذا يدل على تحسن وضع العبيد في فارس مقارنة بالدولة اليونانية.

- المرأة والأسرة. شكلت المرأة جزءاً مهماً من المجتمع ، وقد اختلف الفرس عن سواهم من دول الشرف القاسم في التعامل مع المرأة، إذ كان التفريح بين الجنسين حازماً، ولم يكن الحجاب عاماً، لكنه ضروري للنساء الجميلات، سواءً كن متزوجات أم لا.

وكان تدخل النساء في الفعاليات الاجتماعية قليلاً نسبياً، فقد حافظ الحرس على سلامة نساء البلاط والأشراف، وقام الخدم على تلبية متطلباتهن. واختلفت حالة المرأة العادبة عن المرأة النية، ففي القرى ومراسك الإنتاج كانت فعاليتها كبيرة جداً، فعملت مع الرجل في كل الأعمال، ولكن العمل المفضل لدى النساء كان تربية الأولاد، فحتى نساء البلاط والملوك اعتنوا بأنفسهم ب التربية أبناءهم ولم يعندهن بها لغورهم.

وقد اختار الأمراء زوجاتهم من العائلة المالكة، وأحياناً من بنات الملوك التابعين، أما المحظيات فكن على الأغلب من النساء اليونانيات<sup>١</sup>. وبإضافة إلى زوجته الرئيسية كان لدى الرجل محظيات كثيرة، وكان الرجل يُقي على معلوته مadam راغباً لها، ومن هنا كان لدى النساء رغبة مفرطة في افتقاء المحظيات.

وارتدت المرأة ثياباً غطت كاملاً جسدها، وكان اللباس بشكل عام من الأردية الواسعة، مع وجود بعض التملاج ذات السمات الضيقية، التي تبرز مفاتن الجسد، وربما كان الظرف الأول مفضلاً لدى معظم العامة في المجتمع، حيث شغل الدين حيزاً كبيراً

<sup>1</sup> - مابكس (زورا): تاريخ إيران، ترجمة محمد تقى، المحرر داعي كيلانى، دهباي كتاب، جاپ آشنا، تهران، 1377، ج 1، 496. توذری (عونت الله): تاريخ اجتماعي إيران، أو آغاز تأسيس وتطورها، انتشارات مجسته، قرآن، چهارم، 1381، ص 68.

في حياتهم، ولم يحب رجال الدين الألبسة الضيقة التي تعيق حركة المرأة وظهور شكل جسمها<sup>(١)</sup>.

- الحياة المدنية.

- الزرادشتية.

لتحتلت الزرادشتية خلال القرنين الأولين بعد الميلاد، بعافية خاصة من الحكم الملكي الفرثي، ومن ناحية أخرى، أوجد الفرثيون مرحلة انتقالية تختت من التعدد، والتعابش المتساوي والمتسامح بين الثقافات الإيرانية واليونانية وكان هذا الدور الأساسي للإيرانيين في المشهد السياسي لغرب آسيا.

وتبيّن هذه التطورات التي طرأة على الزرادشتية، تقدّمها على كل المعتقدات الأخرى الموجودة في المملكة الفرثية، وسعّيها للانفراط، كما تدل على انتشار المسيحية التي أخذت تقلّق رجال الدين الزرادشتيين، الذين بدؤوا يفكرون بتحديد انتشار المسيحية في بلادهم.

مع وصول أردشير إلى العرش الساساني (224-241م) أمر كبير مستشاريه "اهريلان هريدا" تصرّج بجمع كل النصوص المبشرة المتعلقة بالأقستا الفرثية وكتابة نص واحد منها، ثم أجبر هذا النص وعد كنائباً مقدساً، وفي عهد خليفة بشابور الأول أدخل رجال الدين إلى هذه النصوص الدينية، نصوصاً آخرى تعلق بالطب والفلك والطبيعة، عدت نصوصاً تعليمية، وجئت إضافتها إلى الكتاب المقدس "الأقستا".

Bennett, op. cit, p185. Curtiss, op.cit, p61. Rawlinson, op. cit, Volume - I  
III, pp259-267.

وفي عهد شاپور الثاني "309-379م" عقد بجمع ديني ثرأسه الموجان مويد لوضع حد للخلافات الدينية بين بعض الزرادشتين، فاعتمد نصاً مكتوباً للأئمّة وقسمها إلى واحد وعشرين كتاباً سفراً تشتمل ثلاثة مجموعات:

- 1- المجموعة الأولى وتحت في العبادات، وأركان الدين والصلوات.
  - 2- المجموعة الثانية وتحت في فوائد العطهارة والقوانين.
  - 3- المجموعة الثالثة وتناول بقية جوانب المعرفة من ذلك وطبع وتاريخ.

وقد تضمن الأفستا الساسانية التي وصلتنا ليست إلا جزءاً من الأفستا القديم وهي ليست خاصة بالعبادات فقط، بل هي أقرب إلى دائرة معارف عامة لكل علوم العصر الساساني. وقد اعتمد ملوك الدولة الساسانية الأفستا ككتاباً مقدسأً للتردادشتية ودستوراً رسمياً للدولة الساسانية.

ومن أهم الأعياد عيد التوروز وتعني اليوم الجديد<sup>(1)</sup>، وهو أكبر الأعياد التشعيبة الفارسية حتى اليوم، وهو يوم رأس السنة وكان الملوك يختلفون مع رعاياهم في هذا العيد السعيد، وفيه يعنين أو يستبدل حكام الأقاليم، وتضرب التقدّر الجديدة، ويستمر العيد ستة أيام متالية، اليوم الأول قبل انه أول الأيام ستة التي يتحقق الله بها العالم<sup>(2)</sup>.

واليوم السادس منه هو الموروز الكبير؛ إذ يعتقد الإيرانيون أن الله تعالى انتهى من خلق العالم فيه، وهو السادس وهذه الأيام، وفيه وصل زرادشت إلى مناجاة الله تعالى، وفيه تقسمت السعادة على أهل الأرض، وغير ذلك الكثير مما يصدق أو لا يصدق. وما زال عيد نوروز قائماً ومحفل به مستويات على أنه عيد رأس السنة لديهم، وما زال الإيرانيون يبدؤون سنته في الزريع، مع الاحتفال بعيد النوروز.

<sup>۱</sup>- بلوکیابی (علی): نوروز، جشن نژادی افغانی، دفتر پژوهش‌های فرهنگی، تهران، چاپ سوم، ۱۳۸۱، ص ۱۴.

<sup>2</sup> - للمزيد عن الأعياد الإيزابية، انظر كريستنسن، المراجع السابق، ص 156 وما بعده.

ومن الأعياد المهمة عبد شهر مهر، ويسمى عبد مهر كان أو المهرجان ومعناه حبحة الروح، وهو من أكبر الأعياد بعد عبد التوروز. وفي الأعياد تعم الفرحة أرجاء المملكة الفرثية كلها، وتستمر عدة أيام، وكانت المؤسفي والضجيج من سمات احتفالاتهم، فعمرفوا على الناي والطبل ولات السنخ الأخرى، كما عرفوا الآلات الටورية واستخدموها ليس فقط في الأعياد بل في تقليد الضيافة أيضاً، وترافق هذه الأجواء بالرقص الذي عد للتسليمة فقط.

#### - المأثورية:

تُنسب المأثورية إلى ماني الذي ولد في جايل (216-276م) من أسرة فرضية نبيلة، ونرى في وسط دينه، وأمضي مطلع شبابه في بلاد ماين النهرين، التي كانت في ذلك الوقت بوقته تصير فيها كثرة العقاديد الشبيهة، وشرع في عمر العشرين في الدعوة إلى دينه الجديد في محاولة منه لإظهار دين عالمي مقبول من الجميع، وحصل ماني على حرية الدعوّل إلى البلاط الملكي، لأنّه قال حظرة الملك السياسي شابور الأول بن أردشير (241-272م) الذي رافقه في حروبه في الغرب، وحظوظه لدى الملك هرام بن شابور (273-276م).

أعلن ماني أنه هو الذي جاء ليتم عمّل زرادشت وبودا وال المسيح، فهو لا يجمع شيئاً شذرات ناقصة من الحقيقة، لكن حق هذه الشذرات قد أفسدها أتباعهم، وقد وحد ألمته بوصيّه رسول التور، وزعم ماني أنّه (الفار قليط) الذي يبشر به عيسى عليه السلام في الإنجيل إذ قال: ((إن الحكم والأعمال هي التي لم ينزل رسول الله ثانية بها في زمن دون آخر، فكان مجتمعهم في بعض القرون على يدي الرسول الذي هو المهد إلى بلاد الهند، وفي بعضها على يدي زرادشت إلى أرض إيران وعلى يدي عيسى إلى أرض

المغرب، ثم نزل هذا الوحي وجاءت هذه النبوة في هذا القرن على يديهُ أنا ماني رسول إلهِ  
الحقِّ في أرضِ بابل<sup>(1)</sup>).

وأدعى ماني أنَّ اللهَ أرسَلهُ من بابل لتصْلِي دعوَتَهُ إلَى العَالَمِ أَجْمَعٍ. وَلَا تَبْدُ أَصْوَلُ عَقِيدَتِهِ  
كَثِيرًا عَنِ الْزَرَادِشِتِيَّةِ، إِذْ تَرَى أَنَّ الْعَالَمَ فَائِمٌ عَلَى أَصْلَيْنِ: هُمَا الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، أَوِ النُّورُ وَالظُّلْمَةُ وَهُمَا  
مَنْخَصَلَانِ عَنِ بَعْضِهِمَا وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْأَزِلُّ، وَهُوَ مَلِكُ جَهَنَّمِ النُّورِ، كَمَا أَنَّ الشَّرُّ مُوْجَدٌ عَلَى السَّدَوَامِ  
وَسَيْقَلٌ إِلَى الْأَكِيدَةِ<sup>(2)</sup>.

وَأَصْلُ الْنُورِ يَخْتَلِفُ تَامًا عَنِ أَصْلِ الظُّلْمَةِ فِرْوَحُ الْنُورِ التَّسِيمُ وَرُوحُ الظُّلْمَةِ الْمَدْخَانُ، وَإِنَّمَا  
الْحَيَاةُ وَالرُّوحُ فِي هَذَا الْعَالَمِ مِنَ التَّسِيمِ فِي حِينِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَفَاتَ مِنَ الدَّخَانِ، وَكُلُّ رُوحٍ مِنْهُمَا  
تَسْهُرُ فِي أَبْدَانٍ مُخْتَلِفةٍ، وَكَذَلِكَ يَخْتَلِفُ صَفَاتُ الْنُورِ عَنْ صَفَاتِ الظُّلْمَةِ؛ فَالْأُولَى حَيَّةٌ ظَاهِرَةٌ عَبِيرَةٌ  
زَكِيَّةٌ وَالثَّالِثَةُ خَبِيثَةٌ شَرِيرَةٌ.

وَالْخَلَاصُ مِنَ الْمُلْكَاتِ يَتَمَّ بِالْعِرْفَانِ لِأَنَّهُ بَدَلَ عَلَى وَحْدَةِ الْجُوَهِرِ بَيْنَ الإِلَهِ وَالرُّوحِ، وَبَذَلَكَ يَحْصُلُ  
الْمُتَبَعُدُ الْمَلَوِيُّ عَلَى السَّلَامَةِ، فَقَدْ عَرَفَ أَصْلَ الْعَالَمِ وَسَبَبَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ وَالْطَّرْفِ الْمُسْتَعْمَلَةِ مِنْ قِبَلِ  
أَمِيرِ الظُّلْمَاتِ وَأَضَدَادِ الطَّرْفِ الْمُعْلَنَةِ مِنْ قِبَلِ ربِّ الْنُورِ، فَالْمَلَادَةُ وَالْعَمَلُ يَتَعْمَلُانِ إِلَى أَمِيرِ الظُّلْمَامِ، وَالْجَهَلُ  
تَبَعَّجَةً خَلَطَ الرُّوحَ وَالْجَسَدَ أَوِ الرُّوحَ وَالْمَلَادَةَ، عَلَى أَنَّ الْخَلَاصَ يَقْضِي ثَلَاثَ مُحَطَّاتٍ (الْيَقْظَةُ، وَكَشْفُ  
الْعَثُمِ الْمُنْقَذِ، وَالْمَذْكُورِ) وَأَرْوَاحُ الْمَوْتَى الْمُبَارَكَيْنِ تَتَقَلَّ نَحْوَ الْجَنَّةِ السَّمَوَاتِيَّةِ، وَالْدِينُونَةُ الْأُخِيرَةُ عَنِّدَمَا  
تَحَاكُمُ الْأَرْوَاحُ أَمَمَ مُحْكَمَةَ الْمُسْبِعِ، وَبَعْدَهَا يَرْتَعُ الْمُسِيحُ وَالنَّجْمَةُ مِنَ الْبَشَرِ وَكُلُّ تَحْسِدَاتِ الْخَيْرِ إِلَى  
السَّمَاءِ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَخْلُصَ الْأَرْوَاحُ - جَوْهَرُ الْنُورِ - الْمَسْحُونَةُ

<sup>1</sup> - الْبَرْوَنِيُّ (أَبُو رِيَانَ حَمْدَنْ بْنَ أَحْمَدَ)، الْأَيَّارُ الْبَاقِيَةُ عَنِ الْقَرْوَنِ الْخَالِيَةِ، لَاهِزِيْكَ، 1878م، ص252، كُرْسِتِنْ،  
الْمَرْجُعُ السَّابِقُ، ص72 وَمَا بَعْدُ.

<sup>2</sup> - سَعْدَانُ (كَامل)، مَعْقِدَاتُ أَسْبُوبِيَّةِ، الْمَرْأَقِ، فَارِسُونِ، الْمَقْنَدِ، دَارُ الْيَدِيِّ، الْقَاهِرَةُ، 1999م، ص138. رَفِيع  
حَقِيقَتُ، الْمَرْجُعُ السَّابِقُ، ص180.

في المادة، ويتم انفصال الماهيّتين فائضاً ويعطل الامتراج وتحلل التراكب ويصل كل إلى عالمه وتلك هي القيامة والمعاد، وعندئذ تتعجز الظلمة عن غزو مملكة النور.

وبطبيعة الحال فإن الروح تصعد عندما تتعقد إلى الفردوس الجديد وبعد أن تتحرر كل ومضات النور المسحوقة في المادة يعود الجسد إلى حلة الخلود، وفي أ kone ذلك يتعرض الذين لم يتمكروا من تحقيق الانبعاث في هذه الدنيا للميلاد من جديد (التقムص).

وقد ادعى ماتي أنه أدخل في دعوته ما هو جوهري من كل الكتابات والحكم وأوجد حكمة كبرى فهو يعطي دوراً واسعاً ليسوع ويأخذ من أذهن ذكره التقمص ويستعمل لغات دينية مألوفة في الأقاليم الشرقية والغربية يهدف نشر دعوته ويتوجه خطابه وخطابه أتباعه، فإذا حاطب المسيحيين فهو المخلص يسوع، وإذا حاطب الزرادشتيين فهو الإنسان الأول أموراً مزدا.

والملاحظ أن ماتي لرأى أن ينشر دينه جمجمة بين البشر بمهارة فائقة، من خلال ملائقة المعتقدات والأراء المعاصرة له باستثناء اليهودية التي رفضها، فكانت ديانة مزيجاً بين الزرادشتية بأساطيرها، والمس بحسبه يمزجتها وعلائقتها، والبودية الهندية بتناصخها، والأغريقية بتقسيماتها الاجتماعية<sup>1</sup>.

وتعتمد ديانة كالبردية والنسجية على التبشير، ومن أجل ذلك كتب سبع رسالات ليتوجب الناقضات التي زعزعت الزرادشتية والبودية وال المسيحية، الأولى بالفارسية، والأخريات بالسريانية، وقد حقق التبشير المأني بفعلاً لأنه توجه نحو خلاص الإنسان.

<sup>1</sup> - العابد، معالم تاريخ الدولة المساسية، ص 134.

كما صنف ماني عدة كتب لبشر دينه منها سفر الأسرار، وكتاب الأصلين، والإنجيل الحسي وغيرها. كما فرض على تابعه العشر في الأموال، وأربع صلوات كل يوم، وأمرهم بترك الكسب والقتل والسرقة والزنى والبخل وغيرها. تأثرت عقidelه بالديانة المسيحية من خلال بعض العادات كالتعصي والقداس الإلهي، بالإضافة لتأثيرها الواضح بالرادرشية.

وقسم ماني تابعه إلى فئتين: الأولى هي المقربون (الصديقون) المصطفون الذين حرم الزواج عليهم، والثانية السماعون الطيبون الذين يسمح لهم بالزواج. وما يثير الاهتمام في عقيدة ماني أنه لم يكتفي بالطراف في إيران للتبشير بعبادته، بل طاف عدة مناطق، مما ساعد على انتشار أفكاره بسرعة كبيرة. وأدى نجاحه السريع إلى قلق الكهنة الرادشيين الذين ضيقوا عليه الخناق، فأحضر الملك الموارد لمناظرته فكشف أمره أمام الملك فصلب وسلّح جلدّه عام 277م. وعانى تابعه أعداءً أتساعاً الضطهاهاد، ومع ذلك استمر مذهبة عادة قرون لاحقة<sup>(1)</sup>.

وكان أتباع المانوية يصومون أسبوعاً كل شهر بالامتناع عن الطعام من الصباح حتى المساء، ويصلون أربع مرات يومياً، بالسجدة التي عشرة مرّة في كل صلاة، بعد الوضوء بالماء أو التراب، وكان يوم الاثنين هو يوم الراحة بالنسبة للصديقين، في حين كان السماعون يعطّلون يوم الأحد، وقد عرفت الديانة المانوية الزكاة، وذلك بتقديم الطعام والكساء والتغود إلى الحاجين من أتباع الديانة.

وحارب ماني التقارب من أردشير مؤسس الدولة الساسانية، لكنه لم يحظ بتأييده، وعندما قسام ماني بجولة شملت بلاد الهند للدعوة لديانته الجديدة، وعاد إلى إيران عندما علم بوفاة أردشير، فلقي حظوة جديدة عند ابنه سابور ورداً على عطف سابور

<sup>1</sup> - وايدنبرون (جير): ماني والمانوية، ترجمة سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط١، 1985م، ص 97.

عليه ألف مائة كتاباً وأعدها إليه وسماه سابورغان شرح فيه حياة الملك سابور له، لكن هذا السرد لم يستمر طويلاً إذ مرعى ما فيكتن رجال الدين الزرادشتي من تحريض الملك عليه، فغادر إيران متوجهاً إلى الهند والصين داعياً إلى مذهبة حتى مات الملك سنة 273م.

ومع وصول هرمزد الأول للحكم حظي ماني بالحماية من جديد، لكن ملكه لم يحكم سوى عام واحد، حيث جلس على عرش الدولة الساسانية هرلم الأول المعروف ببعضه ماني، فأعد مناظرة دينية بين ماني وكبير رجال الدين الزرادشتي المولاذان موبد انتهت بنكفر ماني وإعدامه وتشير الروايات إلى أنه صلب وسلوخ جلدته وهو حي، ثم قطع رأسه وحشي جسده بالتين وصلب على أحد أبواب مدينة جند سابور في إقليم الأهواز. وتعرض أتباعه للاضطهاد وخاصة على يد رجال الدين الزرادشتي فتحولوا إلى العبادة السرية لعقدهم، كما هاجرت مجموعة كبيرة منهم هرباً من التكبيل.

وزرك ماني بمجموعة من الكتب منها كتاب الكهلايا، وكتاب السابور خان، وكتاب الأسرار، والأصل، والإنجيل، وكتاب الحياة، وغيرها من الكتب التي ترجمت إلى السريانية واليونانية، وغيرها من اللغات وهذا يدل على انتشار المأثورية في آسيا الغربية وشرق أوروبا وشمال إفريقيا<sup>(1)</sup>.

وقد أدى التبشير والتعليم المؤلفان لنشاط الدين المأثوري إلى كثرة البعثات في القرنين الثالث والرابع الميلاديين إلى مختلف المناطق، وانتشرت المأثورية في الإمبراطورية الرومانية وفي بلاد العرب والصين.

<sup>1</sup> - ان觙د، ملهم تاريخ الدولة الساسانية، ص 135-137.

## – البوذية:

تغلغلت البوذية في إيران على يد المبشرين المحتد، وقد وجد أتباعها في شرق إيران، وكانت غايتها التخفيف من آلام الناس والسعى لسعادهم؛ باللغاء الطبقات وتحقيق المساواة بين البشر، وتقوم البوذية على أساس فلسفى يهدف إلى الإبعاد عن ملذات النفس، واعتماد حياة الفرش والرهب، ويعرف كتاب البوذية باسم سلال الحكمة الثلاث، ويتناول قواعد الدين، والمساعظ والأحاديث، والشريعة البوذية.

تشأت هذه الديانة في الهند في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد على يد بودا الذي يعتقد أنه عاش بين (483-563ق.م)، وانتقلت من هناك إلى المناطق المجاورة، وتخلصت مبادئها بالتساخن، والروحانية فلم تتعارض البوذية للإلهوية لا بالتفسي ولا بالتأكيد، وكانت فكرتها لخطفية صرفة لا تهتم بالشعائر أو الطقوس الدينية، وعليه لم يدع بودا الإلهوية، ولم يوجد أية آفة في عقيدته<sup>(١)</sup>.

وفرض على أتباع البوذية الصلاة والزكاة والصوم والحج، فصلاتهم تأملات عميقه في حلقات العالم، وركافهم واحب سنتي على الغنى للمحروم، وذلك كنوع من المساواة بين البشر، وصوماتهم يبدأ عند منتصف النهار ويستمر حتى فجر اليوم التالي، ويصومون ثلاثة أيام متفرقة في السنة وهي عد اكتمال القمر في أيام وحزيران وتشرين الأول، أما الحج فهو لأماكن متعددة كمكان ولادة بودا، والمكان الذي جداً به يبشر تعاليمه، وأول منطقة أعلنت البوذية ديانة لها في الهند وتعرف بودا جايا، والمكان الأخير مرقد بودا.

<sup>(١)</sup> – حميد (فوزي محمد): عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، دار حظن، دمشق، ط١، 1993م، ص 193، 200.  
الموسى، المرجع السابق، ص 39.

## - المزدكية:

تُنسب المزدكية إلى مزدك الذي ظهر أيام قياد الأول مطلع القرن السادس الهيلادي<sup>(1)</sup>. وقال يوجد مبدئين أو أصلين للكون: هما الظلمة والنور. وقد هي مزدك عن المعالفة والبغض والتسلّل، ولأن أكثر أسباب ذلك النساء والأموال، أخل النساء ولأيام الأموال، وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار. فكان يقول دائمًا: ((إن الله إنما جعل الأرض في الأرض ليقتسمها العباد بينهم بالتساوي، فمن كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس أولى بها من غيره))<sup>(2)</sup>.

وقامت المزدكية في زمن نشأت فيه مذاهب فكرية عديدة في منطقة الشرق القديم، وأقام ما وحمل إلينا منها عبادة النار وعبادة بعض القوى المجردة، ثم تحضّرت المعتقدات القديمة ذات المصادر المخلقة عن الديانة المزدكية التي انتشرت في إيران أوسع انتشاراً وانتهت بالكتوبين والأصلين.

واعتقدت كالزرادشتية أن الإله «مزدا» ومعناه العقل (الذكاء) وهو الإله الحكيم العاقل الذي يرز من بين الآفه المتعدين وهيمن عليهم قد اندمج بالإله «أهورا» إله القوة العاقلة وكونا إلهاً واحداً هو «أهورا مزدا» فصار الإله الأول، ثم يربّنوا إله آخر أسمته «أهريمان» وجعلته إله قوى الشر الموجودة في العالم، فالإله العاقل الحكيم لا يصدر عنه إلا الخير، يقول مزدك إن النور «أهورا مزدا» يفعل بالتصد والاختبار وهو عالم حساس، والظلمة «أهريمان» يفعل على الخط والإتفاق فهو جاهل أعمى.

ترى الثورة مزدك الذي ادعى أنه جاء ليصلح مذهب ماني الذي أفسدته بعض التفسيرات التي ألحقت به في أعقاب موت ماني، ولا يعرف على وجه الدقة مني شعرت

<sup>1</sup> - المقدس (المظفر بن طاهر): البد، والتاريخ، باريس، 1903م، ج 3، ص 167.

<sup>2</sup> - وجدي (محمد فريد): دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1979م، ج 8، ص 453 - ص 454.

هذه الدعوة يغوها وقدرها على مواجهة الأوضاع في الدولة الأساسية، ومن تنصيب رئيس محل لقب أندراز المنشقة من كلمة أندراز كر معنى المعلم أو المشير، كما لا يعرف مني ممكناً مزدك من مقاومة قباد الملك الأساسي وما هي الطريقة التي يمكن من خلالها مزدك من إيقاع الملك باعتناق مذهبية وجعله يوافق على كل التغيرات القانونية لتنفيذ مبادئ المزدكية وخاصة المشاعية في التسلك، وبجهول أيضاً ذلك السبب الذي يجعل من قباد يوافق على مثل تلك المبادئ، التي ساعدت الجموع الكثيرة من القراء على سرقة بيوت الأشراف ومتارعهم ونهب أموالهم واغتصاب الثبات الحراس، والإضرار بالاقتصاد كقطع الأشجار، وحرق المحاصيل<sup>١</sup>.

وقد لاقت المزدكية انتشاراً كبيراً في إيران وأذربيجان وأسية الوسطى، خاصة أنها روجت للانتصار الحتمي للنور على الظلمة والنجاة على الشر، وأعلن أن العدالة الاجتماعية ستنتصر على الظلم والتغلوب الطبيعي ولتحقيق ذلك دعا لاستخدام العنف والقصوة للقضاء لو لإلغاء التفاوت الطبيعي الاجتماعي وجعل الملكية عامة يتسع لها الناس على السواء، فقد كان مزدك يعتقد بأن الله أودع طرق المعيشة (الأرزاق) في الأرض كي يتقاسمها الناس بالتساوي بحيث لا يأخذ أي شخص أكثر من نصبيه، ولكن الأقوياء ظلموا الضعفاء، واستأثروا بجميع الثروات والأموال، وعلى هنا فمن الضروري أن يعيد الأغنياء حصة الفقراء، لأن حق أي شخص لا تزيد ثروته على ثروة الآخرين ومعطائهم ونسائهم.

كانت الأوساط الفقيرة أكثر هشاشة المجتمع تأثيراً بأدكار المزدكية، فانقضت وانسحبت على أملاك الأغنياء، وطردوا الإقطاعيين، وعمت الفوضى والاضطرابات البلاد كالفires، واستبيحت أعراض النساء وأموال الأغنياء وغير الأغنياء، وتزعزع الاستقرار

<sup>1</sup> - العابد، معلم تاريخ الدولة الأساسية، ص 140 - 143.

الاجتماعي، خاصةً أمّا نايلد قباد الأول لها، ولكن بعد بُحاج غير طویل فمعت المزدکية وتَكَلَّ باتباعها بوحشية بالغة.

ويعود الفضل في تحقیق ذلك إلى كسرى أنوشروان الذي أعد كمباً محكمًا لکبار المزدکيين خلال مناظرة دعا إليها والده قباد لحل الخلاف المتفاقم بين أنصار الزرادشتية وأنصار المزدکية فتعاون كسرى مع رجال الدين الزرادشتی للخلاص من مزدک، حيث تمكّن جنود كسرى من قتل عدّد كبير من المزدکيين من قبضتهم مزدک نفسه خلال حضورهم المناظرة التي دعا لها قباد.

ولا نعرف فيما إذا كان قباد قد وافق ولده كسرى على تنفيذ مثل ذلك الكمين أم أن كسرى تجاهل موقف أبيه وأعد الكمين بنفسه، خاصةً أن الكمين تقدّم في أعقاب ترأس قباد للمناظرة، كما لا نعرف كيف أخّر قباد إلى جانب ولده وأمر باستباحة دماء المزدکيين في كل أرجاء البلاد ومصادرة أملاكهم، وحرق معايازهم<sup>(2)</sup>.

وبالقضاء على المزدکيين ومطاردتهم زالت بشكل كامل الآثار والوثائق المكتوبة المتعلقة بهذه الجماعة، ولذلك فإن المعلومات حول هذه الديانة محدودة للغاية ومقتصرة على بعض إشارات باللغة السريانية، واليونانية ، والبهلوية، والمفارسية والعربية، ويدرك أن مزدک كتاب مفقود، وأنه كسان موجوداً ترجمة ابن المقفع للعربية.

#### - اليهودية:

تعرض اليهود في ظل الساستين لمضايقات شديدة من رجال الدين والملوك. فقد كان رجال الدين شديدـيـ التـعـصـبـ، وـكانـ تعـصـبـهـمـ لـأسـبـابـ سـيـاسـيـةـ؛ خـاصـةـ وـأـفـحـمـ اـدعـواـ السـيـادـةـ المـطلـقةـ دائـرـ حـدـودـ الدـولـةـ وـلـاـ يـطـمـثـونـ كـثـيرـاـ إـلـىـ مـنـ يـدـيـونـ بـدـينـ آخـرـ.

<sup>1</sup> - العايد، معالم تاريخ الدولة الساسانية، ص 143.

لقي عهد قيادة الأول (488 - 531م)، ألقوا في السجن بعض رجال الدين عام 521م، الذين حُكمُ عليهم بالقتل، وفي عهد الملك هرمز الرابع الذي خلف كسرى أنوشروان على العرش سنة 579م، ساءت أحوال اليهود نظراً لوفولهم إلى جانب القائد هiram جويين، الذي فاد مؤامرة ضد الملك.

كذلك ثار اليهود في صور، وأرسلوا إلى بين ملتهم في فرص ودمشق والقدس، بمحض وفم على التوارة، مخاتلة غزو الساسانيين لسوريا، وحينما صوّت الساسانيون كثيراً من سكان البلاد النصارى، مادر اليهود إلى شوأ عدٍ كبير منهم يتراوح عددهم بين 80,000 - 90,000 ألفاً وذبحوه، حيث مثل في هذا الحادث عملية انتقامية بالغة القسوة ضد النصارى . كما أشعلوا النار في جميع كنائس النصارى في أورشليم وكنيسة القيامة. مما يدل على اضطهادهم في بيزنطة أيضاً، وبذكر أنَّ رغبة اليهود في الانتقام لأنفسهم، ربما ترجع إلى اضطهاد الذي لحق بهم على يد بيزنطة أجياداً.

#### - المسيحية:

المسيحية دين أنزل على يسوع المسيح، وأطلق على أنصاره اسم المسيحيين. ومنذ عسام 15م بدأت المسيحية تنتشر في روما، وعلى مدى 250 عاماً عاشت الكنيسة في اضطهاد دائم، واستشهد العديد من المسيحيين بسبب رفضهم تالية الإمبراطور البيزنطي، ولم يحصلوا على حرية في ممارسة شعائرهم إلا في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول، الذي أصدر مرسوم ميلان 313م أطلق فيه حرية المعتقد الدينى للمسيحيين.

و ترافق انتشار المسيحية ضمن الأراضي الإيرانية مع الجهود التبشيرية للمسيحيين في المناطق الأخرى من العالم<sup>(1)</sup>. فاليسوعية، مثلها مثل آية ديانة

<sup>1</sup> - رسم (أسد): الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقائهم وصلاتهم بالعرب، دار المكتوف، بيروت، ط١، 1955م ، ج 2، ص 54. مظہر، المراجع السابق، ص 399.

1989, pp 163—Brown, P, The World of Late Antiquity, London, 1971—rep  
165.

جديدة، احتاجت إلى مدة طوالة لخلق هويتها الخاصة، وتحدد من تأثير التقاليد الدينية الأخرى ونقدم قضاياها الضرورية لتعريفها المستقل الخاص.

ولم يعامل الدين الجديد من قبل الإمبراطورية الرومانية أو الفرس، كدين مستقل جديد، ولم تتمتع المسيحية في مرحلتها الأولى بصلاحية تأسيس قوة دينية كطائفة جديدة ضمن مجتمع جديد، وكان الوضع الاجتماعي للمسيحيين في الإمبراطورية الرومانية سيئاً، بينما كان وضعهم مختلفاً في فارس.

وتدرك المعلومات عن انتشار المسيحية بين السكان الإلزاميين في القرون الأولى. وكان على المسيحي أن تراعي أماكن انتشارها، يدفعها إلى ذلك الموقف الروماني الرافض لانتشارها بين الرومان، والطبيعة الجغرافية والسياسية لفارس، حيث تعمت بعض المناطق باستقلال شبه كامل، ناهيك عن عدم تدخل الملوك الفرس في الشؤون الدينية.

لكن ذلك لا يعني قتل المسيحيين بحرية واحترام كرامتهم، وتشهد مثلاً على ذلك المذبحة الرهيبة التي قام بها قياد الأول عند استيلائه على آمد نحو عام 520م، إذ لم يعُد إلا عن أربعين شهيداً، توسط لهم ملك الأرمن، وقد أحصوا جثث القتلى فكان نحواً من ثمانين ألفاً، معروف عن آمد أنها تغص باليسريين، هذا بالإضافة إلى أن قياد الأول لم يتمان عن سجن الأساقفة البعلوبسين<sup>(1)</sup>.

Trimingham J Spencer, Christianity Among the Arabs on Pre-Islamic –<sup>1</sup>  
Times – First Published, Longman, London, New York, 1979 .P169.

مع وصول كسرى أنوشروان للحكم توسع الكنيسة المسيحية في إسرائيل، وعميل على تنظيمها، ولكن هذا لا يعني أن زمن الاضطهاد قد انتهى<sup>(1)</sup>، فنهاهوا قد قتل العديد من سكان مدينة سوريا، وبعد حدث أستقينها واستيلائه على أموالها بضم النازار فيها في ربيع عام 540 م<sup>(2)</sup>. ولم يتنه عند هذا الحد، فقد هاجم الرها عام 44 م وحاصرها لكنه فشل أمام أسوارها، فرفع حصاره مقابل مليل<sup>(3)</sup>. كل هذه الأحداث دفعت بالبيزنطيين أن يشتغلوا ضمان الخروج للمسيحيين عند توقيع معاهدة السلام مع الساسانيين عام 562 م، حيث أعاد كسرى أنوشروان تنظيم الكنيسة اليعقوبية من جديد.

الجيش:

#### - أقسام الجيش:

قسم الجيش إلى عدة أقسام اختص كل قسم منه بجانب محدد خلال القتال وال الحرب، وكان لهذا التنظيم والتسلق أثر كبير في حسم نتيجة المعركة غالباً نصائحهم، كما ساعد ذلك على تحضير الفرضي والأضطرابات، وبالتالي التقليل من خدمة القتلى خلال الأحداث الطارئة التي تدفعهم للانسحاب.

<sup>1</sup> - مار ميخائيل الكبير: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمة مار غريغوريوس صليبا شمعون، إعداد وتقديم مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، ط1، حلب، 1996 م، ج 2، ص 192.

<sup>2</sup> - أناسيوس (متري هاجي): سوريا المسيحية في الألف الأول الميلادي، دمشق، ط1، 1997 م، ج 1، ص 219، الشاعر (محمد فتحي): السياسة الشرطية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي (عصر جوستيان)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989 م، ص 199.

John - op. cit. - Volc 1 - P141.

<sup>3</sup> - يوسف (عبد العادر): الدولة البيزنطية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1966 م، ص 64.

### - الفرسان:

شكل الفرسان (الأسورة) القسم الرئيسي من الجيش وكانوا على عدة أقسام تفاوت حسب أهميتها ودورها في المعركة، كما تفاوت حسب جمعها وتذريبها وجنسيتها والجهة التابعة لها.  
أ- الفرسان الحالدون (الأسورة الحالدون): وهم فرقة من الفرسان المغاربة تتكون من عشرة آلاف فارس، يحمل رئيسهم لقب (ورهنيكان خواذاي) Varhranighan Khvadhay

ب- الفرسان المنطعون (الأسورة المنطعون): وهم الذين يعلّمون ويجهّزونهم كلوك التابعون للملك للخدمة، ونرى بينهم من جميع الطوائف القاطنة في الأراضي التي تُمْدُدُ عليها السلطة الفرنسية.  
ج- - الفرسان الفدائيون (الأسورة الفدائيون) (جان أو مسار Agan Auspar): وهم عبارة عن جنود مأجورين امتازوا بالجرأة وتحدي الموت<sup>(1)</sup>.

### - الفيلة والجمال:

شلت الفيلة مكاناً لها خلف الفرسان، وكان صورتها ومنظرها وراحتها بدأ الذعر في خيل العدو، وراكبها الفيلة يحملون بأيديهم البسي سكاكين طويلة المقابض، ليتمكنوا من قتل القاتل إذا ذُعر وسيط اضطراب صفوفهم، كما كانت الفيلة عبارة عن قوات احتياطية، إذ وضعوا عليها أثراجاً مليئة بالخواربين.

<sup>1</sup> - برونيا، المرجع السابق، ص 299. بريست، المرجع السابق، ص 142. كريستنس، المرجع السابق، ص 198.

كيم شمن، المرجع السابق، ص 377.

بالإضافة إلى ذلك كان الجمل، الحيوان الذي يمكن أن يتحمل نقل المخاب ودرعه، وساعد ارتفاعه على الرمي وإصابة الهدف، وإعاقة أهداف العدو، ناهيك عن القدرة الكبيرة للحمل على التحمل.

#### - المشاة:

تألفت مؤخرة الجيش من المشاة (بايكان)، ويقودهم رؤساؤهم الذين يسمى الواحد منهم (بايكان سالار). وكانتوا من أهل القرى. ويتحدون جنداً لحفظ النظام ويشاركون في الحرب دون تشجيع من أحدٍ ودون وعد بالكافأة.

تعد مشاركة هؤلاء إيجارية دفعهم إليها قادتهم الاتصاليون لخدمة الملك والبلد، فإذا كان النصر أشد الاتصال على المكافأة والثاء، وإذا كان الموت فلا أهمية لهم ولنداء عائلاتهم.

وكانت أسلحتهم خفيفة، منهم مسلح بذروع مستطيلة ومقوسة من الخيزران الشاشات المغطى بجلد، ومنهم بدون ذروع. إلا أن مهاراتهم القتالية يشكل عاماً كانت قليلة وغير فعالة<sup>(1)</sup>. ولم يكن لهم أهمية تذكر، إذ كانوا يجمعونهم من القرىين ويعطوهم الأسلحة والتروس ويرسلوهم للحرب، وفي معظم الأحيان لم تدفع لهم مرتبات. كما أنهم استُخدموا في تادية الأعمال البعيدة عن صفووف الجنود المقاتلين، كفرق متحركة بالجيش، تعمل على توفير مستلزماته كحر الأسلحة وتوفير المؤن والطعام، والعناية بالجرحى وما شابه ذلك، وكانوا أكثر راحة من سولهم وأكثر أمناً.

وكان لدى الفرس فرق من المشاة ولكن انحصرت مهمتهم في تقديم الغذاء والعلاج للمصابين، وتلبية خدمات سلاح الفرسان، وحماية وحراسة المعسكر المنكبي. كما أن الحرب في المناطق الجبلية والوعرة من المهام التي أوكلت إلى المشاة، حيث

<sup>1</sup> - كريستنسن، المرجع السابق، ص 198 - من 199. كغيره من، المرجع السابق، ص 377.

تصعب حركة الفرسان، وتقل أهمية مشاركتهم، كما كان لهم مهام أخرى، في المناوشات السهلية، ومن المرجح أن المنشاة شكلوا ركناً أساسياً في الجيش ، وإن قتلت المصادر التاريخية المنسوبة من أهمية هؤلاء<sup>(1)</sup>.

#### - الفرق المساعدة:

بالإضافة للمنشاة فقد كان هناك فرقاً مرادفة أو مساعدة، تكونت من الشعوب المجاورة التي تسكن أطراف الدولة، وكان هؤلاء أكثر مهارة واقتانة لفنون القتال من المنشاة، ربما لأهم حكموا من قبل أمراء محليين، وكان الجنود الآرمن من أفضل الفرق الديفنة، وحظوا بمكانة خاصة لدى ملوك آن ساسان، وربما كانت بعض هذه الشعوب مستقلة استقلالاً تاماً ولكنها كانت فرقاً من الجنود للخدمة مقابل المال كفرقة المخون.

#### - تنظيم الجيش:

كان الجيش وقادته خلال الفرون الثلاثة الأولى من العهد السادس، يهدِّ القائد العام، الذي كان منصبه وراثياً ينوضع لأحد أفراد العائلة الملكية، الذي يضع تحت أمره اثنين من أصحاب المناصب العليا لتتقيد أوامره: الأول لتنظيم أمور العسكرية، والثاني لقيادة الفرسان، وهذه المنصبانب أيضاً كانوا مفروضين لأفراد العائلة الملكية<sup>(2)</sup>.

ومع وصول كسرى أنوشروان للملك تغير نطْنَطْ تعليم الجيش، وهدف تماماً تكون القيادة يهدِّ شخص واحد؛ وقسم قيادة العسكرية إلى أربعة أقسام: قائد لشمال البلاد، وشأن لشرقيها، وثالث لجنوبيها، ورابع لغربيها، وكانت الغاية من ذلك منع تمركز كلِّ الفرق العسكرية بيد شخص واحد مما يشكل خطراً على الدولة.

<sup>1</sup> - بيرنياه المرجع السابق، ص 300. كريستنسن، المرجع السابق، ص 199.

<sup>2</sup> - كريستنسن، المرجع السابق، ص 198.

حملت أكبر الفرق العسكرية اسم كند وسي قائدتها كندصالار، والفرق الأصغر هي فرقة درلش، أما أصغر الفرق العسكرية فهي فرقة وشت Vasht، وكان لكل فرقة رايتها التي تميزها من غيرها من الفرق.

في المعارك الكبيرة التي كان يديرها الملك، كان يحمل عرش كبير يوضع وسط الجيش، ويائض حول العرشي خدام الملك وحاشيته وفرقة من الجندي، كان عليها أن تدافع عنه حتى الموت. وقد رفعت الأعلام في أرجان العرش، وخلف هذه الأعلام يقف حرس من الرماة والراجلين. وفي حال غياب الملك عن المعركة، يتول قائداً الجيش إدارة المعركة في مجلس على العرش ويتبع تفاصيل الأحداث، ولجدير بالذكر أن معايد نار متقدلة توضع في خيمة خاصة، ذلك أن الملك لا يحارب مطلقاً دون أن يصحبه رجال الدين وصوات الناري.

وبالانتقال لنزول الحاصرة فقد توسيع كثيراً في العهد السياسي، وزادت الحيلة والمهارة في استخدامها. إذ نعلم السياسيون فمن الاستيلاء على القلاع من البيزنطيين، فاستخدمو آلات الهدم والمحجنة والأبراج المترفة و مختلفة آلات الحصار القديمة.

بالإضافة لذلك تعلموا طريقة فك الحصار عن أنفسهم، وعطي آليات عدوهم، وذلك برمي معدات الهدم في المكامن، أو صب الرصاص المصهور والمواد المائية عليها. وفي حال توغل العدو في أراضيهم، كان السياسيون يحرقون الحقول ليحولوا دون تموين الجيش ويفتحون السدود فيعيقون ققدم العدو.

### - الحيوان الفنية:

تعكس الفنون الذوق الرفيع الذي تُمتع به كلّ شعبٍ من الشعوب، وتكمّن أهمية دراسة الفنون في كونها تلقي ضوءاً واضحاً على مختلف جوانب الحياة الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية، فمثلاً تشبيه المبنى الضخم كالقصور والفلائع يدل على الازدهار والرخاء الاقتصادي، كما يدل على الاستقرار الاجتماعي. من هنا شغلت دراسة الفنون المختلفة للدولة الأساسية حيزاً مهماً من العمل.

### - فن العمارة:

تعد الأبنية من أهم المعالم المدنية الأخرى التي تدل على رقيِّ أو تخلفِ وتراثِ الحضارة، وتُصنَع غالباً من موادٍ غير قابلة للتلف و مقاومة لعوامل التعرية الجوية، ناهيك عن إمكانية تدمير رقيِّ حضارة ما نتيجة لما تعرض له من كوارث كالكوارث البيئية أو الحروب.

ترك الساسانيون شواهدَ معماريةَ كثيرةً توضح لنا أسلوبَ العمارةِ وطرازَ وعظمتها، وعلقَ اعتبار أن الساسانيين لم يقطنوا في إيران نفسها بل في واديَّ دجلة والفرات، فيلاحظُ تفاعلُ حضاري في نماذجِ العمارةِ، وفي خلفياتِ العمارةِ التي يغلبُ عليها القصور.

أقيمت الأبنية على خطوطٍ واحدةٍ ومتنهيَ البساطةِ والسهولة<sup>(٣)</sup>، يعكسها لنا الوصفُ التالي لشاليه معماريٍّ من القصور يعود للملك كسرى أنوشروان، وهو قصر طاق البيستان ونقوشُه.

<sup>(٣)</sup> - ماريكس، المرجع السابق، ج ١، ص ٦٤٦ - ٦٤٧

## - قصر طاق البستان (قصر كسرى أنوشروان):

تقع بقايا القصر على الطريق بين بغداد وكرمنشاه، وتشغل مساحة تقارب 400x300م. تشمل الإيوان وبقايا بناء شرقي وتلاً في جنوبه يسمى (حريم كسرى)، وفي شماله حرائب تحفها مقبرةٌ حديثة. والإيوان هو الجزء الوحيد من هذه المجموعة الذي بقيت منه حرابٌ هامة، يتجه البناء نحو الشرق ويرتفع إلى نحو 29م، ويكونواجهته من حدار بدون نوافذ، ولكن تزييه الطاقات وأشكال الأعمدة المقوسة عليه يشكل بارزاً. بالإضافة إلى العقود الحجرية المصنوعة على أربع طبقات. تُشرف وسط هذه الواجهة القبة البيضاوية المائلة التي تغطي بهو الاستقبال، وخلف كل مسن جناحي الواجهة خمسة أبواب أقل ارتفاعاً، تعلوها قباب مستديرة يسدلها من الخارج حدار مرتفع<sup>(1)</sup>، ويقع خلف الحدار وهو مربع في الوسط وعلى كل الجانبين حجرتان أصغر حجماً، وقد بنيت الجدران والقباب جميعاً من اللبن<sup>(2)</sup>.

أما الإيوان فهو عبارة عن بناء بسيط ينبع من الحصن والأخر، بناء كسرى أنوشروان عام 550م<sup>(3)</sup>، وكانت أبعاد قبة بين 14,80 - 25,56 م وارتفاعها حوالي 32,5م<sup>(4)</sup>. وقد غطت جدران الإيوان لوحات فسيفسائية من بينها تلك التي تمثل حصار أنطاكية، والمعارك التي دارت حولها، إذ نرى كسرى أنوشروان يملابس

<sup>1</sup> - ساينكس، المراجع السابق، ج 1، ص 647.

<sup>2</sup> - Encyclopedia Of World Art – Printed In Italy – McGraw Revised Printing – Hill Book Company – London – 1972, PP709–710.

<sup>3</sup> - بيرنارد، المراجع السابق، ص 383.

<sup>4</sup> - كنسى (عنيف): موسوعة تاريخ الفن والعمارة، الفنون المدنية، دار الزايد للعربي، لبنان، ط 1، 1982، ج 1، ص 168 – ص 169.

حضراءً متطيأً صهوة جوادٍ أصفرٍ ويستعرضُ صفوّاً من الجند الساسانيين والبيزنطيين<sup>(١)</sup>.

#### - فنُ الزخرفة والرسم:

اهتمَّ الساسانيون بالزخرفة الملونة اهتماماً كبيراً، فقد كانت تُعطي الواجهات العلنية للأبرية، وشغلَ تزيين الحشرون مكانة هامةٍ من فنونهم<sup>(٢)</sup>، وقد تلقى المزوقُ الفنِّ أولَ ما تلقَّى في البلاط الملكي، فظهرتْ لوانٌ حبليّة وأطباقيّة وكروسيّة، ودوارقٌ وأباريقٌ، بالإضافة إلى طاساتٍ كانت أجراؤها المختلفة تصنعُ كُلُّ منها على حدةٍ وتُطلَّى بالذهب، ثم تُجمَعُ ويضمُ بعضها إلى بعضٍ، وقد زينتَ مختلفَ الموضوعات.

بعد تنويع ذلك وخروجه للصياغة أعمّ الموضوعات التي استحوذت على فكر الفنان الساساني، فترى على طبق من القضية المذهبية كسرى أنوشروان وقد اطلق بمحواه، مسماً بالسمم في يده، منعقاً بالحيوانات البرية<sup>(٣)</sup>. ويبدو أنَّ اهتمامَ الفنانين الساسانيين بهذه الموضوعات يدلُّ على عدمِ الفنِّ للبلاط الساسيَّ أكثرَ من أيِّ شيءٍ آخرٍ، كما ندلُّ على عدمِ استقلالِه، ومعالجته موضوعاتٍ مختلفةٍ أكثرَ فُرِباً للأوضاعِ السائدةِ سواءً الاقتصادية أو الاجتماعية.

إضافةً إلى تلك الموضوعات شاعَ في هذه الحقبة نقشُ لوحاتٍ للحيوانات، كذلك التي ترمزُ للآلهةِ وخاصةً آلهةِ الخير كالطاووس والكبش. كما صنع الفنانون بعضَ الكروسيّ على هيئةِ رؤوسِ الحيوانات المختلفة، وخاصةً الجياد حيث يكشفُ لنا رأسُ الجواد المنصفي رغبةُ الفنان في تحاكاةِ الواقع.

<sup>١</sup> - كريستنسن، المراجع السابقة، ص 372-381.

<sup>٢</sup> - بختسي، المراجع السابقة، ج ١، ص 169 - ص 170.

<sup>٣</sup> - عكاشه (تُرُوت): الفن التارسي القديم، دار المستقبل، لبنان، ط١، ١٩٨٩، ج ٨، ص 322.

## - فن النحت :

ترك الفنانُ الأساسيُّ دلائلَ كثيرةً على اهتمامه بالتحفِ وبرائحته فيه، فبالإضافةِ للفتوحاتِ التأثريةِ على واجهاتِ القصورِ أو داخلها يجدُ أنَّ الفنانينَ نجحواً متألهُم من الأحجارِ الكريمةِ أو شيءِ الكريمةِ ك أحجارِ اللبستانِ والميشبِ والسيلانِ والعققِ. نجحواً من هذه الأحجارِ تمايلًا للألةِ وحيواناتٍ مختلفةٍ. ومن أجملِ متألهُم الصغيرةً ذلك الحظيرُ الوحشيُّ الصغيرُ المصنوعُ من الذهبِ، والذي أصيَّقَ على كتفه نقشٌ يمثلُأسدًا يقتضُ على فريسته، كما أصيَّقَ على قعده نقشٌ آخرٌ يمثلُ جناتينَ متشاردينَ يحيطانُ هلالاً تعلوهُ نجمةٌ<sup>(1)</sup>.

## - الموسيقى:

عرفَ الساسانيون الموسيقى التي ازدهرت كثيراً مع رقيِّ البلاطِ الأساسيِّ، خاصةً على عهدِ الـلوركِ الذين حملوا لقبَ كسرى. وكان العودُ من أفضلِ الآلاتِ لديهم، كما ثبتَ لها تقسيمٌ طلاقِ البستانِ. وقد وصلَ عددُ الآلاتِ الموسيقيةِ المعروفةِ زمنَ كسرى أنوشروان، إلى حوالي ثلاثينَ اللهُ منها العودُ والناديُ والمزمارُ وغيرها<sup>(2)</sup>.

ويحتفظُ التاريخُ الأساسيُّ بذكرِ اثنينِ من موسيقيي القرنِ السادسِ، وهما صركش وباريده، فقد كان الأولُ مطربَ كسرى أبوريز، ويحاولُ من الثاني من الوصولِ لكسرى أبوريز - حسداً وغيره - ولكنَّ باريده فازَ بثقةِ كسرى أبوريز وألفَ ما يزيدُ عن ثلاثينَ لحنًا<sup>(3)</sup>. لحنٌ واحدٌ لكلِّ يومٍ من أيامِ الشهرِ البرادعيِّ، ونسمةً بمجموعةِ أغانيٍ كانتْ

<sup>1</sup> - عكاشة، المرجع السابق، ج 8، ص 323.

<sup>2</sup> - الشاب، المرجع السابق، ص 67.

<sup>3</sup> - الفردوسي، المصدرُ السابق، ج 2، ص 242.

موضوعاتها تدور حول أحداث الأساطير الإيرانية، وألحانٌ أخرى تتناول أحداثاً معاصرةً لهم، وخاصّةً ذلك التي تغنى بالملوك والبلاط<sup>(1)</sup>.

كان المؤسقيون يرافقون الملك في رحلات الصيد أو الحرب، هنا ما تمحّلنا منه معرفة لوحية تمثّل نسوة يهفلن للملك، الذي يصطاد الخازير، وأخرى تصوّر لها عدة نسوة يعزّفن على الفيغارا. صنع الفنان المساساني أدواته الموسيقية العبدية بيده، وخاصّةً التي تجدها منقوشةً أو مصوّرةً في نقوش الصيد على جدران طاق البستان، كالفيغارا والمرمار وغيرها. في حين رسم العود والنادي على الأولى القضية، فتجد على طبق من الفضة نقشاً لصورة راقصة وسط ثلاث نسوة يعزّفن على الآلات الموسيقية.

#### - الحياة الاقتصادية:

يشكّل الاقتصاد العصب الأساسي لكلّ دولة، ويكون يقاومها وإذدهارها، وحسّ توسيعها مرهوناً بقدرها الاقتصادية، فعندما تتوافر المقدرات الاقتصادية تتوافر المقدرات الأخرى من عسكريّة وسياسيّة، كما يزداد التماسُك والاستقرار الاجتماعي.

المعلومات المتوافرة عن المجال الاقتصادي في هذه الحقبة شحيحة جداً، ولا تلقي ضوءاً واضحاً على الأرضاع أو الوسائل، ولا حتى على المزروعات التي كانت سائدة، كما يكتنف الموضوع الكثير من جوانب العلاقات الزراعية سواء علاقة صاحب الأرض مع من يعمّل بها، أم نظام الضرائب وما شابه ذلك من أمور.

لذلك اعتمدت المعلومات الواردة بعض الاستقراءات التي تدلّ عليها الأحداث، أو المشكلات التي عانى منها الاقتصاد المساساني وأسلوب الدولة في

<sup>1</sup> - عكاشة، المراجع السابقة، ج 8، ص 346.

معاجتها، وتفق مثلاً على ذلك ثورة مزدك التي استحصل فيما بعد، فهي تدل على عبء  
الضرائب بما يدل على وجود ضرائب.  
- الزراعة:

لأشك أن الزراعة تشكل أحد أهم أركان الاقتصاد السياسي، خاصة إذا علمنا مقدار المساحة  
التي تسيطر عليها الدولة السياسية، والتي تحوي على مساحات شاسعة صالحة لزراعة، من سهول  
وأنهار وبحيرات ومناخ ملائم لها على اختلاف أشكالها، وما يعكس أهمية الزراعة، ذلك الأسلوب  
الذي اتباه ملوك آل ساسان في معاملتهم للأسرى البيزنطيين خلال صراعهم الحافل مع بيزنطة، ذلك  
أئم كانوا يوطّنون أسرابهم في مناطق لاستصلاح الأرضي ثبور أولاً، ولتنظيم سقاية الأرض المروية  
من خلال استخدامهم في إنشاء السدود، وحفر الأفقي، وبناء الجسور ثانياً<sup>1</sup>.

#### - أهم المزروعات، وملكية الأرض.

ازدادت الحصولات الزراعية في القرن السادس الميلادي، وتم إدخال زراعات جديدة كزراوة  
شجرة التوت وتربية دودة القرز، كما وجدت أملاك زراعية كبيرة طبق فيها نقطُ الزراعة الفلاح.  
بالإضافة لذلك كانت الحرية الاقتصادية في الأعمال الزراعية محدودة نسبياً، والأملاك  
الشخصية مخصوصة وغير قابلة للترسيع، وبالرغم من ازدهار الحياة الاقتصادية، فقد مساعت أحوال وجاهة  
القرويين أو الفلاحين، وذلك بسبب فقدانهم استقلالهم تدريجياً أمام حرمانهم من التعليم، واضطهادهم  
على يد عمال الملك، أو الأشراف أو

<sup>1</sup> - سايكوس، المرجع السابق، ج 1، ص 636. كريستنس، المرجع السابق، ص 115.

الملوك الصغار التابعين ملك الملوك، والذين تعود إليهم ملکة الأرض التي يعمل عليها الفلاح<sup>(١)</sup>.

أما سبب الخسار الملكية الفردية، فيعود إلى نظام الضرائب الجائر الذي كان قائماً، وإلى نفوذ كبار الملاكين الذين أرادوا توسيع بفضل دعم الملك لهم، فشكلوا ضغطاً كبيراً على صغار الملاكين، الذين اضطروا لرفع الحيف عنهم أن يضعوا أنفسهم تحت حماية الملاك الكبار؛ ليحموهم من تعسف جهة الضرائب، وهكذا أصبحت الدولة دولة إقطاعيين<sup>(٢)</sup>.

إن ثورة مزدك مثالٌ واقعيٌ لا يحتاج إلى برهان ضد جور نظام الضرائب، وما يقتربه من ظلم وقصوة خلال عملية الجباية، كما أنها ردة فعل قاسية على الانقسام الطبقي الذي يعاني منه المجتمع السياسي. لهذا لا بد من تناولُ الثورة المزدكية بشيءٍ من التفصيل.

#### - ثورة مزدك.

كان على قباد الأول أن يختار بين الأكابر الذين تزداد قوتهم، وبين الشعب الذي يحيل إلى الدعوة المزدكية، ويطلب بغيرات جذرية تحمل على تحسين أوضاع المغرومين في المجتمع. وقد وجد قباد الأول أنه من الحكمة الوقوف إلى جانب الشعب، لتأييد الحركة المزدكية بل لتفليس نفوذ الأشراف وأصحاب قوتهم.

<sup>١</sup> - غيرهن، المرجع السابق، ص 411.

<sup>٢</sup> - غيرهن، المرجع السابق، ص 411. النجار (سعيد): تاريخ الفكر الاقتصادي، دار انتفاضة العربية، بيروت، 1973م، ص 19.

كانت ثورة مزدك ردة فعل عنيفة ضد الإقطاعيين من قبل العبيد وال فلاحين، الذين أصبحوا نصف عبيد وكذلك النساء الذين كانوا أحراراً في الماضي، في المدن وأهل الفلاح (١).

تمكن مزدك من تحقيق نصرة جاهابية كبيرة، ساعده على ذلك ما دعا إليه من مساواة وضرورة تقسيم الثروة بين أفراد المجتمع بالتساوي: (( يجب أن تعطى ثروة الغني للفقير)). مثل هذه الأفكار وغيرها تمكن مزدك من السيطرة على أفراد الشعب الذي منه يرجعون كثيرة، كما ساعده أيضاً التقسيم الطيفي في المجتمع السياسي، وعدم إمكانية الانتقال من طبقه إلى أعلى<sup>(2)</sup>.

أيدَ قيادُ الأولَ هذه الحركة فاسناء رجال الدين والإقطاعيون الذين تمكّنوا من خلعه، وحيثُ  
وحاكمته وتنصيب أخيه مكانة، لكنه تمكّن من الهرب بمساعدة أخيه، وهرب إلى مخاقين الترك السني  
زوده بجيشه مساعدة على استعادة عرشه<sup>(3)</sup>.

ازدادت طبقة الثورة وزادت الضطيرات بسبها، وبذا مزبدوها بالاستيلاء على أملاك التجار، وهي النساء، ومحجز الأراضي الزراعية. في البداية عمل قيادة الأول على التعامل مع زعمائها ملدوءة، خاصة أن هؤلاء ازدادوا قوة بانضمام بعض الأشراف إليهم، الذين غيروا دينهم وأصبحوا ماركين<sup>(٤)</sup>. عارض المذكوبون رغبة قيادة الأول في تولية ابنه كسرى أنوشروان الحكم، فوقع الأمر في فلبه، وقرر الابتعاد عنهم، وبذا يفكر بالقضاء عليهم، فعقد مجلس مناظرة

<sup>١</sup> - گیور شن، المترجم السایق، ص 362.

<sup>2</sup> - غير شحن، المترجم السادس، ص 361 - ص 362.

<sup>3</sup> ... دلش بروه، المصدر السادس، ص 395 - ص 396، الفردوس، المصدر السادس، ج 2، ص 117... John -

History Of Persia – Vol 1-PP 133 -134

<sup>4</sup> - كمال شعبان، المرجع السابق، ص. 363.

حضره كهنة زرادشتيون و مسيحيون يبتوا فيه زيف مبادئ مزدك، و حرمونها، كما أحرقوها كتبه وأستولوا على أملاكه وأملاك مؤيديه وثرواتهم، لكن النهاية الحقيقة لتمذكية كانت على يد كسرى أنوشروان الذي ضرب أنعتهم.

قام كسرى أنوشروان برد الأموال إلى أصحابها، وأمر بكل مولود أن يلحق بهن بنسب إليه منهم، وبكل امرأة غلت على نفسها أن يوحذ الغالب لها حق يغنم بغيرها وغير ضي أهلها، ثم تحرر أن تبقى عنده أو تزوج غيره، إلا أن يكون لها زوج سابق ففرده له. وأمر بكل من أضر رجالاً في أهله أو ماله أو ركب أحد مظلمة أن يُؤخذوا منه الحق، ثم يعاقب الظالم بقدر جرمته<sup>(1)</sup>.

#### - نظام الضريبة.

فرضت الدولة على رعاياها ما يسمى الضريبة، وهي قسم من الإنتاج الذي تنتجه الأرض، وتراوحت قيمتها بين العشر والعشر ونصف، وذلك حسب خصوصية الأرضي، وهذه الطريقة لم يُعفَ أحدٌ من الضريبة<sup>(2)</sup>. وإذا أضفتنا للسنوات العجاف إعجاف مأمورى الضرائب في جبايتها، يلاحظ أن ذلك يشكل ضغطاً إضافياً على الفلاحين خاصة، وزاد الأمر سوءاً عدم تمكّن المزارع من الحصول على حصصه من الإنتاج، قبل أن يأخذ الملك حصصه. كل ذلك أدى لعدم اكتثار الفلاح بالعمل أمام عدم زيادة الدخل، وعندما وصل كسرى أنوشروان إلى الحكم لم يمس المشكلة، وعمل

<sup>1</sup> - دانش بزوه، المصدر السابق، ص 303. رضائي (عبد العظيم): «كتاب تاريخ إيران»، انتشارات أطلس، بچاب أول، قرمان، 1378هـ، جلد هفتم، ص 368-369، 566-567. الطبرى، المصدر السابق، ج 1، ص 101-102 . ابن مسکور (أحمد بن محمد): «تجارب الأمم»، تحقيق أبو القاسم إمامي، دار سردار للكتابة وانشـر، طهران، 1987، ج 1، ص 96-97.

<sup>2</sup> - دانش بزوه، المصدر السابق، ص 328. ذكر الفردوسى أن الضريبة كانت قبل عهد خساذ الأول تصل إلى الثالث والرابع. الفردوسى، المصدر السابق، ج 2، ص 123.

على وضع حل مناسب لها، فعمل على إصلاح نظام الضرائب مباشرةً بعد القضاء على المزدكيين ونمرهم.

### - إصلاح نظام الضرائب.

حاذر إصلاح نظام الضرائب على مقدمة الأعمال التي قام بها كسرى أنوشروان بعد اعتلاه العرش الأساسي. فأمر بمحاسن الأرضي كلها وحدد ما يدفع عليها من المال، ثم اعتمد رجاله عرفوا بالتسراحة والاستقامة لتنظيم الضريبة العقارية من جديد. فحدد هذا النظام الضرائب التي تفرض على الأرضي المزروع<sup>(1)</sup> وهي درهم واحد سنوياً عن كل حreib<sup>(2)</sup> من قمح أو شعير، ثانية دراهم سنوياً عن كل حreib من الأعشاب، سبعة دراهم سنوياً عن كل حreib يرسم، خمسة أسداس الدرهم سنوياً عن كل حreib أرز ودرهم واحد عن كل أربع مخلات إيرانية أو ست أرامية أو ست أصوصول من الزيتون<sup>(3)</sup>.

أعفى كسرى أنوشروان كل المحاصيل الأخرى من الضريبة، كما أعفى التخل المفترق الذي لا يكون حقلًا واحداً، بالإضافة إلى هذا التحسن في نظام الضرائب العقارية، عدل كسرى أنوشروان الضريبة الشخصية ففرضها على من يتجاوز عمره بين

<sup>1</sup> - الفردوسي، المصدر السابق، ج 2، ص 123. سايكس، المرجع السابق، ص 636.

<sup>2</sup> - الجreib، يعادل 240 متراً مربعاً. كريستنسن، المرجع السابق، ص 351.

<sup>3</sup> - المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق قاسم الشعاعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط 1، 1989، ج 2، ص 250. ذكر الفردوسي أن هناك درهماً واحداً على كل عشرة أصوصول من الزيتون وليس ستة. الفردوسي، المصدر السابق، ج 2، ص 123. كريستنسن، المرجع السابق، ص 351.

العشرين والخمسين من الرجال، واستثنى منها العظام واللقانين والهراوة والكتاب، ومن كان في  
خدمة الملك<sup>(١)</sup>

وبلغ من تسامح كسرى أنوشروان في جيابته للضرائب أن قسمها إلى ثلاثة أقسام حسب  
شهور السنة، يدفع المواطن كل أربعة أشهر قسماً منها فيتهي العام بنهائهما، وذلك لتقل وطالما على  
ال فلاحين ولنيل من إصحاب جبة الضرائب<sup>(٢)</sup>. كما عمل كسرى أنوشروان على تعين مسوظين  
مهتمهم أن يتحققوا من الأراضي المزروعة وغير المزروعة، وذلك لأجل أن تُعَلَّم الأراضي غير المزروعة  
من الضريبة<sup>(٣)</sup>.

كما ألغى كسرى أنوشروان كل من يأثر زراعة فميه، أو تلقت أشجاره عند جيابه  
الضريبية<sup>(٤)</sup>. ((لَا هَمَّتْ بِتَصْفِحِ لَبِرِ الرَّعْبِ بِنَفْسِيِّ، وَرَفَعَ الْبَلَاءِ وَالظُّلْمِ عَنْهُمْ، وَمَا يَوْمُهُمْ مِنْ ثَقَلٍ  
الْخَرَاجُ ..... فَجَمِعَتْ الْعَمَالَ وَمَنْ يُودِي الْخَرَاجَ، فَرَأَيْتُ مِنْ تَخَلِّطِهِمْ مَا لَمْ أَرَ لَهُ حِيلَةً إِلَّا التَّعْدِيلُ  
وَالْمَقْاطِعَةُ عَلَى بَلْدَةِ بَلْدَةٍ، وَكُورَةِ كُورَةٍ، وَقُرْيَةِ قُرْيَةٍ، وَرَجُلٌ رَجُلٌ، وَاسْتَعْمَلْتُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الثَّقَةِ  
وَالْأَمَانَةِ، وَجَعَلْتُ فِي كُلِّ بَنِيهِ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ أَمْنَاءٍ يَحْفَظُونَ عَلَيْهِ، وَوَلَيْتُ فَاضِي كُلَّ كُورَةِ النَّظَرِ فِي  
أَهْلِ كُورَةٍ، وَأَمْرَتُ أَهْلَ الْخَرَاجِ أَنَّ

<sup>١</sup> - داش بزوره المصدر السابق، ص 330. ابن مسكونيه، المصدر السابق، ج 1، ص 97-100. البغوي (إحمد بن أبي يعقوب): تاريخ البغوي، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ج 1، ص 208. كريستنسن، المرجع السابق، ص 351.

<sup>2</sup> - القردوسي، المصدر السابق، ج 2، ص 123. ابن مسكونيه، المصدر السابق، ج 1، ص 97-100. سابوكس، المرجع السابق، ص 636.

<sup>3</sup> - سابوكس، المرجع السابق، ص 636.

<sup>4</sup> - داش بزوره المصدر السابق، ص 329. ابن مسكونيه، المصدر السابق، ج 1، ص 97-100. كريستنسن، المرجع السابق، ص 352.

برفعوا ما يحتاجون إلى رفعه إليها إلى القاضي، وأن يعطي به البراءة، وأن يرفع خراج من ذلك منهم، ولا يراد الخراج من لم يدرك من الأحداث<sup>(١)</sup>.

وتصور لنا لوحة فنية للكسرى أنوشروان وقد قص لحيته وقتل شاربه، وأضاف لناجه تاجين وذلك بعد الإصلاح المالي والذي لقب بسيبه بالعادل.

بفضل هذه الإصلاحات على نظام الضرائب غدا المزارع حراً بعض الشيء، ويستطيع أن يستفيد من مخصوصه وأن يرسد، لأنه مطمئن على تعهده بما يورره سيعود بالفائدة عليه، ومن هنا تحسنت الأحوال العامة لل耕耘ين، وبدأ اهتمام الفلاحين يتزايد بالأرض وبما تتوجه.

#### - الصناعة

ازدهرت الصناعة إلى جانب الزراعة والتجارة، بفضل الاستقرار الذي ساد البلاد، بالإضافة إلى الرخاء الذي عم كل جوانب الحياة، وزاد من ازدهار الصناعة دخولها في مجال الفتوح، فتحد التقوش الفنية قد طبعت على التسوجات الساسانية<sup>(٢)</sup>.

أنتجت بلاد إيران الذهب، والفضة، والنحاس، والجواهر النادرة، والمواد الثمينة، ونسج صناع إيران نسيج السندين الحريري والأقمشة الصرافية والسجاد وغيرها، إذ كان السجاد البافلي من أهم المواد التي رغبت الصين باستيرادها من إيران<sup>(٣)</sup>.

ومن مساعد على ازدهار الصناعة أنه كان من عادة السياسيين عند استيلائهم على مدينة ما، أن يحملوا معهم مهنة الصناع والحرفيين إلى بلادهم، حيث يسكن مولاء

<sup>١</sup> - ابن سكورة، المصدر السابق، ج 1، ص 102.

<sup>٢</sup> - عكاشه، المرجع السابق، ج 8، ص 321-322.

<sup>٣</sup> - كريستنس، المرجع السابق، ص 115-117.

في مواقع مخصوصة قم، مما ساهم في تطوير بعض الصناعات كصناعة الخزف والزجاج والحرير وغيرها<sup>(2)</sup>.

### - التجارة والنقد.

ازدادت التجارة ازدهاراً في هذه الحقبة بالنسبة للفترة الماضية، وبشكل خاص البصائر غالبة الشمن، والمواد المستخدمة في التجميل، والتي انحصار باستخدامها البلاط الملكي، والأسراف والأغذية، وبالرغم من ذلك فقد حدَّ من ازدياد توسيعها تدخل الدولة فيها، الأمر الذي سبب إشكالات في حرية المبادرات التجارية.

أضف إلى ذلك، احتكرت الدولة تجارة بعض المواد كالمواد باهظة الثمن، التي يمثلها الحرير الصيني<sup>(3)</sup>. وقد حُندَتْ إثبات الساسانيون أصحاب الحرف الذين جلبوهم من سوريا، في ورشات عمل أسهمت في دعم تجارة الخزفيات والصناعات الزجاجية، وهي عن التعريف مهارة الصناع العرب في ذلك. أما ما استورده الساسانيون فيأتي على رأسه العنبر والأدوية المعطرة، والقلفل والورق والأحجار الكريمة.

تعد المنسوجات من أهم الصادرات الساسانية، إذ كانوا يمسحون منها أنوعاً وأقساماً مختلفة، وتعد الري ومرؤ من المدن الصناعية الساسانية المأمة<sup>(4)</sup>. كما شكلت المنسوجات الخلطة بالذهب والفضة، والأقمشة والألياف الحريرية، وريش الطيور والصسنعات وأجلوده، جزءاً رئيسياً من صادرات إيران، بالإضافة إلى الياقوت الإيرanian

<sup>1</sup> - كريستنسن، المرجع السابق، ص 115. غيرهن، المرجع السابق، ص 409. هايد (ف): تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة ناجد محمد رضا، مراجعة عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985، ج 1، ص 34 – ص 35.

<sup>2</sup> - هايد، المرجع السابق، ج 1، ص 15.

<sup>3</sup> - بيرنيا، المرجع السابق، ص 308. غيرهن، المرجع السابق، ص 408-410.

ومرجان البحر الأحمر<sup>(1)</sup>. ويداً يظهر تماثلُ بين التجار أنفسهم، فهناك التاجر الذي يُصادرُ والتجارُ الذي يعملُ في السوق الداخلية، مما ساعدَ على زيادة عدد السمسرة.

وقد دفعَ تطورُ التجارة للملوكَ إلى زيادة بناء الطرقِ والتوصّع فيها، كما توسعوا في بناء المخانق، والمستودعات، ومتراوحت الملاحة. كلُ ذلك فرضَ وجودَ أشخاصٍ للقيامِ بمنصبٍ هذه الأعمال، كما فرضَ رقابةً شديدةً على المخططات التجارية الحدودية والمائية البحريّة<sup>(2)</sup>، كما أسهمَ في إيجاد مراكز تجارية في المناطق البعيدة، فقدت سواحل البحر الأسود مراكز لاستقرار التجارة وتبادل البضائع.

وعرفَ الساسانيونَ السنَد واستخدموه في المبادرات التجارية، وأصبحَ كأنه سَنَدٌ ملكيّ، وعرفَ رسبياً في دورِ النقد الملكي، وكانت السنَداتُ بكثرةٍ لمعنى المبادرات التجارية التقليدية، ولكن كانَ يجدُ من نشاطها انشغالَ الناس في حُجَّ الحصول، وفي أوقاتِ دفعِ التبرائب، وساعدَ ذلك من جهة أخرى على الحدِّ من تدخلِ الدولة في عملِ دورِ النقد.

- النقد:

سلكَ الساسانيونَ نقودهم من الذهبِ والفضةِ والنحاسِ، كما سكوها من خليطِ النحاسِ والبرونزِ. سمعَ الساسانيونَ عُمُولِهم القضيّة بـ((وز)) وزن مثقالاً واحداً، وسمّوا النحاسية بـ((معا)). وما يلفتُ النظرَ في النقود الساسانية جمالُ منظرِها وشكلِها، ربما يعودُ السببُ في ذلك لوجودِ عمالٍ يونانيينَ يعملونَ في دورِ السلكِ الساسانيَّة.

واستفادَ الملوكُ الساسانيونَ من التفردُ للتاريخِ لسواتِ حكمِهم، فمثلاً كتبَ على أحدِ وجهي قطعةِ نقودٍ من تفريغِ عهدِ كسرى أنسُوشوان (جهار وجهل) أيِ السنة

<sup>1</sup> - بيروت، المرجع السابق، ص 307 - 308.

<sup>2</sup> - سعيد بن عبد الله، المرجع السابق، ص 408-410، هابذ، المرجع السابق، ج 1، ص 17 - 33.

الرابعة والأربعون<sup>(1)</sup>. كما تبدو صور قباد الأول على النقد الذي سُكّ باسمه في وضع يمثل جانب وجهه الأيمن، كما تجد الجانب الأيسر لوجهه محفوراً على قطعة نقدية أخرى<sup>(2)</sup>.



<sup>١</sup> - يربني، المراجع السابق، ص 306. رضاني، المراجع السابق، جلد هفتم، ص 482 - ص 483.

<sup>2</sup> - عكاشة، المراجع السابق، ج 8، ص 322.

- الفصل السادس.

- الفتح العربي لإيران.

- تحرير العراق وفتح إيران.

— المرحلة الأولى.

— المرحلة الثانية.

— معركة الجسر سنة 13 هـ.

— معركة البويب سنة 13 هـ.

— المرحلة الثالثة.

— معركة القلاصية.

— المرحلة الرابعة.

— معركة جلولاء.

— غارات الفرس على العراق ومقسمات فتح ولاية فارس.

— معركة خلواند (641م).

— فتح إقليم فارس (642 - 644م).

— بخطبة العرب في فتح ولاية فارس.

— فتح أصفهان.

— الفتوحات في الجهة المشرفة.

— الفتوح في منطقة ما وراء النهر.

— الفتوح في منطقة المسند.

— الفتوحات في جرجان وطيرستان.



## - الفتح العربي لإيران

بعد تأسيس الدولة العربية الإسلامية الأولى في شبه الجزيرة العربي بقيادة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تذكر المصادر العربية أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث رسائل إلى الشيوخ في الجزيرة والملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية يدعوهم فيها إلى اعتناق الإسلام، وخاصة كسرى ملك الفرس وهرقل إمبراطور الروم.

وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى يكتاب وفيه «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع أهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله إلى الناس كافة، ليتذر من كان حياً، أسلم نسلام، فإن أتيت فعليك إثم المuros»، فمزق كسرى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «يمكتب إلي هذا وهو عبدي»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مزق ملكته»<sup>(١)</sup>. وبعد موقف كسرى هذا بداية الصراع بين الدولة العربية الإسلامية التاسعة والدولة الأساسية.

## - تحرير العراق وفتح إيران

كان العراق أحد أهداف حركة الفتوح الإسلامية، ولذلك لم يكدد خالد بن الوليد بفرغ من حروب الراية حتى كتب إليه الخليفة أبو بكر وهو في البشامة أن يمضي إلى العراق، وكتب كذلك إلى عياض بن غنم أن يأتي ويدخل العراق من الشمال أيهما أسبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه. وهكذا بدأ العرب بفتح العراق الذي كان جزءاً من الدولة الأساسية.

<sup>(١)</sup> - فرج (محمد): *الفتح العربي لفارس وفارس*، تقديم أحد حسن الباقوري، دار الفكر، المنظمة العالمية، القاهرة 1966، 61.

ويمكن تلخيص حركة فتح العراق في المراحل الآتية<sup>(1)</sup>:

- المرحلة الأولى:

عندما بدأ أبو بكر بإرسال الجيوش لغزو العراق، واجهته مشكلة عزوف الناس عن خارسة الفرس، حيث الخوف الامتناعي الذي استمر في ذاكرة العرب وذلك كتبجة لنهضة الفارسية، ونظرة الفرس الدونية لهم، لذا كان من المهم لدى أبو بكر عدم تعريض تلك الجيوش لأية هزيمة، فهذا من شأنه أن يعزز الخوف الغربي.

بعد الانتهاء من حروب الردة كلف أبو بكر خيرة قادته خالد بن الوليد، فأرسل إليه أبو بكر وأمره بالتوجه إلى العراق، مع عدم إكراه أحد المسلمين على مواصلة السير معه، ومن أحب الرجوع فليرجع، فانقض كثير من الجنود، وعادوا إلى ديارهم تعباً وإرهاقاً من حرب الردة، فلم يبق مع خالد سوى ألفين من المسلمين. فطلب تعزيزات من أبي بكر، فأرسل إلى زعماء القبائل القرية من العراق لمساعدة جيش خالد.

وفي السنة 12 هجري / مارس 633 خرج خالد من البماماة بجيش تعداده 10,000 وانضم إليه زعماء القبائل بتعزيزات 2,000 لكل منهم، فلم يصل خالد تثوم فارس إلا وтعداد جيشه 18,000 جندي، فأصبحت الخبرة هي هدف خالد.

بعد دخوله العراق بجيشه الذي يقدر بـ 18,000 جندي، حارب خالد الفرس في عشرة معارك كان النصر حلقة في جميعها وهي: معركة ذات السلاسل ثنت سنة 12 هـ / 633 م، ثم معركة نهر الدم ثنت في صفر من نفس العام، ثم التوجة في أواسط صفر حيث هزمت القوات الفارسية رغم تفوقها العادي<sup>(2)</sup>.

1 - للمزيد عن سير المعارك مع الفرس انظر المصادر الآتية: الطبرى، المصدر السابق، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، البلاذري، فتوح البلدان.

2 - فرج ، المرجع السابق، ص 86 وما بعدها .

بعد ذلك بدأت الساحة الفارسية بالتفكك والسقوط بسبب تفاقم المشاكل الداخلية، ثم تأسى ذلك سقوط الخيرة التي تعتبر عاصمة للعراق في ذلك الوقت. فأعطي خالد جيشه استراحة بعد أن أدرك أن معركة الوجلة قد فرحته ضغطاً وهيا على قواته، على الرغم من انتصارهم الساحق على الفرس فقد كانت معركة الوجلة أطول وأشرس المعارك التي خاضها المسلمون حتى الآن في العراق، ولذلك سعى خالد بن الوليد إلى ضمان أن تبقى معنويات المسلمين مرتفعة.

ثم بعد ذلك توجه صوب الأنبار وحاصرها حتى سقطت بعد عدة أسابيع، ثم اتجه جنوباً إلى الحامية الفارسية الكبيرة التي كانت في عين التمر الواقعة على الطريق إلى دومة الجندل، وكان خطيبها العرب النصاري الموارين للفرس.

تلقى خالد وهو في العراق رسالة من عياض بن غنم، ذكر له أنه شبه محاصر في دومة الجندل من قبيلة كلب وجبيه منهك وطلب منه المساعدة. وقد وصلت هذه الرسالة إلى خالد عندما هسم بالرجل من عين التمر باتجاه الخيرة، وكانت الأوضاع في العراق قد استقرت. وفي اليوم التالي غادر خالد بن الوليد عين التمر على رأس ستة آلاف رجل باتجاه دومة الجندل. وقد هزم خالد بن الوليد تلك القبائل المناوبة وفتح الحصن عنوة في معركة دومة الجندل وكان ذلك في سنة 12هـ الموافق (633م).

عندما كان خالد مقيماً بدومة الجندل سعى الأعلام وكتابوا عرب الجزيرة النصاري فاجتمعوا لحربه، وقصدوا الأنبار يريدون انتقامتها من نائب خالد عليها، فقاتلتهم المسلمون وهزموهم. أثبت تلك المزاعم الساحقة هيمنة الفرس على العراق، وأثبتت عاصمة دولتهم المدائن من غير حماية قوية ومعرضة لأي هجوم من الجيوش الإسلامية. غير أنه قد جهزوا جيشاً تكون حالة بين خالد وبين المدائن التي فيها إبران كسرى.

1 - فرج، المرجع السابق، ص 97 وما يليها.

سأر خالد بن معد من المسلمين إلى الفراض وهي نحوم الشام والعراق والجزيرية، فأقام هناك شهرًا، ولما بلغ الروم أمر خالد ومسيره إلى قرب بلادهم، استعدوا وجمعوا جنوعاً كبيراً، واستمدوا تغلب ولياد والنصر، ثم ناهلوه خالداً فهزموهم في وقعة الفراض في النصف من ذي القعده 12 هـ/ يناير 634. وقد كانت آخر معركة له في العراق قبل أن يرسله أبو بكر إلى الشام قادداً عاماً جبيش المسلمين لخماربة الروم.

#### بـ الموجة الثانية:

تبدأ الموجة الثانية من فتوح العراق مع خلافة عمر بن الخطاب الذي ندب الناس مع المثنى بن حارثة أمير جيش العراق، وكان أبو عبيدة بن مسعود الثقفي أول متدب، وتبعه عدد كبير من الناس، وكانت أولى المعارك التي خاضها أبو عبيدة هي معركة التمارة التي كان الفرس قد أعدوا لها القوى الداخلية، وعبروا الحدود ولقوا المسلمين فيها من متفهم ومن بين أئديهم ومن أمرائهم، ولكن النصر كان للعرب، كما انتصر أبو عبيدة في معركة السقاطية بكسرك.

ولكن المعارك لم تستقم في نسق واحد، فالنصر الذي حققه المسلمون في المعارك السابقة، قابله هزيمة في معركة الجسر.

#### ـ معركة الجسر سنة 13 هـ

تعد وقعة الجسر المعركة الوحيدة التي خسروا المسلمين أمام الفرس في العراق إذ إنهم لم يخسروا معركة فيها ولم يخسروا معركة بعدها حتى تحرير العراق ووضعه إلى الدولة العربية الإسلامية. وكان الجيش الذي غادر المدينة مع أبي عبيدة إلى العراق ألف رجل وأصبح قبل موقعة الجسر نحو عشرة الآف، وهم الذين خرجوا معه من المدينة المنورة ومن خلق به من المسلمين عند مروره بهم وخاصة من ارتدى ثوباً حسناً إسلامه وكان هؤلاء من

أشد الناس رغبة في الجهاد تكثيراً عن ردهم وتعريضاً عما فاتهم من الجهاد في اطلاقه الفتح الأولى بعد الانتهاء من حروب الردة.

وكان الجند القارسية كبيرة مقارنة بالجيش الإسلامي إذ إن رسم أراد أن ينتصر في معركة مع المسلمين ليعيد شيئاً من المحبة للدولة ويعيد جيشه روحه العنوية وذلك بعد هزائمهم السابقة مع المسلمين، ذكر ابن خياط في تاريخه: (قالوا ولما رجع المرأة منهزمين شتمهم وأقصاهم ودعا "جمن" ذا الحاجب وأعضاه كثيراً، وحمل معه آلة الحرب ألوقاراً ودفع إليه الفيل الأبيض) وقد طلب سليمان بن قيس من أبي عبد الله أن يدع الفرس يعبروا وذلك لكثرتهم الفرس ولتضيق المكان إن هم عبروا قائلاً: (إن العرب لم تلق مثل جمجمة فارس قط، فجعل لهم ملحاً ومرحباً من هزيمة إن كانت، فرد عليه أبو عبد الله قائلاً: والله لا فعلت جبنت يا سليمان، فقال سليمان: والله ما جبنت وأنا أحرا منك نفساً وقبلاً ولكن أشرت بالرأي) (١).

وقد أطلق على المعركة، منها: قص الناطف وهو اسم شاطئ الفرات الشرقي الذي حدثت فيه المعركة، والروحة، وهو اسم شاطئ الفرات الغربي الذي حدثت فيه المعركة، وكذلك الفرس ولكن أشهر اسم لها هو معركة الجسر لوجود جسر يربط ضفتي نهر الفرات الشرفية والغربية. وكانت أرض المعركة منبسطة لا توجد فيها عوائق طبيعية سوى نهر الفرات وفرعيه الرئيسيين اللذين دارت بينهما المعركة قرب الكوفة.

وكان لعبور أبي عبد الله كثیر في نهاية المعركة على هذا الشكل المفجع، وقد تبه سليمان ومن معه إلى ذلك لكن أبي عبد الله قد استبد برأيه، وكان لتضيق المكان بعد العبور العقبة الأولى التي واجهها المسلمون واصدارهم بين فرعوي نهر الفرات مما

١ - ابن أثيم الكوفي (أبو محمد أحمد): كتاب القتوح، تحقيق علي شيري، ط١ دار الأضواء، بيروت، لبنان، 1991م، ج١، ص 134. فرج، المراجع السابق، ص 130-131.

أفقدتهم سهولة الحركة وحرية المعاورة التي تطلبها آلية معركة، ومن ثم راجحوا وأيّاً من سهام العدو الموجع وهم يبعدون عن المواجهة المباشرة، وكذلك واحدة المسلمين القليلة التي نفرت منها خيل المسلمين مما أدى إلى تحجيم حركة الفرسان.

وتصدى المسلمين للقيلة فتسكروا من معظم القبلة وأنزلوا عنها أهلها إلا إن الفيل الأبيض الذي تصدى له أبو عبيد خطيب أبي عبيد وقام عليه، فما بصر الناس بأبي عبيد تحت الفيل خشعت أنفس بعضهم.

وكان أبو عبيد قد عهد بالقيادة بعده لسبعة من ذويه فهم ابنه جبر وأنبه الحكم وقد قاتلوا بشجاعة مع المسلمين حتى استشهدت السبعة مع الكثير من المسلمين وتولى القيادة بعدهم المن بن حارثة الشيباني والمسلمين في تراجع لا يرون أمامهم إلا الجسر للعبور إلى الجانب الآخر لكن عبد الله بن مرشد الثقفي قطع الجسر وقال: أيها الناس متوفوا على ما مات عنكم أمراؤكم أو تظفروا فتعاظمت الكارثة بـلقاء الكثير من المسلمين أنفسهم في النهر ففرق منهم الكثير من لا يحسن السباحة، فأعاد المن بن حارثة ربط الجسر ووقف مع مجموعة من الفرسان لمنع الفرس من الوصول إلى الجسر ولكن يتعذر المسلمين من العبور بسلام.

وظهرت بطلات أرجال في حضن هذه المعركة في نتائجها فنُفذَ من استشهد ونُفِّذَ من واصل الجهاد وكان آخر شهيد عند الجسر الصحابي الجليل سليمان قيس رضي الله عنه أما المن بن حارثة فقد سُرِّجَ في معركة الجسر واستشهد بسبب ذلك الجرح<sup>(1)</sup>.

1 - البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن حارث): فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطياع، مؤسسة المعرفة للطباعة، بيروت، د.ن، الجزء الأول، ص 350-353، فرج، المرجع السابق، ص 133-138 .

## - نتائج المعركة:

كادت أن تنتهي المعركة بنصر حاسم لل المسلمين لو لا الحال الذي أصاب المسلمين بعد استشهاد أبي عبيد فقد قتل من الفرس ستة آلاف بينما الشهداء من المسلمين أربعة آلاف في معظم الروايات وذكر أقل من ذلك ولعل الاختلاف جاء من ذكر بعضهم لقتلى المعركة فقط دون من عرق في النهر.

ولقد حاول الفرس التهذير حالة الفوضى التي دبت في صفوف المسلمين في نهاية المعركة مللاجنة المسلمين حتى بعد عبورهم الجسر ولكن الذي حال بينهم وبين ذلك تصدي المثنى ومن معه لهم ومنعهم من الاقتراب من الجسر وكذلك ورود أشجار التمرد الفارسي على رسمهم في الماء.

وفي المدينة المنورة فقد كان وقع الخير على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أليماً وكان يخفف من جزع الذين فروا يوم الجسر بقوله: (لا تخروا يا معشر المسلمين، أنا فتحكم إنما أخترتم إلي)، وأما في جهات القتال فقد كان طلب التأثير لشهداء الجسر دافعاً إضافياً بعد الجهاد في سبيل الله، وأما الفرس فيبعد عجز همن بن جاذوحة التيل من المسلمين بعد عبورهم الجسر عاد إلى المداائن ينصر يغدر به لأنّه أول نصر للفرس على المسلمين ولكنه كان آخر نصر لهم حتى نهاية معاركهم مع المسلمين.

كانت هذه المعركة انتكاسة كبيرة للعرب كادت أن تفقدتهم جميع ما حققوه من انتصارات في العراق، وقتل في هذه المعركة جمع كبير من القوات العربية، كان من بينهم أبو عبيد نفسه، كما جرح المثنى ولكنه استطاع بفضل حنكه وإقدامه تخلص العرب من الفتاء بالانسحاب، ثم تمكّن بذلك الذي أرسله إليه عمر بن الخطاب أن يتمّ فوزه في المعركة الوريبة.

## - معركة البويب سنة 13 هـ -

كانت معركة البويب متميزة بين معركتي الجسر والقادمية إذ إنها أحدثت توازنًا بين المسلمين والفرس بل أكدت الهيبة عند الفرس من المسلمين (فقد قال كل من المخيزران ورسنم لابنة كسرى عندما قالت لهما: ما بال أهل فارس لا يخرجون إلى العرب كما كانوا يخرجون قبل اليوم؟ وما للكتابة لا تبعثان كما كانت المفروك تبعث قبل اليوم؟ قالا: أن الهيبة كانت مع عدونا يومئذ وإنما فتنا اليوم).

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أرسل مددًا إلى المثنى بن حارثة فاجتمع المسلمون عند البويب قرب الكوفة على نهر الفرات وكان في الجانب الثاني من النهر الفرس بقيادة مهران الهمذاني، وكاتب مهران المثنى قالا: إما أن تعرروا إلينا أو نغير إليكم، فقال المثنى: اعبروا مسترجعاً ما حدث لأبي عبيد رحمة الله عند الجسر؛ فعبر مهران. وكان المدد الذي أرسله عمر رضي الله عنه بقيادة جرير بن عبد الله وأخر بقيادة عصمة بن عبد الله الضبي ومن التحق بهم من أهل الردة. وشارك في المعركة نصارى من النصر وأميرهم أنس بن هلال النمري ونصارى من بين تغلب وعليهم عبد الله بن كليب بن خالد وقد قالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم نقاتل مع قومنا، وكانت نتيجة المعركة هزيمة الفرس وقتل الآلاف منهم وقتل قائدهم مهران.

وقد قاد المثنى المعركة بحكمة وشجاعة، وكان لها أثر كبير في حماس ولدفاعة من فر في معركة الجسر وقد وجه المثنى ذلك لصالحة المعركة فعندما رأى رجلاً يهيا ويقدم من الصيف فقال: ما بال هذا يستقتل؟ قالوا: هو من فر يوم الجسر فماته من الالتفاع وأمره بأن يلزم صدفه، فاستقر ولم يلتفت، ولكن عندما فر الفرس وأراد المثنى اللحاق بهم قال: أين المستبس بالأمس وأصحابه انتدبوا في إثار هؤلاء القوم إلى السبب وأبلغوا من عدوكم ما تغطيتهم فهو خير لكم وأعظم أجراً. واستغفروا الله إن الله غفور رحيم.

وقد اعترف المثنى بخطأ ارتكيه وهو قطعه الجسر على الفرس داعياً جنده ألا يقتدوا به مع العلم أن الفرس لم يغروا من واقع المعركة شيئاً، فقد جاء (وذلك أن المثنى بادرهم عند المزحة الجسر فأخذوه عليهم فأخذوا منه ريسرة وتباهي المسلمين إلى الليل ومن اللند إلى الليل وندم المثنى على أخذه الجسر وقال: لقد عجزت عجزة وقى الله شرها بمساهمي إياهم إلى الجسر وقطعه، حتى أحرجتهم؛ فإن غير عائد، فلا تعودوا ولا تقتدوا لي أيها الناس، فإنما كانت مني زلة فلا ينبغي إخراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع) (١).

وقد كان معركة البوبيب انعكاساً لها على كل من المسلمين والفرس فالمسلمون أصبحوا سادة المنطقة وافتتحت أبواب العراق من جنوبه إلى شماله تجويه خيولهم كيف شاءت، وقد تحرك المثنى بعد معركة البوبيب، وسار بمحر السواد وتزل الميس، قرية من قرى الأنبار وأغار على المحتلين وهي سوق يجتمع بها تجار مدائن كسرى، ثم رجع فائئ الأنبار فتحصين أهلها منه، فلما عرفوه نزحوا إليه وانوه بالأعلاف والزاد وسار منها إلى بغداد وأرسل فوة إلى صفين وسار إلى تكريت، ثم عاد إلى الأنبار.

هذا بعض ما أحدثته معركة البوبيب في الجانب الإسلامي أما في الجانب الفارسي فقد اهتز المجتمع الفارسي وخاصة في المدائن مركز القرار السياسي والعسكري فلما رأى أهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا لرسم الخيزران وما على أهل فارس: لم يروح بكما الاختلاف حتى وهتموا أهل فارس وأطعمتما فيهم عدوهم ولم يبلغ من أمركم أن تقركم على هذا الرأي وإن تعرضاها للهلاكة ما بعد بغداد، وسباط وتكريت إلا المدائن، والله أشجعكم أو تبدآن بما قبل أن يشتم بنا شامت ثم هلك وقد اشتغلنا منكماء، فقال الخيزران ورسم لابة كسرى - وكانت قد تولت ملك الفرس لعدم معرفتهم بوجود ذكر من آل كسرى - أكتبه لنا نساء كسرى وسرايره ونساء

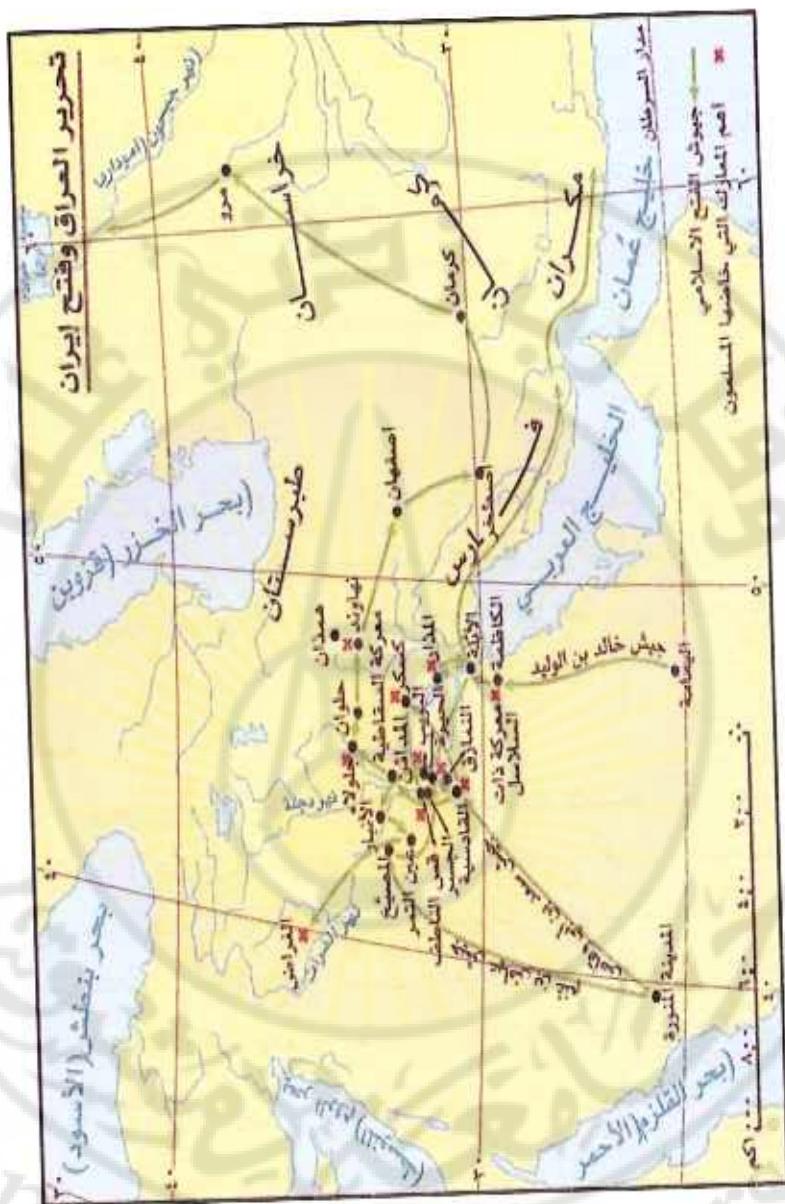
1 - فرج، المرجع السابق، ص 150.

آل كسرى وسراويلهم ففعلت فلعموا بوجود غلام يدعى يزدجر بن شهريار بن كسرى كانت أمه قد أخفيته عند أخيه عواد عليه من القتل<sup>1</sup>، فاجتمعت كلمة الفرس على توليه، وأخذلوا يمهدون جيشاً ضخماً لاستعادة العراق فما كان من المثنى إلا الانسحاب ثانية، والإقامة ببني قار مع جيشه متضرراً بالإمدادات من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

هكذا كان الموقف بعد معركة البويب؛ الفرس يتاهبون لهجوم مضاد على المسلمين والمسالمون يتظرون قليوم الإمدادات من أمير المؤمنين عمر، فكانت معركة الفلاسيبة التي قضت على آخر أمل للفرس باستعادة العراق.

---

1 - حول نهاية يزدجرد انظر فرج، المرجع السادس، ص 257  
284



## **جــ المرحلة الثالثة : معركة القادسية.**

### **- القادسية**

القادسية اسم يطلق على عدد من الأوكنة في العراق والجزيرة، أهمها موقع بالقرب من سامراء، وآخر في جنوب غرب الجزيرة -جنوب السهل الذي أقيمت عليه مدينة الكوفة فيما بعد- على مسافة 32 كم منها، كان مسار حملة معركة فاصلة قضى فيها العرب المسلمين على جيش الملك السادس يزدجرد الثالث في سنة 15 أو 16 للهجرة (636 أو 637م)، وفتحت أسماءهم أبواب العراق وفارس.

كانت القادسية بلدة صغيرة لها حصن من الأجر وبابان وسط سهل ترويه قناة من الفرات، غير بعيد عن شط العرب الذي كان متوجلاً في المنطقة؛ كانت المجرى الرئيسي للقرات، وملأها سريره معروفاً، ويقال له: «العقبة»، وعبر بين القادسية والعديب، وعند القادسية حسر على المجرى بسمى الحمر العتيق.

### **- معركة القادسية.**

كان الفرس يعيشون في هذه المرحلة حالة من فوضى الحكم وعدم الاستقرار بعد موت أردشير، وتشاغلوا عن المسلمين إلى أن اتفقوا على تنصيب يزدجرد أحد أبناء كسرى، وأعادوا تنظيم أنفسهم، ومضى يزدجرد يحشد أكثر ما يمكن من الجنود، وقسمهم على أنواع السلاح السري كاست للفرس، وثار سكان المناطق من أهل الذمة على المسلمين، ولاسيما في الأنبار والأبلة والجزيرة، فسامتع الثنى عن الدخول في مواجهة حاسمة معهم، وسحب قواته إلى نحوم البادية، ونشر السلاح والميسون، وتتابع إغرائه في انتظار المدد.

وأرسل إلى الخليفة عمر يعلمه بما جد معه، فأمر عمر أبا عبيد أن يرد جند العراق؛ ليتحفروا بالثنى، وبعث يستقر الناس بالأطراف، وكتب إلى عمالة: (... ولا

تدعوا في ربيعة أحداً ولا في مضر وخلفائهم أحداً من أهل التحذات ولا فارساً إلا جلسوه، فإن جاء طائعاً وإنما حشرتهم، أحملوا العرب على الجد إذا جد العجم، فتلقوها جسدكم...). وخرج الخليفة في أوائل شهر المحرم سنة 15 هـ / شباط أو آذار 636 م إلى صرار بريد التوجه إلى العراق بنفسه، غير أن الصحابة نسحجوه بالبقاء في المدينة، فانتدب سعد بن أبي وقاص الهرمي للتوجه إلى هناك على رأس القوات التي تم تجسيدها، وألحق به المثنى.

أخذ سعد من زرود قاعدة ليعي قوله (سبعين 14 هـ / 635 م أو 15 هـ / 636 م)، ثم مضى إلى العراق، وتولى بشراف، وكان المثنى قد توفى متاثراً بجراحه، وتوالى وصول المدد حتى صار مجموع قوات المسلمين نحو ثلاثة ألفاً، وكانت أيام المؤمنين عمر إلى سعد أن يسرى بالعسكر حتى ينزل بالعذيب، ويبيت العيون والمسالخ شرقاً وغرباً، وأن يوافيه بالأخبار يوماً بيوم، ثم استاذنه سعد في أن ينزل بالقادسية، ومكث شهراً يدرس تحرير كتاب الفرس، وكتب إلى الخليفة يصف له موقعه، وأن كل من بالعراق تأليفاً على المسلمين، وأن قاتلهم الذي يرجعون إليه هو رستم، وأنه معسكر يسابط في جوار القادسية، ويحاول مطلاوة المسلمين واستثارهم.

بلغ تعداد جيش رستم مئة وعشرين ألفاً، وعلى المقدمة الحالينوس في أربعين ألفاً، وقد القلب بنفسه على رأس ستين ألفاً، واستعمل على الميمنة المهرزان، وعلى الميسرة مهران الرازي، وعلى ميمنته البيرزان في عشرين ألفاً، وجرت بين الطرفين مفاضلات طويلة استمرت نحو أربعة أشهر، أظهر فيها المسلمون كثيراً من التصحيح والصمارة.

و لما ياتت الحرب أمراً محنواً فرق الفرس أخذ زمام المبادرة بالقتال، فعسروا الفسارات إلى القادسية، وأخذوا مواقعهم في مواجهة المسلمين، وخلفهم بحرى العتيق، وخلف المسلمين خندق الحصن الفديم المعروف باسم قديس، وحشد رستم في القلب

ثمانية عشر فيلاً عليها الصناديق والرجال، ووضع في الخبزين ثمانية أفيال (سبعة، فكان المجموع

33 فيلاً.

استعد المسلمون للمعركة، واختار سعد لطبيعته زهرة بن الحوية وعاصم بن عمر وشريحيل بن حسنة، وكان سعد قد عجز عن الوكوب أو الجلوس لفروج أصابته، فارتقا به إلى سطح مقبرة، وهو مكب على وجهه يشرف على الناس من على، واستخلف خالد بن عرفة أسفل منه على الأرض يرمي إليه بالرماع، وفيها لوازمه ونواهيه.

نشب القتال بعد صلاة ظهر يوم الاثنين الخامس عشر من المحرم سنة 15هـ/636م (أو 16هـ/637م). واستمر في اليوم الأول إلى الليل وبعضاً منه، ثم انفصل الفريقان كل إلى موضعه، وعان المسلمون ضغط الفيلة ونفور خيولهم منها، غير أن بعض شجاعتهم تغلبوا عليها بقطع سير صناديقها وقتل من عليها، وكانت معظم الخسائر في قبيلة أسد التي وقع على كاملها العقب الأكبر، ودفن المسلمون خالاهم ليلاً، ونقلوا جراحهم إلى مخيمات النساء، وقد سمى اليوم الأول يوم أرمات<sup>(1)</sup>.

تجدد القتال في صباح اليوم التالي، ومع شروق الشمس طلت نوافص الخيل القادمة من الشام بقودها القعفان بن عمرو التميمي، فنشط المسلمون للقتال، ولم يكن مع الفرس فيلة؛ لأن صناديقها تكسرت في اليوم السابق، وساق القادمون من الشام إلى ألسوسها براعق وجلاحيل يتشبهون بالقبيلة، فنفرت خيول الفرس منها، وركبهم المسلمون، فكانت الدائرة على الفرس إلى آخر النهار وقسم من النبييل، وبات الناس على مثل ميتهم في اليوم الأول. وقد سمى هذه اليوم يوم أغوات، وبقيت خسائر المسلمين نحو 2500 قتيل تم دفنهم ليلاً، وخسائر الفرس نحو عشرة آلاف قتيل، بقيت جثثهم منتشرة في أرض المعركة. وفي صباح اليوم الثالث نوالى وصولي بقيادة النجدات من الشام بقيادة هاشم بن عتبة، ونظم الطرفان صفوفهم من جديد، وتقدم الفرس مع

1 - ابن أثيم الكوفي، المصدر السابق، ج 1، ص 159. فرج، المراجع السابق، ص 180 وما بعده.

فياتهم، وقد أصلحوا أمرها، ورتبوا بين الكتائب، فتحمل القففان على أكبرها، وكان فيلاً أبيض ضخماً، فلقياً عينيه بمحون، وفعل رفيقان له بفيل آخر أحراب، كانت الفيلة تألفه، ففر الفيلان، وبعثه يقية الفيلة، فتحرقت صنوف الأعاجم، وتراوح الناس حتى المساء.

وكان اليوم الثالث - ويسمونه يوم عباس - أشد وطأة على الطرفين من سابقه، وصر المجمع إلى الليل، وامتد المقتال إلى الصباح من دون توقف، فسميت ليلة المزير، فلما أشرقت طفس اليوم الرابع - وهو يوم القادسية - كانت صنوف الفرس قد تضعضعت، وبدأت تتراجع، وتتمكن بعض صناديد المسلمين من الخروج على مؤخرتهم، ومع اقتراب الظهيرة كانت تباشير النصر قد لاحت، وقتل رستم وهو يحاول الفرار، وإنفرم الفرس، وشرع المسلمون بطاردهم، فتبعدوه في كل قرية وأرجاء، فكان هذا النصر فاتحة سقوط المدائن، وعدت تلك المعركة أهم المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام والبشرية، وقد استولى المسلمون بعد تلك المعركة على السواد كله (جنوب العراق)، أي المتعلقة الممتدة بين الفرات ودجلة، ثم فتح عاصمة الدولة الساسانية المدائن في 16 هـ / 637 بعد حصار دام ثلاثة أشهر<sup>(1)</sup>.

#### ـ المرحلة الرابعة:

بعد الاستيلاء على العاصمة المدائن مباشرة، ثم إرسال الجيوش غرباً لمطاردة فرسول الفرس المسحبة من المدائن وتجمعت في جلواء وشمال دجلة في تكريت والموصل، وتعذر جلواء ذات موقع استراتيجي حيث توجه الطرق منها إلى العراق وخراسان وأذربيجان.

<sup>1</sup> - البلاذري، أ المصدر السابق، ج 1، ص 356. حارب (جون باجوت): التوحيات الكبرى، ترجمة حمدي حماد، دون تاريخ، ص 283 وما بعدها. فرج، المراجع السابقة، ص 183-193.

وكانت تعليمات عمر بن الخطاب البدء بحلواء، وكانت خطته هي تحرير جميع الأراضي الشمالية لولا قبل تلوصول إلى تكريت والموصل، وقد انتصر المسلمون في معركة حلولاء.

#### معركة حلولاء

بعد أن حقق المسلمون فتحهم الكبير لعاصمة الفرس «الملائكة» أُصيب الفرس هزيمة نفسية مروعة وتشريدت الجيوش الفارسية تحت الضربات الموجعة للجيش الإسلامي، وتفرقت قلوب الفرس الناهضة من المداňان والأهواز وغيرها في عدة أماكن، وفي ظلمة اليل السفلي قرر رحالة من آخر قادة الفرس بقاءً وها «مهران الرازي» و«المرفان» تجتمع شتات قلوب الفرس والتحصين هم في إحدى القلاع القريبة من «المداňان» لبع تقدم المسلمين أكثر من ذلك، فاختاروا مدينة على بعدأربعين ميلاً شمال المداňان وكانت ذات موقع إستراتيجي جيد، وبالغوا في تحصينها لتكون عقبة أمام الحملات الإسلامية، وعمل «مهران» على رفع معنويات جنوده بشئ الوسائل للتصدي للمسلمين وأرسل مهران يطلب من كسرى بزوجرد التفويض في قيادة الجيوش الفارسية، وأيضاً الإمدادات من رجال وعتاد وأقوات، فوافق كسرى وأمده بما يطلب.

وصلت أخبار هذه الاستعدادات الخريبة للقادد العام للعراق سعد بن أبي وقاص، فأرسل جيشاً من التي عشر ألفاً بقيادة ابن أخيه هاشم بن عبد الله الملقب بالزرقال ومعه بطل العراق الفقاع بن عمرو وذلك بعد استذان الخليفة عمر بن الخطاب، ومنتهم السرعة وصل المسلمون إلى المدينة فوجدوا أن الفرس قد بالغوا في تحصينها، حيث أحاطوها بخندق مائي متسع وعميق، وزرعوا حول المدينة حقولاً من حشك الحديد لإعاقة خيل المسلمين عن التقدّم.

ولم المسلمين الاستماتة الدفاعية الكبيرة عند الفرس، فضربوا على المدينة حصاراً شديداً استطاع حتى حاوز سبعة أشهر وهي أطول مدة حاصر المسلمين فيها

مدينة بالعراق، وخلال هذه الفترة كان الفرس ينجزون للهجوم على المسلمين، حتى إنهم قد زاحلوا المسلمين خلال هذا الحصار ثمانين رحفاً ولكن المسلمين أحبطوها كلها ومع طول الحصار طلب هاشم المرقال من القائد العام سعد بن أبي وقاص إرسال إمدادات جديدة.

ومع طول الحصار وشدة وثبات المسلمين وإصرارهم على فتح المدينة، قرر الفرس المفروج بكمال قوائم وهي زيادة عن مائة وخمسين ألفاً من المقاتلين، والاشتباك مع المسلمين في معركة واحدة وفاحصة، وقد وضع لهم مهران خطة ذكية تقوم على فكرة التناوب على قتال المسلمين فجاء بكارب والآخر يستريح، ثم يتم التبادل بينهم حتى يرهقوا المسلمين في قتال مستمر.

وفي صباح يوم الأحد 15 من ذي القعدة سنة 16هـ خرج الفرس بأعداد ضخمة من المدينة وأنشروا القتال مع المسلمين بمتحف الضربوة، وقابلهم المسلمون بضراوة أشد، ومع تطبيق خطة الفرس بدأ التعب والإرهاق يكمل بال المسلمين، وهذا الأمر أخذ يؤثر على نفسيتهم وشذفهم في القتال، وهنا بز دور البطل العظيم الذي لم يبذل حظه من الشهرة والمعرفة عند المسلمين وهو الفقئاع بن عمرو إذ وقف بين الصنوف بعرض المسلمين على التبات ومواصلة القتال، ثم قام بخطورة عبرية في القتال، إذ كان الليل على وشك حلول، فضغط بيسريه من خلاصه الفرسان على مؤخرة الفرس التسحيجين للدخول للمدينة، ليسكن بذلك من السيطرة على الخندق وبالتالي يجمع رأفي الفرس من العودة لتحسينات المدينة، ثم نادى في المسلمين أن أيها المسلمين؟ هذا أميركم — يعني المرقال — على باب خندقهم، فأقبلوا عليه ولا ينبعكم من بينكم وبينه

من دخوله، فأثار حية المسلمين ونحوه العرب، فشدّ المسلمون بكل قوّة على الفرس حتى  
وصلوا إلى المخندق وصدّموا الفرس صدمة هائلة أزلّوا لهم <sup>ها</sup> عن مواعيدهم<sup>(1)</sup>.

عندئذا وقع الفرس في مأزق خطير، إذ أصبحوا عاجزين عن العودة للمدينة إلا إذا نفثوا على  
المسلمين فدار قتالٌ ليلي شديد الضراوة، شبيه بذلة المربّر في القadasية، وأثناء القتال وصلت الإمدادات  
التي أرسلها سعد لأرض المعركة فاشتد عصب المسلمين، واضطرب الفرس بشدة ودخلت جيوشهم في  
حشك الحديد الذي نصبه أهلًا لخيل المسلمين فاضطروا للنزول من على الخيول والقتال مترجمين،  
وكان هذا أوان هلاكهم، حيث طحنت المسلمين طحناً شديداً وأفتوهم عن بكرة أبيهم، حتى بلغ  
عدد قتلى الفرس مائة ألف قتيل، وجعلت جثثهم الساحات أمام المدينة؛ لذلك سميت المدينة بعد ذلك  
«حلواء» لما جنبلها من قتلى الفرس.

وبعد فتح حلوان، سعت القوات المسلمة إلى مطاردة الفرس، فقوات الفرس التي فرت من  
حلوان وتحصنت في خانقين بالطريق إلى إيران، فهزّتهم المسلمون وفتحوا المدينة. ثم انسحب الفرس  
إلى حلوان، فحاصرها المسلمون حتى فتحوها في سنة 16 هـ / يناير 638 م.

وفي عام 21 للهجرة أمر عمر جيوش العراق بطلب جيوش فارس أيّما كانت لرأى أن  
الفرس "تبعت عليها في كل عام حرباً". فاذْنَ للناس في الانسياح في أرض العجم حتى يغلبوا الفرس.

#### - غارات الفرس على العراق ومقدرات فتح ولاية فارس:

وبعدما تمكن المسلمون من السيطرة على العراق استمر الفرس بالتحرشات وإرسال الجيوش  
صوب العراق، وفي أواخر تلك السنة نقلب الم Hormuzan على منطقة

1 - ابن أثيم الكوفي، المصدر السابق، ج 1، ص 210-217. البلاذري، المصدر السابق، ج 1، ص 368. فرج،

المرجع السابق، ص 211-214.

الأهواز فبدأ بتحكيم الغارات على المناطق العراقية التي دانت لحكم المسلمين، فأمر عمر سعداً أن يرسل إليه الجيوش ليبرده، فلما سعى إليه جيشاً من المسلمين انطلق من الكوفة فهاجموا الأهواز وانتصروا عليه، وهذا ما أحرجه على طلب الصلح، فأعطوه على أن يقلل حاكماً للأهواز تحت إمرة المسلمين وأن يدفع الجزية.

ثم نقض الم Hormuzan الصلح بعد أن استعان بجماعة من الكلد، مما جعله يأمر أن يرسل جيشاً من البصرة، فهزمه مرة ثانية فتحصن في تستر (شتر) اليوم وهي في شمال الأهواز)، إلا أن أهل المنطقة قد صالحوا المسلمين ودفعوا الجزية لهم، وهذا ما جعل الم Hormuzan يطلب الصلح ثانية، ثم نقض الم Hormuzan الصلح ثانية بناءً على تحريره بزوره بعد ما أمهله بقواته جديدة لمساعدته وأواخر سنة 19 هـ/640 م، فتركرت تلك الغارات في تستر، وبلغ الخبر عمر، فأمر أن يسير إليه جيش من الكوفة، ومن البصرة فحاصروه، واضطرب إلى الاستسلام بعد فتح البلد عنده، ثم أرسلوه إلى عمر بن الخطاب بالمدينة.

وبعد فتح تستر، توجه المسلمون صوب شوشان (أو سوسا)، ففتحوها بعد حصار لمدة شهرين، ثم جند يسابرور الذي فتحت بعد حصار لعدة أسابيع<sup>(1)</sup>.

- فتح ولاية فارس:

- معركة خاوند (641م).

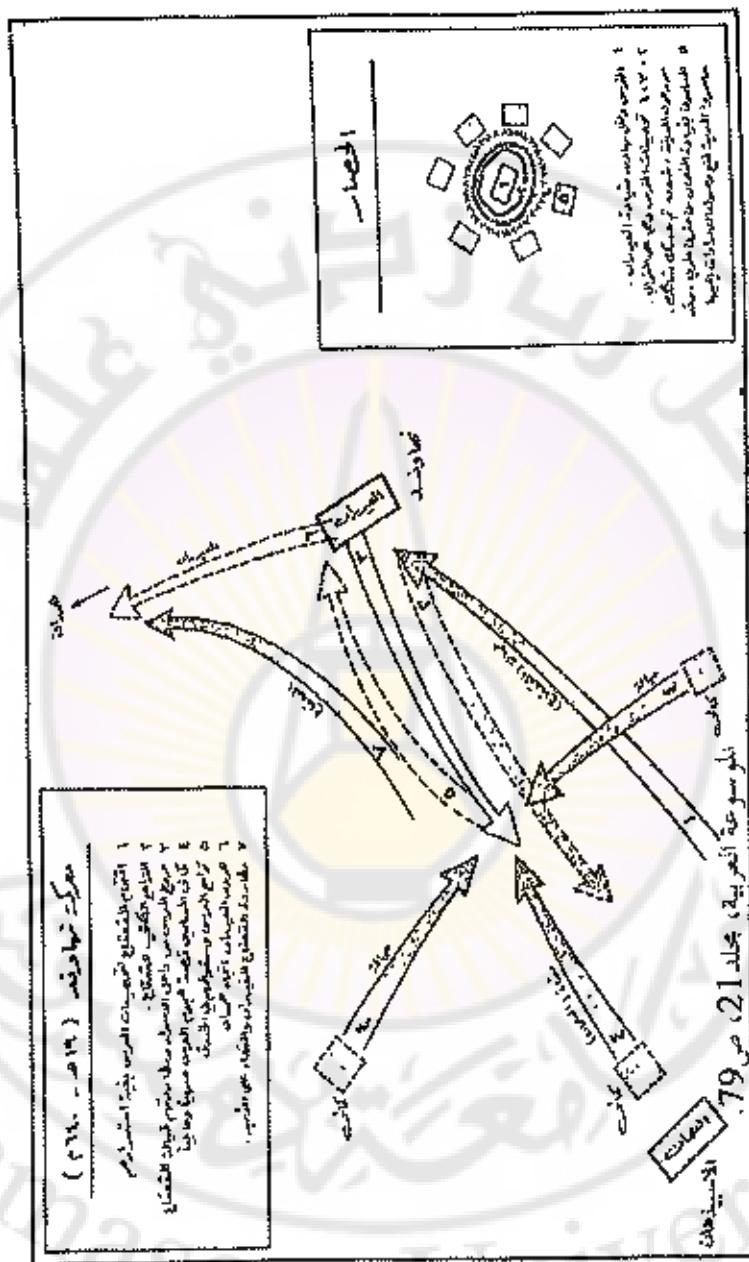
خاوند مدينة من أقدم مدن منطقة الجبال (ميديا القديمة) إن لم تكون أقدمها، تقع إلى الجنوب من همدان، تحدث فيها الرقة التي أطلق عليها المؤرخون المسلمين اسم فتح الفتوح، لأنها قضت على المقاومة الفارسية المنظمة.

<sup>1</sup> - ابن أثيم الكوفي، المصدر السابق، ج 2، ص 273 وما بعدها، فرج، المرجع السابق، ص 226.

وكان الذي أهاجها أن الفرس رأوا أن ملك عمر بن الخطاب قد طال وعرض وأن العرب المسلمين قد سطروا على السود والأمواز، وأنهم لم يكتفوا بذلك حتى أتوا أهل فارس والملائكة في عقر دارهم، وأنهم خربوا بيت ملكتهم واقتحموا بلاد ملكهم، وأن خطفهم لن يتنهى إلا إذا عمسد الفرس إلى إخراج من في بلادهم من جنود العرب، ثم أن بهاجوهم في بلادهم وفراهم، فكائب الفرس ملكهم يزدجرد في مرو وخر كوه، فكتب يزدجرد إلى عمالة وجهاء مملكته فتوافر إلى هارون، توافق إليها من بين خراسان وحثوان ومن بين آناب إلى حلوان ومن بين سجستان إلى حلوان، فاجتمع في هارون 150 ألف مقاتل وعلى رأسهم القبرزان.

بلغ الخبر سعد بن أبي وقاص، فاستخلف على الكوفة عبد الله بن عثمان، وشخص إلى الحجاز ليخبر الخليفة عمر بن الخطاب مشاهده بخطورة الموقف، وكتب إليه عبد الله ابن عثمان وغيره بذلك التجمع الكبير للفرس في هارون وأنهم «إذا حاوزونا قبل أن نبادرهم، ازدادوا حرارة وقوه، وإن نحن عجلناهم كان لنا ذلك منهم» وقد بلغ من اهتمام المسلمين بهذه الواقعة أن كاد يخرج إليها عمر بن الخطاب بنفسه، إلا أن بعض الصحابة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب رفضوا فكرة أن يسر عمر بنفسه إلى حلبة الأعاجم لأنه إذا أصيب «لم يكن للMuslimين نظام»، وأن أهل الكوفة إنما استأندوه بالانسياح إلى أرض فارس ولم يستصرخوه، «فلياذن لهم وليندب إليهم وليدفع لهم»<sup>(1)</sup> فبعث عمر أهل المدينة فيهم عبد الله بن عمر وفيهم المهاجرين والأنصار، وكتب إلى حذيفة بن اليمان، أن يسرر بأهل الكوفة، وإلى أبي موسى الأشعري أن يسرر بأهل البصرة حتى يجتمعوا جميعاً بيهارون، وأميرهم إذا اجتمعوا العثمان بن مقرن للرزي فإن أصيب فعل الناس حذيفة بن اليمان.

. 1 - حلوب، المرجع السابق، ص 381 وما يليها، لوج، المرجع السابق، ص 230-231.



وكان من حيل الفرس في هذه المعركة أن طرحا حسک الحديد حول المدينة، فبعث المسلمين عيوناً للاستطلاع لساروا لا يعلمون بالحسک فلم يخرج الفرس مكانه فنزل صاحبه ونظر فإذا في حافره حسکة فعادوا إلى الجيش وأخبروا قائدتهم النعمان بن مقرن أن سلاحاً جديداً استخدمه الفرس لم يجهد سابقاً وهو نشر الحسک حول المدينة، فسئل النعمان أهل الرأي في جيشه، فكان اررأي أن يتقل الجيش من هذا المكان كأنه هارب فيخرج الفرس في طلبهم، فانتقل النعمان، فخرج الفرس وكسوا الحسک في طلب المسلمين وكان النعمان قد عاً الكاتب ونظم الجيش وكان عده ثلاثون ألفاً، وتشب القتال يوم الأربعاء إلى يوم الخميس والخرب بين الفريقين مسحال وكان الفرس خلافها في الخادق فخشى المسلمين أن يطول الأمر عليهم لم يعتادوا ذلك في لقاء العدو.

فاستشار النعمان أصحابه، فكان الرأي ما أشار به طليحة الأسداني أن يبعث حيلاً مزودة فيحدقون بهم ثم يرمون نি�شبوا القتال وبغضبهم فإذا غضبوا واحتلظوا بهم وأرادوا الخروج هرباً المسلمين خدعة، فيخرج الفرس في أثرهم، فيكون الكمين الذي عمله المسلمين، فتقام القفاعة وتشب القتال فخرج الفرس من خنادقهم، فلما خرجوا نكص القفاعة بمنتهي واعتبرها الأعاجم، فخرج الفرس ولم يبق منهم أحد في الخندق إلا من يقوم على الأبواب، وجعلوا يتبعون المسلمين حتى انقطعوا عن حضورهم وخنادقهم<sup>(1)</sup>.

وكان المسلمون يقاتلون وكان كل واحد منهم لا يريد أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يطرأ، فما كان يسمع إلا وقع الحديد على الحديد وأصيب المسلمين بمصاب

1 . ابن أثيم الكوفي، المصدر السابق، ج 2، ص 299 وما بعدها، البلاذري، المصدر السابق، ج 1 ص 424.

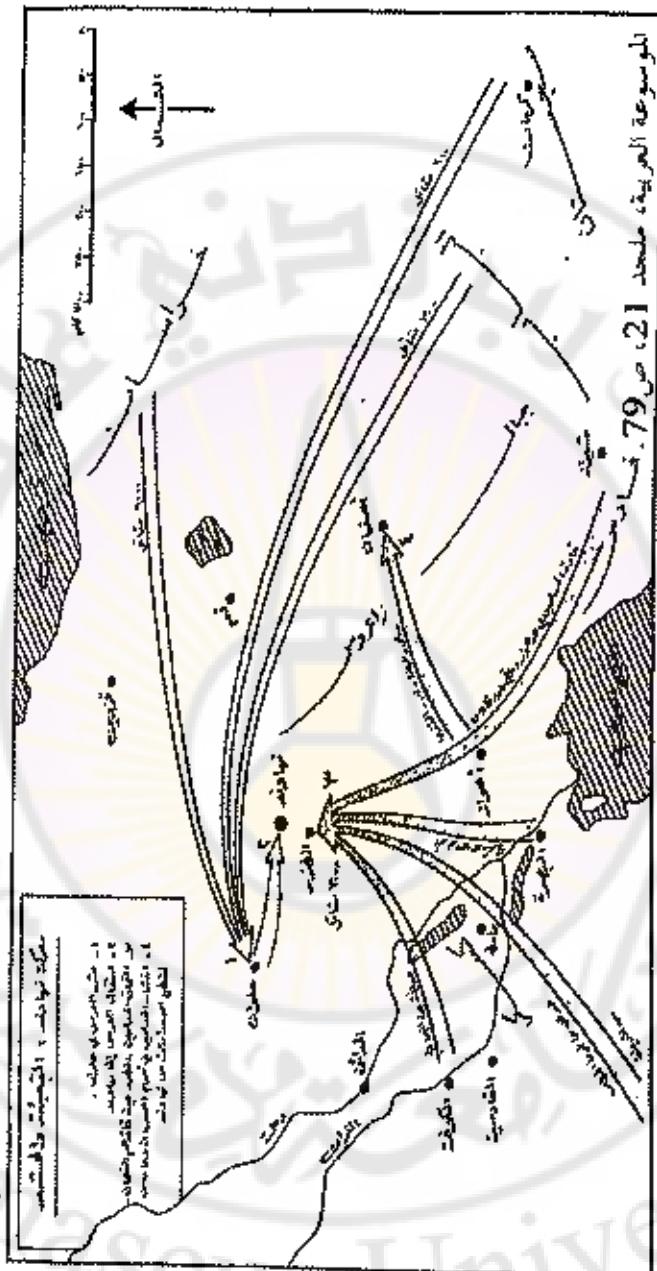
ومابعدها. فرج، المرجع السابق، ص 237.

عظيمة، فلما رأى الفرس صير المسلمين وأقاموا بفتح ساحة المعركة أهزموها فجعل يدفع الواحد فيقع عليه سبعة لأفم مقيدون بعضهم إلى بعض، فيقتلون جميعاً، وجعل يعقرهم حبل الحديد الذي وضعوه خلفهم، وعندما رأى النعمان أن الله قد استجاب له ورأى الفتح جاءته نشابة فأصابت خاصرته فقتلته، فجاء آخره معقل فسجى عليه ثوبه، وأنجد اللواء فقاتل، وكم موته حين فتح الله على المسلمين، ثم دفع الرأبة إلى حدیقة بن اليمان، وتم لل المسلمين هذا النصر العظيم سنة 21هـ، وافتتحت أمامهم المسالك إلى مناطق ليران الداخلية التي لم يكن لها بالعرب شديد اتصال من قبل ولم يكن بينهم وبينها جدار مباشر.

كانت هزيمة الفرس في هاوند بعد كل الإمداد الذي أمدتهم به يزيد مجرد إيقافها بسقوط المقاومة المنظمة كلها، ونشتت الفرس الفارسية في جهود فردية يقوم بها حكام المقاطعات على غير تسامد ولا عون.

وهيكتها لفهم الفرس وقتل قاتلهم الفيزان قتل القتاع، وقتل أيضاً النعمان بن مقرن واستلم القيادة عنه حدیقة بن اليمان كما أوصى عمر بذلك. وسميت تلك الموقعة بفتح هاوند أو فتح الفتح، وأمستول المسلمين على كل بلاد همدان بعد المعركة وفتحوها.

الموسوعة العربية، مجلد 21، ص. 79.



## - فتح بلاد فارس (642 - 644)

اختمد عمر بن الخطاب سياسة جديدة فيحب البدأ بغزو كامل الدولة الساسانية، فمع ركبة هراوند كانت من أشد المعارك هولاً وضراوة وأضحت تلك المعركة مفتاح الدخول لكامل بلاد فارس، فلم يستطع بزوجه الثالث أن يجمع من الجيوش كما جمع في هراوند لمقاومة الجيوش الإسلامية، فأمر عمر بقتله أو أسره وإحضاره لكنه فر إلى الشرق، حيث لا يمكنهم الوصول إليه، وإن هنا تكون الإمperialورية الساسانية ذات عمر قارب الأربعين عاماً قد انتهت.

### - خطة العرب في فتح ولاية فارس:

قرر عمر أن يضرب الفرس بعد هزيمتهم من هراوند مباشرةً بعد أن ارتفعت معنويات جنده أكثر من ذي قبل، لكن المشكلة الاستراتيجية الرئيسية له هي من أين يبدأ المهاجم، كانت هناك ثلاثة بدائل: فارس في الجنوب، أو أذريجان في الشمال، وأصفهان في وسط البلاد.

### - فتح أصفهان.

قرر الخليفة عمر البدء بأصفهان كأول هدف له، فكان خططه هي ضرب الدولة الساسانية في القلب، مما يمكن للمجوسن المسلمة من قطع خطوط الإمداد والاتصالات ما بين المحافظات الساسانية عن المقاطعات القارسية الأخرى، بعبارة أخرى، فإن أي هجوم على أصفهان سيعزل فارس وأذريجان عن خراسان.

وقد عاجله الفرس فتجمعوا في أصفهان، فقرر عمر أن يبعث جيشاً إلى أصفهان، فأنزل جيش الكوفة وتحرك الجيش من الكوفة إلى حلوان إلى هراوند، ثم أرسل عمر برسالة إلى أبي موسى الأشعري وهو والي البصرة لإرسال جيشه أيضاً.

واراد عمر أن يحاصر أصفهان وبهاجها من طريقين: من الطريق الشمالي الذي وجّه إليه جيش الكوفة، ومن الطريق الجنوبي حيث وجّه إليه جيش البصرة، ولو نظرنا

إلى أبعد الحدود بحد أن أصفهان في عمق الدولة الفارسية، فقد توغل المسلمون في داخل الأراضي الفارسية برغبة كبيرة.

ويقول الرواية: إنها كانت على متوازن معركة هماوند، حيث انسحب الفرس وتحصنوا داخل الأسوار، فحاصرهم المسلمون وطال الحصار حتى ظن الفرس أنهزمه، فخرج قائدتهم رافعاً راية يزيد أن يتحدث إلى قائد المسلمين، فقال له: لا يجعل أصحابك يقتلون أصحابي، ولكن اخرج لي فإن قتلت رجع أصحابك، وإن قتلت سالك أصحابي، وإن كان أصحابي لا يسقط لهم ثانية.

وكان عبد الله بن عتبان قائد المسلمين من أمره القادة وأشدتهم ضراوة في القتال؛ فوافق عبد الله بن عبد الله بن عبيان ليفي المسلمين قائلاً عظيمًا ويكتب مدينة "جي"، فيخرج عبد الله إلى القاذورفان قائد الفرس، واحتقاراً أن يكون القتال بالرمح لا بالسيف، وعندما وجد القاذورفان بسالة عبد الله قال له: أقبل مني الصبح على أن يعطينك أهل أصفهان الجزية كما تطلب، ومن شاء منهم لا يعطيك الجزية ترك المدينة وترك لك أرضه وماله، والأرض التي امتلكها عنوة هي لك.

فوافق عبد الله بن عبد الله بن عتبان، وأخذ منهم الجزية وترك لهم حرية الخروج، فخرج ثلاثة رجال فقط رفضوا أن يعيشوا مع المسلمين، وأنفروا أن يدفعوا الجزية، وهردوا إلى منطقة شجيبة، ثم فكروا في حلٍ لا يدفعون به الجزية فدخلوا في الإسلام، وحسن إسلامهم بعد ذلك لما رأوا مسن معاملات المسلمين، وحسن أخلاقهم، ووفائهم في العهد، ومهاراتهم في القتال.

وسيطر عبد الله بن عتبان على المنطقة بكاملها، وكسب عهداً لقاذورفان وأهل منطقة أصفهان، هذا العهد تكررت صورته في كل صلح جزية أقامه المسلمون بعد ذلك في كل أراضي

فارس:

"كتاب من عبد الله بن عبد الله بن عتبان للفاذوسفان وأهل أصفهان وما حولها: إنكم آمنون ما أديتم الحزيرية، وعليكم من الحزيرية قدر طاقتكم في كل سنة تزوروها إلى من ينفيكم من المسلمين عن كل حالم (والذي يحدد الطاقة هو والي المسلمين)، وكما ذكرنا من قبل كانت أقل من نصف الضرائب التي كان يدفعها أهل فارس لولي الفرس نفسه، فكان أهل فارس يستمدون هذه الحزيرية لأهمها أقل بكثير من الضرائب الفارسية".

والبند الثاني تذكر في كل معاهدات المسلمين مع الفرس؛ لأنهم توغلوا في أرض فارس وهي ليست بأرضهم، فلا بد من تصحية صادقة من أهل البلد للمسلمين، وإذا أ Hull الفرس بهذا البند سقطت المعاهدة.

"لَا تَسْلُطُوا عَلَى مُسْلِمٍ، وَلَكُمُ الْأَمَانُ مَا فَعَلْتُمْ، فَإِنْ غَيْرَكُمْ شَيْءًا أَوْ غَيْرُهُ مُغْيَرٌ مِّنْكُمْ وَمِنْهُمْ فَلَا أَمَانٌ لَّكُمْ، وَمِنْ سَبَّ مُسْلِمًا بِلَغَّةِ مَنْ هُوَ أَيْضًا عُوقَبَ، وَمِنْ ضَرَبِ مُسْلِمًا قُتْلَاهُ".

وكل المعاهدات التي جاءت بعد ذلك كانت صيغت من هذه المعاهدة، وفي المعاهدة فري غرة المسلمين، ومن يقوم بالمعاهدة من مركز القوة مع من في حالة الضعف.

ودائماً في حال المعاهدات بين القوي والضعف يقدم الضعف نازلات كبيرة، ولا يتوقع أحد أن المعاهدة مكسب للضعف الذي يرجو القوي المسيطر على البلد ومن في حالة الغرة.

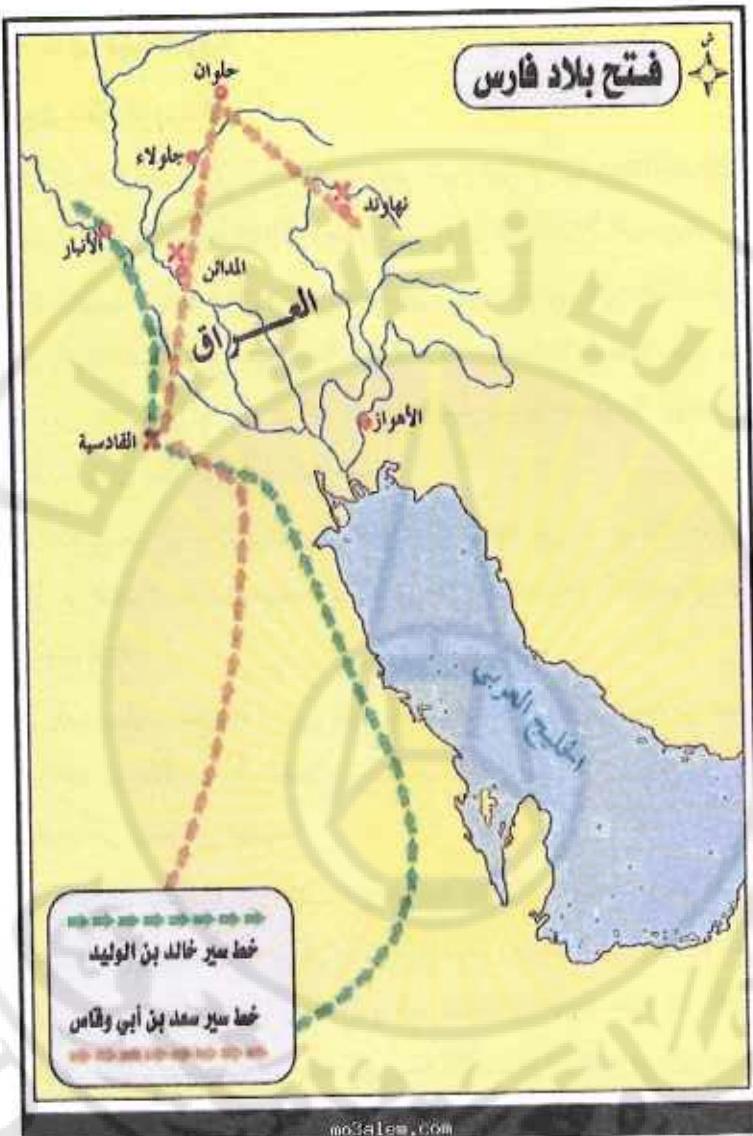
وبعد هذه المعاهدة دانت منطقة أصفهان وما حولها من المناطق للمسلمين، وتم فتح أصفهان سنة إحدى وعشرين هجرية.

بعد أن دانت هذه المنطقة بدأ تفكير عمر بن الخطاب في إرسال الجيوش من الكوفة والبصرة ليفتح شمال بلاد فارس.

وأنقذ عمر بن الخطاب خمسة جيوش من الكوفة لفتح شمال الدولة الفارسية.  
الجيش الأول: اتجاه همدان؛ لأن همدان نقضت صلحها.  
الجيش الثاني: إلى الري ، ثم حرجان، ثم طربستان.  
الجيشان الثالث والرابع: إلى أذربيجان.  
الجيش الخامس إلى "الباب" وهي شمال أذربيجان<sup>(1)</sup>.  
وستخرج جيوش من البصرة تتجه لفتح منطقة الوسط، وهي منطقة كبيرة اسمها "خراسان"  
التي تردد فيها مدينة "مرُّو" ، والتي هرب إليها يزدجرد.  
وستتجه جيوش أخرى إلى الجنوب. فكانت خطوة عمر أن تحرر الجيش الإسلامي إلى فارس  
في أكثر من اتجاه حتى لا يساعد الفرس بعضهم ببعض، بل كل طرف بحرب من يهاجمه.  
وقد حققت هذه الجيوش مهمتها وسيطرت على المضبة الإيرانية وبذلك دخلت المتعلقة مرحلة  
جديدة من تاريخها هي المرحلة الإسلامية.

1 - ابن أثيم الكوفي، المصدر السابق، ج 2، ص 314-315. البلاذري، المصدر السابق، ج 1، ص 364 وما بعدها، فرج، الترجمة السابعة، ص 241-243.

## فتح بلاد فارس



خط سير خالد بن الوليد

خط سير سعيد بن أبي وائل

- الفتوحات في الجهة الشرقية.

- الفتوح في منطقة ما وراء النهر.

كان اليوتان يطلقون على منطقة ما وراء النهر اسم زرنس أو كسانيا Transoxania، وهي

التي تقع بين نهر أமوداريا Amudarya (جيحون) وسرداريا Syrdaria (سيحون).

وقد تكونت في هذه المناطق ممالك مستقلة غير واضحة المحدود، منها: مملكة الحنل وهي على

نهر نهرين السند وملكة الصدد، ومن أشهر مدحها بخارى وسمرقند والصغانيان وأعمالها متصلة بترمد، ومملكة

خوارزم، ومن بلاد ما وراء النهر الشاش وفرغانة، ومن سقوط إمبراطورية كوشان Kushan

أصبحت هذه المناطق تحكم من قبل أمرائها المحليين.

بدأ العرب منذ أن توغلوا في خراسان يقومون بغزوات إلى بلاد ما وراء النهر، ثم

يعودون إلى مراكزهم في خراسان ثناء، وكان الوالي سلم بن زياد (652-663مـ) أول من عبر النهر

وأقام في الشناء هناك.

لم تأخذ عمليات فتح بلاد ما وراء النهر شكلاً منظماً إلا في خلافة الوليد بن عبد الملك، ففي

مستهل خلافته سنة 86هـ ولـي الحجاج بن يوسف الثقفي ولـي العراقيين قبيحة بن مسلم الباهلي

خراسان عوضاً من المفضل بن المهلب.

إن المجزرات العسكرية التي نفّذت على بد قبيحة كافية لأن تضعه في مصاف كبار قادة الفتح

العربي أمثال خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص ولـي عبيدة وغيرهم، ولعل أبسط ما يمكن أن يساق

للدلالة على صحة هذا الادعاء هو أن الفتوح في هذه المنطقة لم تنتهي بعد مقتله سنة 96هـ إلى أبعد

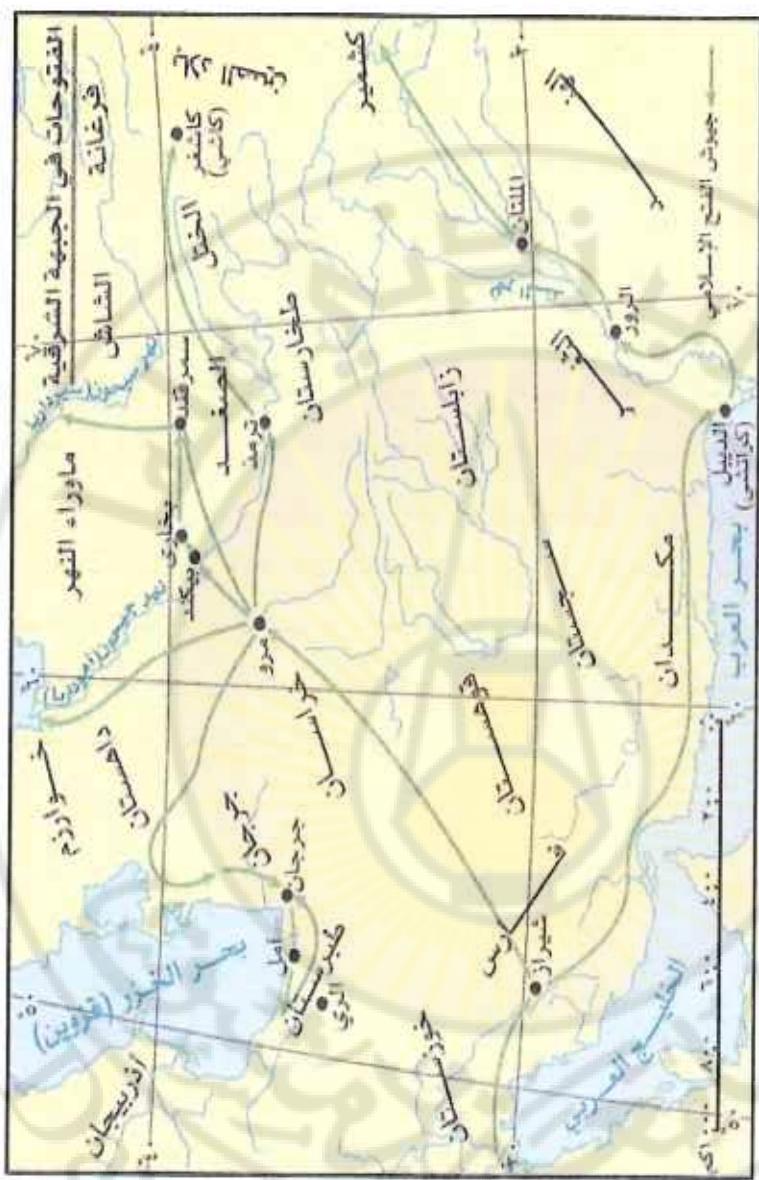
من هذا المدى الذي وصلت إليه على يديه. ففي سنة 87هـ غزا يكند وهي أدنى مدن بخارى إلى

النهر وتُعرف بمدينة التجار، واستطاع أن يفتح هذه المدينة بعد قتال شديد. وفي سنة 89هـ مضى

قبيحة إلى بخارى

لقتال ملكها، ولكنه لم يظفر منه بشيء فرجع إلى مرو وكتب إلى الحجاج بذلك، فطلب إليه الحجاج أن يصورها له، فبعث إليه بصورتها، فكتب إليه بخطة لفتحها، ويبدو أن فتح بخاري كان سنة 90هـ وبعد بخاري فتح سمرقند، فدخلتها وأحرق أصنامها وبين فيها مسجداً، وامتدت فتوحات قتيبة إلى دلتا نهر جيحون عند خوارزم وصالحة ملكها سنة 93هـ، كما امتدت إلى الممالك الواقعة قرب نهر سبحون المتاخمة لبلاد الترك، فغزا الشاش وفرغانة سنة 95هـ وساعدته في معاражه هذه أنس من أهل الصخد وخوارزم. وبعث جيشاً إلى كاشغر وهي أدنى مدن الصين، ولوغل حتى بلغ قرب حدود الصين، وفي هذه الغزوة وصل المخبر إلى قتيبة تموت الوليد بن عبد الملك، فلم يستطع أن يسر أكثر من ذلك، وكان عليه أن يتوقف ليعرف ما سيكون عليه الحال زمن الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك.

كان من العوامل التي ساعدت قتيبة على تحقيق إنجازاته العسكرية، استغلاله للخلافات المتعددة، التي كانت قائمة بين حكام المدن والمقاطعات العديدة وتنافر مصالحهم وتأمرهم على بعضهم، كما أنه كان يصيرة القائد الحكيم، يربط هؤلاء الحكام بمعاهدات صلح تنص على الإقرار بالخصوص، ودفع ما يُتفق عليه من الأسلحة، ويستقيمهم في إمارتهم، ففرضي بذلك غرورهم وبحول دون تحديد ثوابتهم عليه ليستبدلوا سلطانهم الذي سلبهم إياه.



## - الفتوح في منطقة السندي:

لا يشهد المؤرخون في الحديث عن الفتوح في منطقة السندي، قبل خلافة الوليد بن عبد الملوك، وإذا استثنى البلاذري لا يوجد عن هذا الأمر معلومات عند المؤرخين الآخرين الذين يبحثون أمور الفتوح. ويدرك البلاذري أن الخليفة عثمان بن عفان كتب إلى واليه على العراق عبد الله بن عامر بن كثير، يأمره أن يوجه إلى مكران ثغر الهند شخصاً يستطيع أحواهه، وعاد رسول ابن كثير إلى عثمان، وأخبره بأن «ما بها وشل، و عمرها دقل، ولصها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا وإن كثروا جاعوا» فعرف عثمان عن غزوتها، ولم يتم فتح مكران إلا في عهد ولية زياد بن أبيه على العراق (45-53هـ). واستمرت العمليات العسكرية فيما يسميه العرب بثغر الهند إلى زمن عبيد الله بن زياد، فلما كانت ولية الحجاج بن يوسف على العراقين (75-95هـ) ولـ الحجاج محمد بن القاسم التقني السندي وكان قبليها بفارس، وأمره أن يسر إلى الري وأن يقيم في شوارز بانتظار قدوم الإمدادات إليه، وفعلاً أرسل إليه ستة آلاف مقاتل وجهزهم بكل ما يحتاجون إليه حتى المسال والإبر والخيوط، وكان سير محمد سنة 89هـ، وكانت أولى معارك المعركة التي انتهت بفتح الدليل (كراتشي اليوم) فبعد أن تزل الدليل وأفته السفن التي كانت تحمل الرجال والسلاح وأدوات الحصار، وبعد حصار طويق ورمي كثيف بالمدحنيين افتتح المدينة عنوة، فحطتم كثيراً من أصنامها، وحرّب بعض معابدها، واستبقى فيها حامية قوامها 4000 مقاتل وبنى فيها جامعاً، وكان الحجاج في أثناء عمليات محمد ضد الدليل على صلة دائمة به، ويرسل إليه بترجماته وتعليماته كل ثلاثة أيام.

بعد فتح الدليل سار محمد بإتجاه الشمال، وفتح بعض المدن صلحًا وبعضها عنوة، وبلغ «دامر» ملك السندي سير محمد إليه فاستعد للقائه، وجمع جيشاً كبيراً وزوده

بالفيلة لرهب خيل العرب، وجرى قتال شديد بين محمد بن القاسم وداهر، لاقى فيه داهر حتفه بعد أن قُتل كثير من أصحابه.

بعد مقتل داهر غداً محمد سيد بلاد السندي ودخل عاصمتها «الرور» عنوة، ثم قطع محمد ثغر بيسن الذي يؤدي إلى الملتان، المدينة المقدسة الغبية التي سماها العرب بيت النعم، ويبدو أن سبب غناها هو الصنم الكبير (البد) الذي كان فيها والذي كان الناس يبحرون إليه وينذرون إليه المدواة والشفاء. بعد أن فتح محمد الملتان توغل في فتوحاته حتى وصل كشمير، وقد كان لوفاة الحجاج بن يوسف التقي والوليد بن عبد الملك سنة 96هـ، وال نهاية المؤلمة التي لقىها محمد بن القاسم في خلافة سليمان بن عبد الملك أثراً لها في توقف الفتوح في تلك المنطقة<sup>(1)</sup>.

#### الفتوحات في جرجان وطيرستان.

ظلت جرجان بعيدة عن المخططات العسكرية، حتى كانت ولاية يزيد بن المهلب على خراسان (97-99هـ) في خلافة سليمان بن عبد الملك، ويبدو أن الظروف الداخلية في جرجان والزارع الذي نشب بين المربزيان وجماعته من الترك من أهلها هو الذي سهل مهمة يزيد، فسار بعد وصوله إلى خراسان بجيش عظيم حتى نزل بهستان (بندر قريب من جرجان) فحاصرها وقطع المواد عنها، فأرسل (صواعل) إلى يزيد يسأله الصلح على أن يؤمنه على نفسه وماله وأهل بيته، ويدفع إليه المدينة وأهلها وما فيها، فقبل يزيد ذلك، ثم توجه إلى جرجان فلتقاد أهلها بالأكارة التي كان سعيد بن العاص في خلافة عثمان قد صالحهم عليها، فقبلها وتوجه إلى طيرستان، جنوب بحر قزوين وهي منطقة جبلية متعددة حصينة، وكان حاكمها يعرف بالأصبهيد، فلما جاء الإسلام وافتتحت المدن المتصلة بطيرستان، كان يصلح على الشيء اليسير فيقيل منه لصعوبة المسالك إليها، فلما جاءه يزيد استعان بالأصبهيد بالدليل فقاتلته يزيد أياماً ثم

1 - البلاذري، المصدر السابق، ج 1، ص 607.

صالحة الأصبهين على مال مختلف المؤرخون في مقداره، وعلى أن يوجهوا إليه في كل عام 4000 رجل، على كل رجل برس وطيلسان وحام فضة وكسوة.

عاد يزيد إلى جرجان، وقتل عدداً كبيراً من أهلها لتكثيم العهد وغدرهم، وقتلهم عامله عبد الله بن معمر الشكري والحاوية التي كان يزيد قد تركها معه وعدد أفرادها أربعة الآف، وهذا ما يعرف عند المؤرخين بفتح جرجان الثاني، وبعد انتهاءه من عملياته العسكرية، قام ببناء مدينة جرجان التي صارت من أعظم المدن وأشهرها.

وهكذا كان للحروب البيزنطية الساسانية دور في ضعاف قوة الفرس، وتشجيع العرب للتوجه على حسائهم، مستغلين الظروف الداخلية التي تعاني منها الدولة الساسانية وخاصة الصراع على العرش للذكي الذي أنهى بقتل كسرى الثاني (أبورقن)، ووصول ملوك ضعاف لم يكونوا على قدر كاف من الشدة السياسية، والقوة العسكرية التي تكتفهم من حماية يلادهم، كما كان لوقف العرب مع بني جلدتهم دور في إثراز النصر على الفرس واحتضان الهيبة الإيرانية للسيطرة الإسلامية.



كما تم عرض التطورات الاجتماعية والثقافية للمنطقة والتي شهدت تطويراً كبيراً بمحالها، فوضحت طبقات المجتمع ونشاطها وعاداتها وتقاليدها، والتي الضوء على الفكر الديني في ليران وتطوره والإرهاصات التي تعرض لها وأثره في الحياة الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك تم الكشف عن التطور العماني الذي ما زالت بقاياه شاهدة على عظمته حتى يومنا هذه، من قصور ومبانٍ ومارس عليها لو نحث من موضوعات عورت عن فكر الإنسان في المذهبية الإيرانية، وتطلعاته ورقبه ودقنه في معالجة ما صبوا إليه في فكره.

وازدهرت الحياة الاقتصادية بكل مخلالها من زراعة وحرف وتجارة، إذ انتشرت الأراضي الزراعية على أجزاء مختلفة من المنطقة وتتنوع مناخها وازدهرت مaxiesنها، فكشف النقاب عن ملكية الأرض وطرق استثمارها واستصلاحها، وقوانين العمل بما وطرق توزيع تناسجها والضرائب المترتبة عليها، بالإضافة إلى الزراعات الجديدة، وطرق الري، وأثرها في ازدياد مساحة الأرضي المزروعة، وهذا يدل على اهتمام الفرس بالزراعة، لدورها الكبير في توفير الأموال الازمة لبناء قوهم.

كما نالت الحرف اهتماماً كبيراً من خلال الكشف عن مختلف الحرف والصناعات التي ازدهرت وتطورت في المنطقة، ودورها في تطوير البلاد وازدهارها، وتأثيرها على نواحي المجتمع المختلفة، بالإضافة إلى نشاط الدولة في دعم الحرف التقليدية التي تستلزم بذلك الكثير من الأموال والجهد من أجل تحقيق قدم ملموس في صناعتها، وهذا ما جعل الدولة تقيم ورشات لإنتاج هذا النوع من الحرف، وتبήج لتراجمي المراكز والأصنف، كان من الصعب على الدولة أن تمارس محدّكاراً معيناً على الحرف، وهكذا شجع الفرس الحرف فتحسست أنواعها وتتنوعت. كما حظيت التجارة بالتصدير الأوفر من اهتمامات الفرس الاقتصادية، وبقيت المذهبية الإيرانية من أهم المراكز التجارية العالمية، واستمرت تلك معظم الطرق التجارية.

وتحنى الاهتمام بالتجارة، من خلال إنشاء الطرق وإصلاحها، وتدعم العلاقات التجارية مع الدول الأخرى، وسلك القواد، الذي أنسهم بكل ثأرك في دفع الحركة التجارية إلى الأمام.

ومن خلال تبع نشاط التجارة الداخلية والخارجية، يمكن الاستنتاج أن الدولة لم تفرض عليها أية قيود أو ضوابط معينة، لحماية الإنفاق المحلي، أو مراعاة مصالح الملك على غرار ما كان في مصر البطلمية، ماعدا الضرائب التي فرضت على مزاولة المهن، وغيرها من الضرائب التي تتصل بالتجارة، وينقلها وعرضها في الأسواق.

إن النقدم الذي حققته ممالك الحضارة الإيرانية في الزراعة، والحرف، والتجارة، أدى لوجود ضرائب عينية ونقدية، وقد اختلفت المدفوعات تبعاً للدخل، والوضع الاقتصادي، الذي وجد في المملكة، وهذا يدل على حرص الدولة على راحة شعبها.

وهكذا أثرت المظاهر الحضارية في بعضها البعض، وأسهمت في الاستقرار البشري ودعم التراث الحضاري في إيران، بالرغم من تعرض دولها للتغيرات الداخلية، والخلافات داخل الأسرة الحاكمة حول السلطة، والمحروب المستمرة مع اليونان والروماني وغيرهم، مما جعل الوضع الاجتماعي والوضع الاقتصادي يبدأ الضعف والانقسام بهدد استقرارها وأمنها لصالح ظهور دولة منافسة جديدة هي الدولة الإسلامية التي فتحت البلاد ونشرت الإسلام في ربوعها، وأسدلت السار على مرحلة تاريخها القديم ليبدأ مرحلة جديدة هي المرحلة الإسلامية التي شهدت خلالها الحضارة الإيرانية أحاسيساً جسمية.

وأخيراً يمكننا القول: إن الحضارة الإيرانية شغلت دوراً مهماً في التطور التاريخي والحضاري للشرق القديم، فأسهمت في الحفاظ على الشخصية الحضارية المستقلة لمنطقة، وطبعتها بطبع حضاري خاص، أرسست بموجبه أصول الحضارة الإنسانية المستقرة، في جميع مظاهرها المادية والمعنوية منه بداية استقراره فيها، وقد انفق العلماء

على أولوية منطقة الشرق القديم ومنها يبران على بقية أجزاء العالم في الشرق والغرب، في التوصل إلى المدينة الراقية، وهذا لا ينفي النأثر والتأثير؛ فالآمم جميعها دائمة ومدينة في تراث الحضارة الإنسانية، وما من أمّة لها تاريخ إلا وقد أعطت كما أخذت من ذلك التراث.



- الملائكة.
- الملوك الألهييون.
- الملوك السلوقيون.
- الملوك الفرثيون.
- الملوك الساسانيون.
- القواد الفرثية.
- القواد الساسانية.
- العمارة الألهية.
- الفن الفرثي.
- الفن الساساني.

## - الملوك الأخميون -

الملك	ال Reign	الملك
أخميون	675-640 ق.م	نيسبس
قوروش الأول	640-600 ق.م	تميز الأول
فوروش الثاني	600-559 ق.م	تميز الثاني
فوروش الثالث	559-530 ق.م	فهريوس
فهريوس الرابع	530-522 ق.م	فهريوس الأول
فهريوس الخامس	522-521 ق.م	فهريوس الثاني
فهريوس السادس	521-486 ق.م	فهريوس الثالث
فهريوس السابع	486-465 ق.م	فهريوس الرابع
فهريوس الثامن	465-425 ق.م	فهريوس الخامس
فهريوس التاسع	425-424 ق.م	فهريوس السادس
فهريوس العاشر	424-405 ق.م	فهريوس السابع
فهريوس الحادي عشر	405-359 ق.م	فهريوس الثانى
فهريوس الثاني عشر	359-338 ق.م	فهريوس الثالث
فهريوس الرابع عشر	338-336 ق.م	فهريوس الخامس
فهريوس السادس عشر	336-337 ق.م	فهريوس السادس

داريوس الثالث

(1) 335-330ق.م



١ ... زايد (عبد الحميد): الشرق الخالد من أقدم العصور حتى عام 323ق.م، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م، ص 705-706.

### - الملوك السلوقيون

الملك	سنوات حكمه
سلوقس الأول نيكاتور	281-312 ق.م
أنطيوخوس الأول سوتور	261-281 ق.م
أنطيوخوس الثاني ثيروس	246-261 ق.م
سلوقس الثاني كالبيكوس	225-246 ق.م
سلوقس الثالث سوتور	223-225 ق.م
أنطيوخوس الثالث الكبير	187-223 ق.م
سلوقس الرابع فيلبياتور	175-187 ق.م
أنطيوخوس الرابع أيدانس	164-175 ق.م
أنطيوخوس الخامس يوباتور	162-164 ق.م
ديمتریوس الأول سوتور	150-162 ق.م
الإسكندر بالاس	145-150 ق.م
ديمتریوس الثاني نيكاتور	38/139-145 ق.م
أنطيوخوس السادس أيدانس	125-129 ق.م
أنطيوخوس السابع سيدانس	142-145 ق.م
أنطيوخوس السادس سيدانس	139-129 ق.م

الإسكندر الثاني زابنياس	123-128 ق.م
أنطيليوخوس الثامن جريموس وأمه كلوباترا ثيا	121-125 ق.م
سلوفس الخامس	125 ق.م
أنطيليوخوس الثامن جريموس	96-121 ق.م
أنطيليوخوس التاسع كيريزوكوس	95-115 ق.م
سلوفس السادس أيفانيس نيكتور	95-96 ق.م
أنطيليوخوس العاشر بوسيبيوس فيلوباتور	83-95 ق.م
ديميتريوس الثالث بوساروس فيلوباتور مونتيو	88-95 ق.م
أنطيليوخوس الحادي عشر فيلادقوس	92 ق.م
فليبي الأول فيلادقوس	83-92 ق.م
أنطيليوخوس الثاني عشر ديونيسيوس	84-87 ق.م
مقوط سوريا بيد الملك	83-69 ق.م

	تبحران الكبير ملك أرمينيا
364-69 م	أنطيوخوس الثالث عشر الآسيوي
364-65 م	طلب الثاني

المصدر:

Finegan, J., Light from the Ancient Past the Archeological Back  
round of Judaism and Christianity, 2<sup>nd</sup> Ed. (London: Oxford  
university press, 1959) P.245.

**- الملوك الفرعون**

الاسم اليوناني	الاسم حكمهم
أرساكيس الأول	211-238 ق.م
أرساكيس الثاني	191-211 ق.م
برباتوس	176-191 ق.م
فراتيس الأول	171-176 ق.م
ميثراداتيس الأول	138-171 ق.م
فراتيس الثاني	127-138 ق.م
أرفياتوس الأول	124-127 ق.م
ميثراداتيس الثاني	88-123 ق.م
غونارزيس الأول	87-95 ق.م
أوروادس الأول	77-90 ق.م
ستافروسبيس	70-77 ق.م
فراتيس الثالث	57-70 ق.م
ميثراداتيس الثالث	54-57 ق.م
أوروادس الثاني	38-57 ق.م

50 ق.م	باكرووس الأول
2-38 ق.م	فراتيس الرابع
27-29 ق.م	غيريداتيس
1 ق.م-2	فراتيس الخامس
6	أورووس الثالث
12-8 م	فونونيس الأول
38-10	أرتباتوس الثاني
45-40	فردانوس الأول
31-40	غونارذيس الثاني
51	فونونيس الثاني
78-51	فولوغاسيس الأول
58-55	فردانوس الثاني
105-78 م	باكرووس الثاني
90-80	أرتباتوس الثالث
147-105 م	فولوغاسيس الثالث
116	بارثماستيس
140	ميرداديس الرابع
191-147	فولوغاسيس الرابع

٢٠٨-١٩١م	خسرو الثاني
٢٢٨-٢٠٨م	فولون الخامس الخامس
٢٢٤-٢١٦م <sup>(١)</sup>	فولون الخامس السادس
	أربانوس الرابع



**– الملوك الساسانيون –**

اسم الملك	سني حكمه
أردشير الأول	226 - 241 م
سافور الأول	241 - 272 م
هرمزد الأول	272 - 273 م
هرام الأول	273 - 276 م
هرام الثاني	276 - 293 م
هرام الثالث	293 - 323 م
نرسى	323 - 303 م
هرمزد الثاني	303 - 310 م
سافور الثاني	310 - 379 م
أردشير الثاني	379 - 383 م
سافور الثالث	383 - 388 م
هرام الرابع	388 - 399 م
يزدجرد الأول	399 - 420 م
هرام الخامس	420 - 438 م
يزدجرد الثاني	438 - 457 م
هرمزد الثالث	457 - 459 م

م 459 - 484	فروز
م 484 - 488	پلاش
م 488 - 531	قباد الأول
م 531 - 579	كسرى أنوشروان
م 579 - 590	هرمزد الرابع
م 590 - 628	كسرى الثاني
- 628	قباد الثاني
م 628 - 632	أردشير الثالث
م 632 - 651	يردجرد الثالث

بيرنيا، المرجع السابق، صفحات متعددة.

- النقود الفرثية



Arsaces I

Rawlinson. Op cit , Volume III, p47.



Arsaces II

رضائي، گنجیة تاریخ ایران، جلد ششم، ص 693.



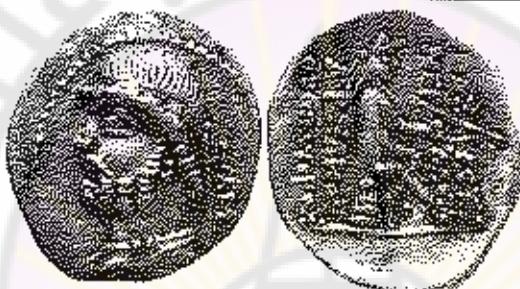
Priapatios

رضائي، گنجیة تاریخ ایران، جلد ششم، ص 694.



Phraates I

Rawlinson. Op cit , Volume III, p47.



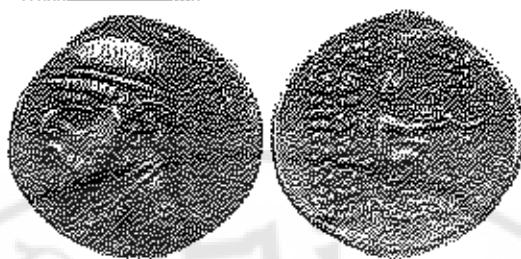
Phraates II

[www.Ancientimports.com](http://www.Ancientimports.com), 8139



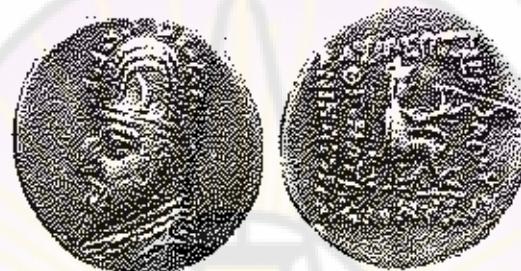
Artabanus I

[www.Ancientimports.com](http://www.Ancientimports.com), 8137.



Mithradates II

[www.Ancientimports.com](http://www.Ancientimports.com), 8288



Gotarzes I

[www.Ancientimports.com](http://www.Ancientimports.com), 8136



Orodes I

[www.Ancientimports.com](http://www.Ancientimports.com), 9535.



Sinatruces

رضائي، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 696.



Mithradates III

[www.Snible.Org](http://www.Snible.Org)



Orodes II

[www.Ancientimports.com](http://www.Ancientimports.com), 9539.



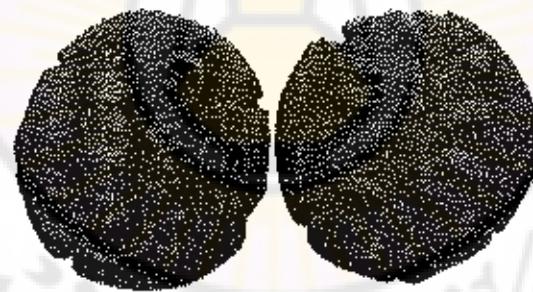
Pacorus I

رضائي، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 686.



Phraates IV

رضائی، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 697.



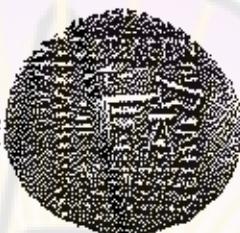
Orodes III

[www.Ancientimports.com](http://www.Ancientimports.com), 4878.



Vonones I

Rawlinson, Op cit , Volume III, p143.



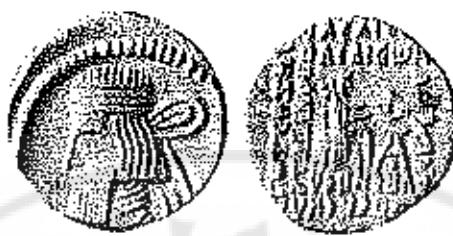
Artabanus II

[www.Ancientimports.com](http://www.Ancientimports.com), 9362



Vardanes I

Rawlinson, Op cit , Volume III, p143.



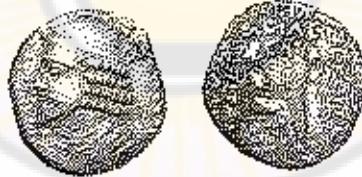
Gotarzes II

Upham and Phyllis, op/cit, v1, p143.



Vonones II

رضائي، مجھہ تاریخ ایران، جلد ششم، ص 699



Vologases I

[www.vcoin.com](http://www.vcoin.com), 0.



Vardanes II

[www.vcoin.com](http://www.vcoin.com), 0.



Pakoros II

[www.Ancientimports.com](http://www.Ancientimports.com), 8138



Artabanus III

[www.Ancientimports.com](http://www.Ancientimports.com), 9362



Osroes I

رضابي، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 700



Mithradates IV

Rawlinson, Op cit , Volume III, p169.



Osroes II

[www.Ancientimports.com](http://www.Ancientimports.com), 3296



Artabanus IV

Upham and Phyllis, op, cit, v1, p144.

- النقود الأساسية

	
Shahpur I. 241-272 AD.	Ardashir I. 224-240 AD.
	
Varahran II, 276-293 AD	Varahran I. 271-274 AD
	
Hormizd II. 303-309 AD	Narseh 293-302 AD
	
Varahran IV. 388-399AD	Shahpur III. 383-388 AD

	
Peroz, 457/9-484 AD	Yazdgard I, 399-420 AD
	
Zamasp 497-499 AD	Valkash 484-488 AD
	
Kavad II, 628 AD	Khusro II, 591-628 AD
	
Khusro IV, 631-633 AD	Ardeshir III, 628-630 AD

<http://www.vcoins.com/ancient/parscoins/store/listCategories>

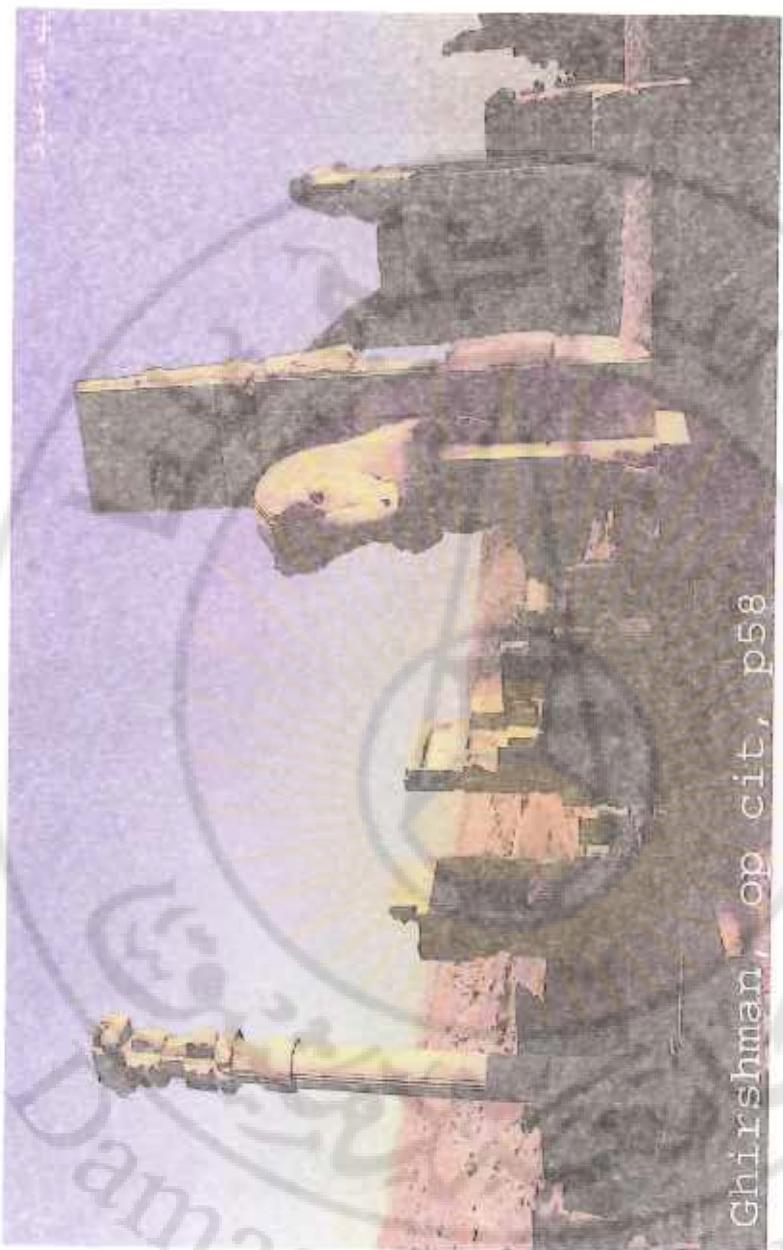
الاربعاء 18/3/2009م الخامسة و46 دقيقة.

- العمارة الأخمينية

الدرج الرئيسي



Ghirshman, op cit, p34



Ghirshman, op. cit., p. 58

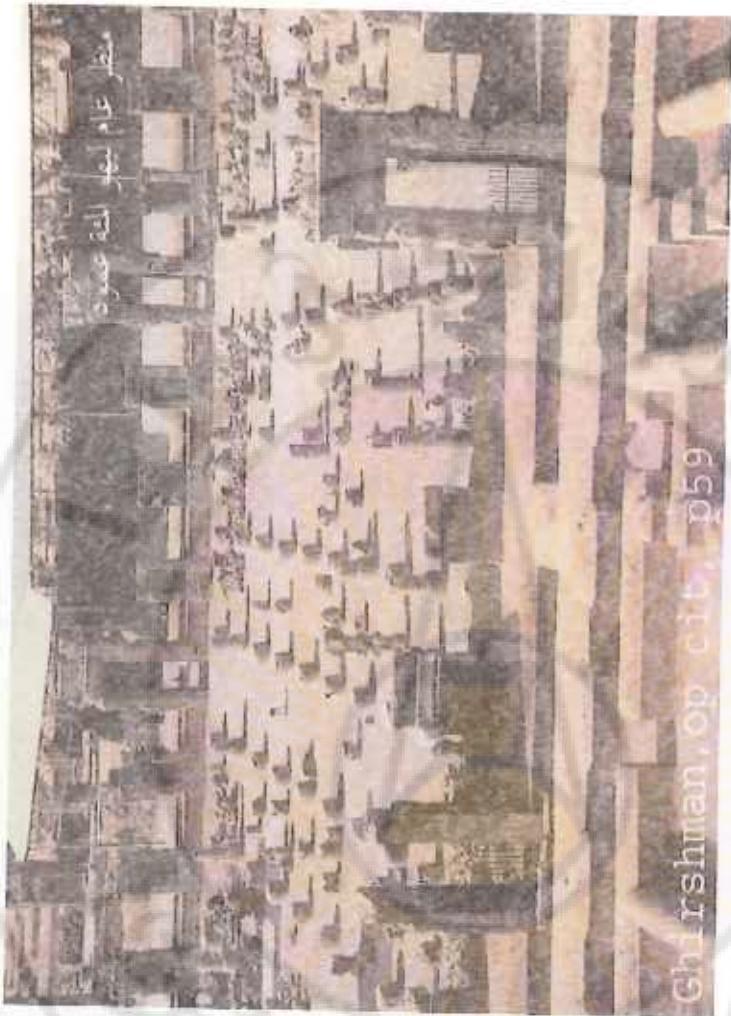
Christman, op cit, p58





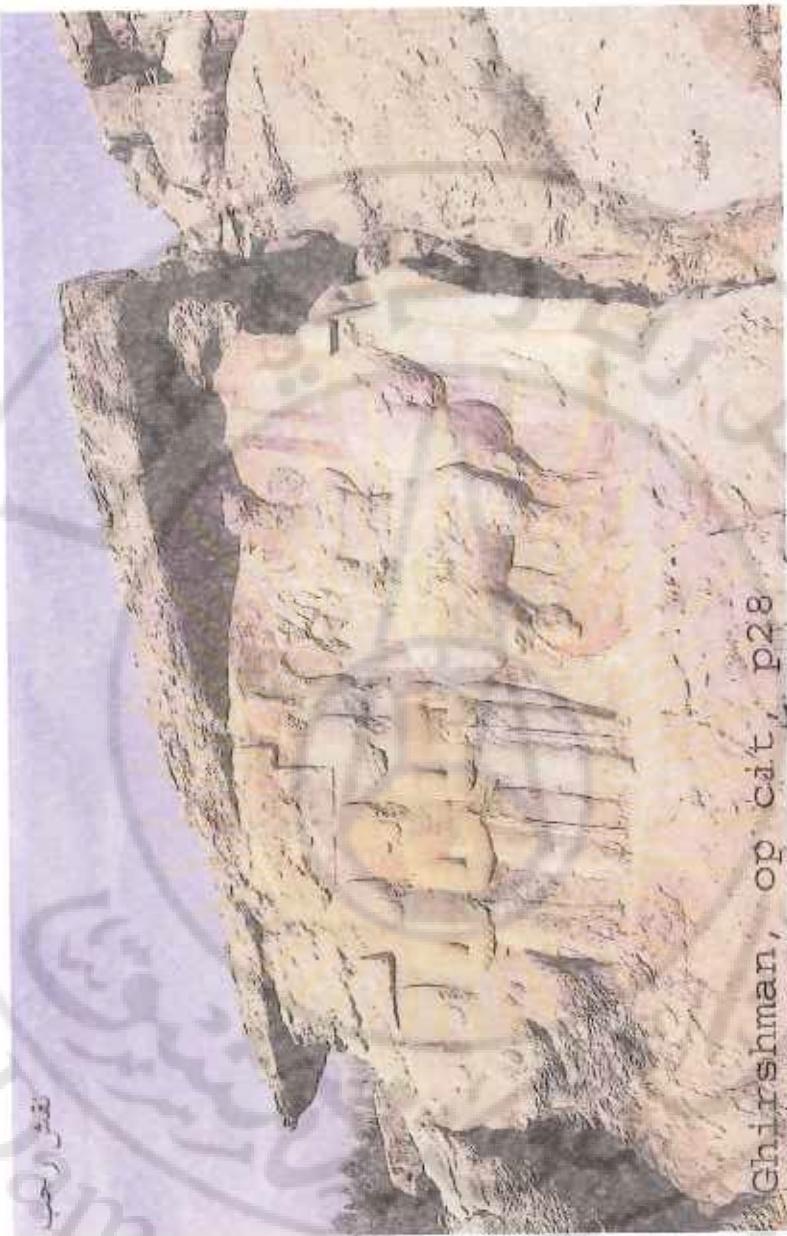


341

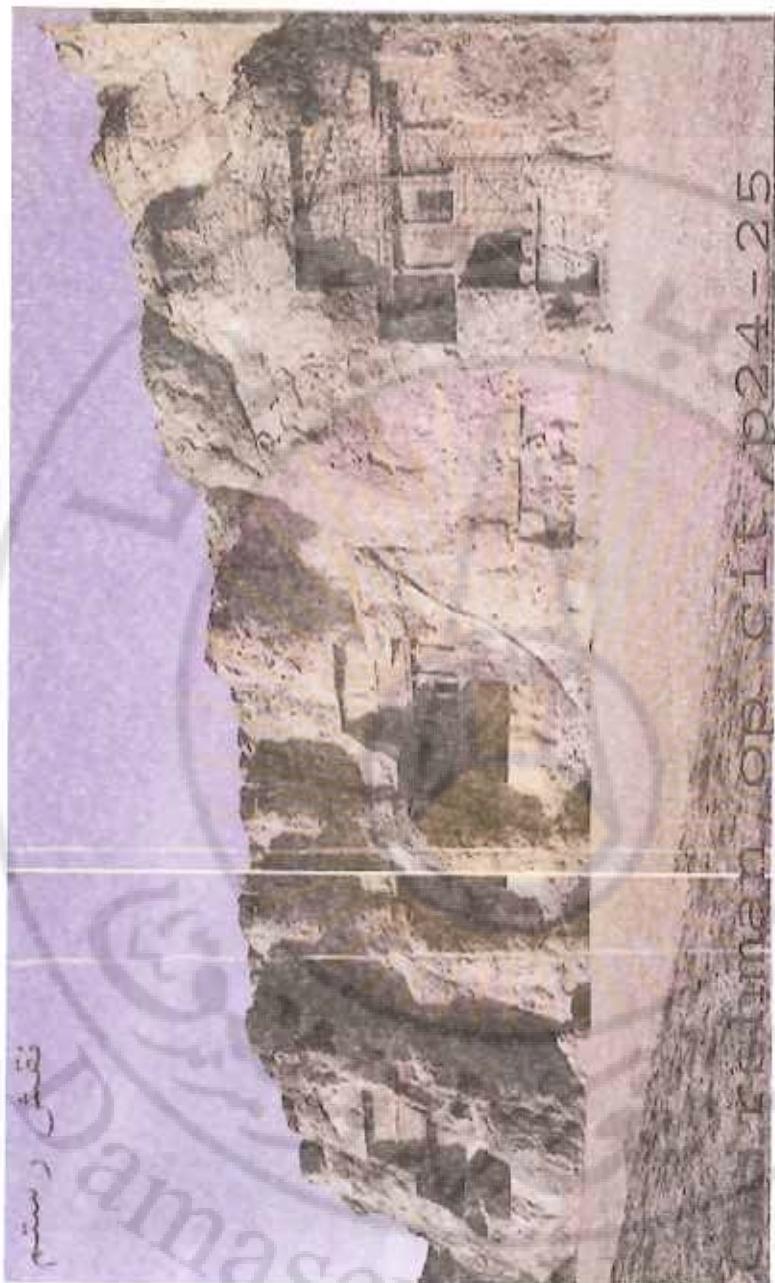


Ghurshman, top cit., ٢٥٩

جامعة دمشق  
Damascus University



Ghirshman, op. cit., p28



2024 - 25

Op. C1

نحو حقوق الإنسان الذي وضعه فورتون



345



- الفن الفرثي -

(1)



(2)

1 - رضائي، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 692.

<http://www.farhangstra.Com>.

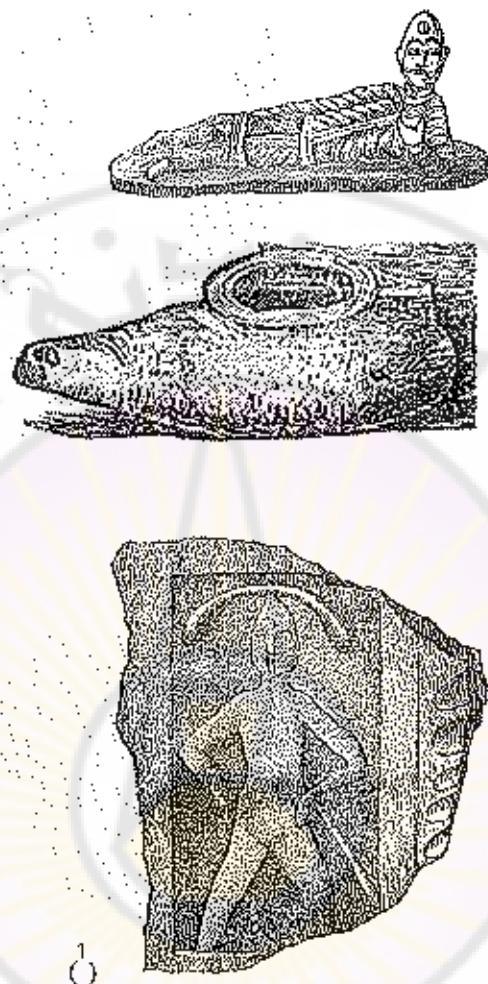
2 - خدادیان، المرجع السابق، جلد دوم، ص 1380.



– كاظم، المرجع السابق، ص 165. 1

<http://www.Iranchamber.Com>.

<http://www.Metmuseum.Org>. 2



Rawlinson, op. cit. Volume III, p243. -1  
348

- الفن الإسلامي



لوحة تعود للشاعر المسلمين قيلا الأزرل (488-531م) مطبوعة على قطعة نحيفه

زهيري، كتبية تاريخ بستان، جلد هفت، ص 589.



أ. د. علي بن فارس بستان، درود نکریز ایلار، گوشه‌ورز (۱۳۹۳)، پدغافه، مالکان.

عکشده، تاریخ تاریخ فارس، ۲، ص ۳۷۳.



١- ملءة للستان: كسرى الظاهر (531-579م) شاهد بعل كسرى سهل الفحص لبيانه مسند اعتماد من الأراضي  
لشىء المكتبة وحال وفي الأصل يظهر لشىء المكتبة مسندها مسورة بخواص

Gardesbury porch tarsus multizone vol.4, no.13



لوحة تمثل الرقة أعادتها اليد للخشب.

Gardeshgari persia turism magazine vol 4, art13 p



أندية فضية رسم عليها نسر اصطاد غزالاً.



كأس شراب فضي، على هيئة رأس جواد.

عكشة، تاريخ الفن الفارسي، ج 8، من 338.

لوحة منقوشة على الحجر تمثل عزف حدة نسوة على الكباري.

*Carnelian scarab from Amrit, vol. 4, no. 13*





- المصادر والمراجع:

- المصادر العربية.

- ابن أثيم الكوفي (أبو محمد أحمد): كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، ط١، دار الأضواء، بيروت، لبنان، 1991م.
- البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن حاتر): فتوح البدان، تحقيق عبد الله أئس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة، بيروت، د.ت.
- البيرولي (أبو ريحان محمد بن أحمد): الآثار الباقية عن الفرون الحالية، لايزيلك، 1878م.
- الجهمي شباري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس): الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، دار الفكسر الحديث، بيروت، 1988م.
- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد): الفصل في الملل والأهواه والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عمارة، دار الحبل، بيروت، 1985م.
- الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان): سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، 1984م.
- الطباطبائي (محمد حسين): الميزان في تفسير القرآن، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1997م.
- الطبراني، (محمد بن جرير بن زيد): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان، ط٢، 1967م.

- مار ميخائيل الكبير: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمة مار غريغوريوس صليبا ثميسون، إعداد وتقديم مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردین، ط١، حلب، 1996م.
- المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجواهر، ط١، إيران، 1984م.
- المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق فاسن الشماعي الزفاغعي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، 1989م.
- ابن مسكويه (أحمد بن محمد): تحارب الأئم، تحقيق أبو القاسم إمامي، دار سردى للطباعة والنشر، طهران، 1987م.
- المقسي (الطهير بن طاهر): البدء والتاريخ، باريس، 1903م.
- ابن الشافعى، كتاب الفهرست، بيروت، ط٣، 1988م.
- هيرودون، التاريخ، ترجمة عن الروسية ستراونوفسكي غ. أ.، لينينغراد، 1972م.
- هيرودون، التاريخ، ترجمة عبد الإله الملاح، الجمع النقائى، الإمارات، 2001م، الكتاب الأول.
- اليقونى (أحمد بن أبي يعقوب): تاريخ اليقونى، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، لبنان، ط١، 1993م.
- المراجع العربية والمغربية:
- أثانيايو (منى حاجي): سوريا المسيحية في الألف الأول الميلادي، دمشق، ط١، 1997م.
- إسماعيل (فازوفي): البارثيون، الموسوعة العربية، دمشق، ط١، 2004م.
- إسماعيل (فازوفي): يرسوبليس، الموسوعة العربية، دمشق، ط١، 2004م.

- إسماعيل (أحمد علي): *تاريخ السلحفاة في بلاد الشام في القرنين الخامس وال السادس*، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983م.
- أسود (عبد الرزاق): *التدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب*، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.
- بالقر(طه): *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة*، (حضارة وادي النيل، جزيرة العرب، بلاد الشام وببلاد إيران، الإسكندر، السلوقيون، اليونان، الرومان) دار المعلمين العالمية للطباعة، ط2، 1955م.
- بالقر(طه): *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة*، بغداد، 1956م.
- بدر (أحمد): *نفسوس التاريخ من الفترة الكلاسيكية إلى الفترة المعاصرة*، عام التفكير، 2001م، العدد 4.
- بدوي (أحمد): *هيرودوت يتحدث عن مصر*، القاهرة، 1966م.
- بدوي (أمين عبد الحميد): *القصة في الأدب الفارسي*، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.
- برانتون (ديفيد)، فرانث (إيرين)، طريق الحرير، المجلس الأعلى للثقافة، مطبعة الأهرام، مصر، 1986م.
- براون (إدوارد): *تاريخ الأدب في إيران*، ترجمة أحمد كمال الدين حلمي، الكويت، ط2، 2001م.
- هتسبي (عفيف): *موسوعة تاريخ الفن والعمارة، الفنون القديمة*، دار الرائد العسري، لبنان، ط1، 1982م.
- بونغارد - ليفين: *الجديد حول الشرق القديم*، ترجمة جابر أبي جابر، تحرير الضامن، دار التقدم، موسكو، 1988م..

- بوس (ماري): *الرلاشتية*، ترجمة ستيلين كامنسكايا ، موسكو، 1987م ، بالروسية.
- بربار(حسن): *تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الإسلامي*، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم السباعي محمد السباعي ، مراجعة وتقديم يحيى الحشان ، دار الثقافة، الفجالة، مصر، ط2، 1992م.
- بيضون (جيبل) ، عودات (أحمد) الناطور (شحادة): *مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية*، دار الأمل ، اربد، ط1، 1989م.
- حاكسون (دونالد): *تاريخ الكتابة*، ترجمة محمد علام خضر ، نشر وزارة الثقافة، سوريا، 2007م.
- جران (نعمان محمود)، *محاولات المقول السيطرة على طريق الحرير*، مجلة دراسات تاريخية، عدد عخاص طريق الحرير طريق الحرار، دمشق، كانون الأول، 1991م، العدد 39-40.
- جلوب (جون باجوت): *الفتوحات الكبرى*، ترجمة حيري حماد، دون تاريخ.
- جمعة (بديع محمد): *من روائع الأدب الفارسي*، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1983م.
- حاطوم (نور الدين)، طربين (أحمد)، عاقل (نبه)، مدين (صلاح): *المدخل إلى التاريخ*، دار الإنشاء، دمشق، 1964م.
- حاوي (إيليا): *أيسخيلوس*، دار الكتاب اللبناني، 1980م.
- حداد (جورج): *المدخل إلى تاريخ الحضارة*، مطبعة الجامعة السورية، 1958م.
- حميد (فوزي محمد): *عالم الأدبان بين الأسطورة والحقيقة*، دار حظيف، دمشق، 1993م.

- خريصات (محمد عبد القادر) وأخرون: تاريخ الحضارة الإنسانية، مؤسسة حمادة، اربد، الأردن.
- الحشايب (محيي): القاء الحضارات العربية والفارسية، معهد البحث والدراسات العربية، 1969 م.
- بحثة (محمد وحيد)، علاقات تدمر الخارجية تجاريًّا ودينيًّا، مجلة الدراسات الأثرية السورية، عدد خاص بواقع الشدة الدولية حول تدمر وطريق الحرير، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، سوريا، 1996 م، العدد 42.
- درادكة (صالح): العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، 1992 م.
- دياكوف (ف)، كوفاليف (س): الحضارات القديمة، ترجمة نسيم اليازجي، سوريا، 2000 م.
- رسم (أسد): الروم في سياستهم وحضارتهم وذبائحهم وتقاعدهم وصلاتهم بالعرب، دار المكتشف، بيروت، ط ١، 1955 م.
- رمضان (عبد الله علي): تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته منذ فجر التاريخ حتى يحيى، جملة الإسكندر الأكبر، دار نهضة الشرق، القاهرة، ط ١، 2002 م.
- رو (جورج): العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، نشر وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ط ٢، 1986 م.
- زايد (عبد الحميد): الشرق الخالد من أقدم العصور حتى عام 323 ق.م، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966 م.
- زيهنر (ر.س): الزرادشتية "الفجر - الغروب"، نقله إلى العربية وقدم له سهيل زكار، دار التكون، دمشق، 2005 م.

- سارة (خليل): تاريخ الوطن العربي في العصور الكلامية، دمشق، 2008.
- سارة (خليل): دراسات في تاريخ الإغريق، جامعة دمشق، 2001-2002.
- سعفان (كامل): معنفلات أسيوية، العراق، فارس، المندى، دار الندى، القاهرة، 1999.
- سكر (ابراهيم): أيسخيلوس، الهيئة المصرية للكتاب، 1972.
- سليم (أحمد أمين): دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم "العراق، إيران"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.
- سليم (أحمد أمين): في تاريخ الشرقي الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1990.
- الشاعر (محمد فتحي): السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي (عصر جوستيان)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989.
- شعث (شوفي)، طريق البخور والحرير، مجلة التحولات الأثرية العربية السورية، عدد خاص برقائق الندوة الدولية حول تدمر وطريق الحرير، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، سوريا، 1996، العدد 42.
- الشبيخ (رفعت): تفسير مسار التاريخ، عين للدراسات، مصر، 2000.
- الصباخ (إلي): دراسة في منهجية البحث التاريخي، دمشق، 1988.
- العابد (مفید رائف): معالم تاريخ الدولة المسماوية، دار الفكر، دمشق، 2005.
- العابد (مفید): سورية في عصر السلوقيين، دار شمال، دمشق، 1993.
- عارف (عائدة سليمان): مدارس الفن القديم، دار صادر، بيروت، 1972.
- عبد القادر (حامد): زرادشت الحكم نبي قدادي الإلرياتين، مكتبة هفظة مصر، الفحالة، القاهرة، ط1، 1956.

- عبد الله (فيصل)، مرجعي (عبد): المدخل إلى تاريخ الحضارة، جامعة دمشق، 2007م.
- عبد الله (فيصل)، مرجعي (عبد): المدخل إلى تاريخ الحضارة، مطبعة الروضة، ط1، دمشق، 2007-2008م.
- عبد الوهاب (لطفى يحيى): العرب في العصور القديمة، دار المعرفة، 1990م.
- العريبي (السيد الباز): الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م.
- أبو عساف (علني)، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، مجلة دراسات تاريخية، عدد خاص طريق الحرير - طريق السوار، دمشق، كانون الأول، 1991م، العدد 39-40.
- عصفور (محمد أبو الحسن): معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، د. ت.
- عصفور، الشرقي الأدنى قبل عصوره الشاربة، مكتبة الإسكندرية، د. ت.
- عطية (فليبي): قرائيم زرادشت من كتاب الأقستا المقدس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م.
- عكاشة (بروت): الفن الفارسي القديم، دار المستقبل، لبنان، ط1، 1989م.
- العلان (أرواد): المملكة القرمية (الإمبراطورية) منذ القرن الأول قبل الميلاد حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، دمشق، 2008م.
- علي (عبد اللطيف أحمد): مصادر التاريخ الروماني، بيروت، 1970م.
- علي (فاضل عبد الواحد): من سومر إلى التوراة، القاهرة، ط2، 1996م.
- غزاله (هديب): الدولة البابلية الحديثة، 626-539 ق.م، دار الأهالي، سوريا، 2001م.
- فخرى (أحمد): دراسات في تاريخ الشرق القديم، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1990م.

- فرج (نعمم): تاريخ بزنطة، مطبعة جامعة دمشق، 2003/2004م.
- فرج (محمد): الفتح العربي للعراق وفارس، ترجمة أحمد حسن الباقوري، دار الفكر، المطبعة العالمية، القاهرة، 1966م.
- فرزات (محمد حرب)، مرعي (عبد): دول وحضارات في الشرق العربي القديم، دمشق، ط١، 1990م.
- فرزات (محمد حرب) مدخل إلى تاريخ فارس القديم وحضارتها، دمشق، 1989م.
- فريدرش (بوهانس): تاريخ الكتابة، ترجمة سليمان أحمد الظاهر، دار الثقافة، دمشق، 2004م.
- غيل (أرنست)، تدمر وطريق الحرير، ترجمة إيمان سليمان، مجلة المؤليات الأثرية العربية السورية، عدد خاص بواقع الندوة الدولية حول تدمر وطريق الحرير، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، سوريا، 1996م، العدد 42.
- فيلهلم (جيرنوت): الحوريون تاريخهم وحضارتهم، ترجمة فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب، 2000م.
- كاباديا (س، أ): تعاليم زرادشت وفلسفه الدينية الزرادشتية، ترجمة وتقديم حالد جعفر، نُصّلت للطباعة والنشر، حلب، سوريا، ط١، 2004م.
- كريستنسن (أرثر): إيران في عهد الساسانيين، فرجمة مجتبى الخشاب، عبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م.
- مجموعة مؤلفين، مؤلفات الإغريق القديمة، موسكو، 1986م.
- مرعي (عبد): الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين، مجلة دراسات تاريخية، العددان 41-42.
- مرعي (عبد): تاريخ بلاد الرافدين، دار الأسدية، دمشق، 1991م.

- مصطفى (شاكر): التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملائين، بيروت، ط3، 1983م.
- المطيري (مرتضى): الإسلام وطهران، ترجمه عن الفارسية أحمد العيادي، مؤسسة المدى للنشر والتوزيع، طهران، 2000.
- مظہر (سلیمان): فصلیۃ الديانات، دار الوطن العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.
- الموجی (عبد الرزاق رحیم صلال): العبادات في الأديان السماوية اليهودية، المسيحية، الإسلام، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2001م.
- مورتكات (أنطون): تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان، دمشق، د ، ت .
- الموسوعة العربية، الجلد 20، مادة ميترا.
- مهران (محمد بيومي): إسرائيل، الإسكندرية، 1979م.
- مهران (محمد بيومي): تاريخ العرب القديم، دار المعرفة، الإسكندرية، 1996م.
- مهران (محمد بيومي): دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر الكتاب الأول للتاريخ، ط1، الإسكندرية، 1982م.
- الناصري (سيد أحمد علي): الإغريق تاريخهم وحضارتهم، القاهرة، ط3، 1981م.
- الناضوري (رشيد): المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا و شمال أفريقيا، الكتاب الأول، بيروت، 1977م.
- التجار (سعید): تاريخ الفكر الاقتصادي، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م.

- النعيم (نورة عبد الله العلي): الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، دار الشوف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1992م.
- هايد (ف): تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رضا، مراجعة عز الدين قوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م.
- .. هو (أحمد): الأنجامية، نشاد الكتابة وأشكالها عند الشعب، دار المخوار، اللاذقية، 1984م.
- واينغرين (جيور): ماني ولاناوية، ترجمة سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط1، 1985م.
- وحدى (محمد فريد): دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، ط2، 1979م.
- وصفي (عاطف): الأتروبوليسيات الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت.
- يحيى (لطفي عبد الوهاب): اليونان، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.
- .. يوسف (عبد القادر): الدولة البيزنطية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1966م.
- .. المصادر الفارسية.
- ابن الخطبي: فارس نامة، تحقيق يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1999م.
- الشعالي، التعالي (أبو منصور عبد الله بن إسماعيل): غرر ملوك الفرس وسرهم، زون بريج، باريس.

- الطوسي (نظام الملوك): مبادست تامة (مير الملوك): ترجمة يوسف حسين يكاري، دار القدس، بيروت.
- الفردوسي (منصور بن فخر الدين): الشاهنامه، ترجمة الفتح بن علي البشداري، طهران، ط١، 1970م.
- الفردوسي (منصور بن فخر الدين): الشاهنامه، ترجمة الفتح بن علي البشداري، قارئاً وأكملاً، ترجمتها عبد الوهاب عزلي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط٢، 1993م.
- المراجع الفارسية.
- اعتماد السلطنة (محمد حسن خان): درر التجان في تاريخ بين الأشكان، به كوشش واقام نعمت، أحمدي، انتشارات اشنفس، تهران، چاپ اول، 1371.
- إيران اليوم، نشر منظمة الإعلام الإسلامي، ط١، طهران، 1991م.
- بخش (أحمد تاج): تاريخ مختصر تدن وفرهنگ ایران قبل از اسلام، کتابخانه ملی ایران، تبراز، چاپ اول، 1381.
- پلوکباشي (علی): نوروز، جشن نوزده آفریش، دفتر پژوهشهاي فرهنگي، تهران، چاپ سوم، 1381.
- پرونا (حسن): ایران باستان، دنيا، کتاب، چاپ مهارت، تبراز، تهران، ایران، چاپ هفتم، 1374.
- جشنیف، تامة نسر، ترجمة ابن اسفندیار، تحقیق مجتبی مینوی، مطبعة مجلس، تهران، 1311هـ.
- جوان (موسی): تاریخ اجتماعی ایران باستان، دنيا، کتاب، تبراز، چاپ اول، 1381.
- محمدیان (اردشیر)، تاریخ ایران باستان، کتابخانه ملی ایران، تهران، 1383.

- دانش بروزه(محمد تقی): *نهاية الأرب في أشعار الفرس و العرب، أبحاث آثار و مفاخر فرهنگی*، چاپ اول، ۱۳۷۵ هـ.
- رضائی (عبد العظیم): *گنجینه تاریخ ایران، انتشارات اعلان*، چاپ اول، تهران، ۱۳۷۸ هـ.
- رفیع حقیقت (عبد الرفعی): *نقش ایرانیان در تاریخ تمدن جهان، کتابخانه ملی ایران، کوسمش، تهران*، چاپ اول، ۱۳۷۸ هـ.
- سابکس(ژنرال): *تاریخ ایران، ترجمه محمد تقی، فخر داعی کیلانی، دنبای کتاب، تهران، چاپ آشنا، ۱۳۷۷ هـ*.
- مسوار (محمد حسن)، ایران، *الموسوعة الإسلامية الكبرى*، المشرف العام السيد كاظم الموسوي البجنوردي، مرکز الموسوعة الإسلامية الكبرى، طهران، ۱۹۸۹.
- شعبانی(رضا): *تاریخ ایران، سازمان فرهنگ و ارتباطات إسلامی*، مرکز مطالعات فرهنگی بین المللی، تهران، چاپ اول، ۱۳۸۱.
- فهری (أبو المحسن): *فرهنگ حیط، فارسی عربی، مؤسسه چاپ و انتشارات یادواره* کتاب، تهران، ۱۳۸۰.
- قدیانی (عباس): *تاریخ فرهنگ و تمدن ایران، در دوره سلوکیان و اشکانیان، انتشارات فرهنگ مکتب*، کتابخانه ملی ایران، تهران، چاپ اول، ۱۳۸۳.
- گیرشمن(رومن): *ایران از آغاز تا اسلام، ترجمه محمد معین، انتشارات علمی فرهنگی، تهران، چاپ پنجم، ۱۹۸۵*.
- اللهی (حبيب الله آیت): *تاریخ هنر، مرکز مطالعات فرهنگی - بین المللی، سازمان فرهنگ و ارتباطات إسلامی، انتشارات بین المللی الهدی، تهران، چاپ اول، ۱۳۸۰*.
- موسوعة المعرفة الإيرانية، *الفسم القدیم، کلیة الحقوق، مرتبط بمؤسسة ویستا آرا*.

- خودری (عون الله): تاریخ اجتماعی ایران، از آغاز تا مشروطیت، انتشارات مجتبی، تهران  
چهارم درم، 1381.

- المصادر والمراجع الأجنبية:

- 1- Beals , R.L , Hoijer , H., Introduction To Anthropology ,  
Macmillan publishing Company .1971.
- 2- Bosworth, The Coming of Islam to Afghanistan, Islam in Asia –  
1, South Asia, ed. Y. Friedman, Jerusalem 1984.
- 3- Brown, P, The World of Late Antiquity, London, 1971 -rep  
1989.
- 4- Bundy, Davidin The Life of Abercius New York and  
London, Garland Publishing, 1999.
- 5- Encyclopedia Of World Art – Printed In Italy – McGraw  
Revised Printing – Hill Book Company – London– 1972.
- 6- Finegan, J., Light from the Ancient Past the Archeological  
Back round of Judaism and Christianity,2<sup>nd</sup> Ed,(London: Oxford  
university press,1959).
- Kidd, B. J, A History of the Church to 461 A.D, at the -7  
Clarendon Press, Oxford, 1922.

- 8- King, L.W, and Hall, H.R, History Of Egypt, Chaldaea, Syria, Babylonia, And Assyria In The Light Of Recent Discovery, Produced by David Widger, London, 2005.
- 9-Ghirshman, R, & Herzfeld, Persepolis the Achaemenians Capital, Tehran, Iran.
- 10- Marcellinus, Ammianus, translated in Ammianus Marcellinus History, translated by J. Rolfe, Harvard University Press, Cambridge, 1963.
- 11- Rawlinson, George, the Seven Great Monarchies of the Ancient Eastern World , A History of Parthia, the Sixth Monarchy, Oxford, 2005.
- 12- R. G. Kent, Old Persian, New Haven Ier, ed, 1650,2<sup>nd</sup> 1953.
- 13- Rostovtzeff, Social and Economic History of Hellenistic World, Cambridge, 1953.
- 14- Sellwood, David, Parthian Coins, in Yarshater, E. (ed.) The Cambridge History of Iran, The Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge, 1983.
- 15- Trimingham J Spencer, Christianity Among the Arabs on Pre-Islamic Times – First Published, Longman, London, New York, 1979 .

16- Wolski, J., L'aristocratie fonciere et l'organisation de  
l'armee parthe, *Klio* 63, 1981.



**المقومون العلميون**

أ.د. شكران حربو ملطي

أ.د. خليل سارة

أ.د. جياع قابلو

**المقوم اللغوي**

د. عبد الرحمن عبد الرحيم

حقوق الطبع والترجمة والنشر محفوظة للدورة الكتب والمطبوعات.